



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم -

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في علم الاجتماع تخصص

المؤسسة والثقافة الجزائرية موسومة ب

الإسلام و المقاولاتية في الجزائر

دراسة حالة مؤسسة ألف للإعلام الآلي للزاوية العلوية بمستغانم

تحت إشراف:

اسعد فايزة زرهوني

من إعداد الطالب:

بن دنية ميلود

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	بن جدية محمد
مشرفا ومقررا	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر	اسعد فايزة زرهوني
مناقشا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	حجيج الجنيد
مناقشا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	مولاي الحاج مراد
مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	راجعي مصطفى
مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر	بلهوارى الحاج

السنة الجامعية: 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً  
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة النحل الآية 97

صدق الله العظيم

# كلمة شكر

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على توفيقه في انجاز هذا العمل المتواضع  
الشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة اسعد فايزة زرهوني على الدعم والمساندة.  
الشكر الموصول للأستاذة المشرفين على المشروع الدكتورالي "المؤسسة والثقافة الجزائرية" وأخص  
الذكر الأستاذ الدكتور راجعي مصطفى على كل ما قدمه لنا خلال انجاز هذا العمل.  
الشكر الجزيل لكل القائمين على الزاوية العلوية وعلى رأسهم الأستاذ مولاي بن تونس على الرعاية  
والدعم.  
الشكر كذلك الى مريدو الطريقة العلوية على كل الدعم والمساعدة، وأخص بالذكر الشيخ الفاضل  
السعيد ملال على كل ما قدمه لنا من دعم.

# الإهداء

الى الوالدين الكريمن اطال الله في عمرهما

الى الزوجة الكريمة التي رافقتني وساندتني في انجاز هذا العمل منذ البداية

الى الابناء الأعزاء ندى، أيمن، اياد

الى أفراد العائلة والزملاء والأصدقاء

أهدي هذا العمل المتواضع

## فهرس المحتويات

### الإطار النظري للدراسة

1.....	مقدمة.....
10-2.....	الدراسات السابقة.....
13-11.....	الإشكالية.....
14.....	الفرضيات.....
19-15.....	الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية.....
20.....	المقاربة النظرية للموضوع.....
23-21.....	تحديد المفاهيم.....

### الفصل الأول: الإسلام الصوفي قيم ثابتة وأدوار متعددة

#### المبحث الأول

24.....	تمهيد.....
29-25.....	1-مدخل مفاهيمي بين الدين التدين والإسلام.....
49-30.....	2-الدين، المجتمع، التنمية حقول متباينة وعلاقات متداخلة.....
54-50.....	3-الإسلام بين الطابع الرسمي والممارسة الشعبية.....

#### المبحث الثاني

65-54.....	1-التصوف النشأة والدور.....
74-66.....	2-الزوايا مؤسسة دينية وأدوار اجتماعية.....
77-74.....	3-الزاوية العلوية مؤسسة تقليدية في نمط عصري.....
97-78.....	4-التجديد في خطاب الفكر الصوفي لدى الزاوية العلوية.....
98.....	خلاصة الفصل الأول.....

### الفصل الثاني: المقابلة الاجتماعية قيم ثقافية وبدائل تنموية

#### المبحث الأول

100-99.....	تمهيد.....
-------------	------------

- 1-المقاولة بين التعدد في المفاهيم والتداخل في العوامل.....103-101
- 2-خصائص المقاولاتية.....104
- 3- دوافع ومحفزات الفعل المقاولاتي.....108-105
- 4-أسس مميزات ومبادئ المقاولة الاجتماعية.....120-108
- 5- المقالة الاجتماعية مقارنة انثروبولوجية.....132-121
- 6- المقاولة الاجتماعية في الجزائر.....136-133
- 7- المقاولة الاجتماعية مقارنة تنمية.....145-137
- 8- نماذج عالمية لمقاولات اجتماعية.....151-145

#### المبحث الثاني

#### الثقافة والمقاولة الاجتماعية حقول متباينة وعلاقات متداخلة

- تمهيد.....152
- 1-2 الثقافة والمقاولة الاجتماعية.....166-152
- 2-2 الدين والمقاولة الاجتماعية.....173-166
- 3-2 المقاولة الاجتماعية في الفكر الصوفي.....186-174
- خلاصة الفصل الثاني.....187

#### الفصل الثالث: مؤسسة "ألف" مشروع نهضوي بطابع عصري لمؤسسة تقليدية

- تمهيد.....189-188
- 1- تاريخ نشأة وتطور مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي.....193-190
- 2- برامج مشروع مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي.....202-193
- 3- مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي نموذج مقاولة عصرية لمؤسسة تقليدية.....212-203
- 4- أبعاد المقاولة الاجتماعية للمؤسسة.....246-213
- مناقشة النتائج على أساس الفرضية الأولى.....248-247
- مناقشة النتائج على أساس الفرضية الثانية.....251-248
- نتائج الدراسة.....256-252

257.....	خلاصة الفصل الثالث
261-258.....	الخاتمة العامة
271-262.....	قائمة المراجع
282-272.....	الملاحق

# الإطار النظري للدراسة

مقدمة

الدراسات السابقة

الإشكالية

الفرضيات

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

المقاربة النظرية للموضوع

تحديد المفاهيم

## مقدمة عامة

عرف المجتمع الإنساني عبر تاريخه المعاصر سلسلة من الأزمات في المجالات المختلفة التي أفرزت العديد من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية مثل التسريح المكثف للعمال وارتفاع في معدلات البطالة وتوسّع الاقتصاد الموازي والتهميش، وتزايد نسبة الفقر والتسرب المدرسي والإقصاء والهجرة غير الشرعية، وتقلص حجم الطبقة الوسطى التي باتت رقعتها الاجتماعية تتحصر يوماً بعد يوم.

كلها ظروف وعوامل أسست لبروز نماذج وبدائل تنموية تنطلق من مشاريع لمبادرات محلية ووفقاً لسياق المحيط الاجتماعي والثقافي الداخلي، كممارسة إنسانية ارتبطت عند كل المجموعات البشرية منذ القدم بالعديد من الأبعاد والقيم ذات المرجعيات والمصادر المختلفة وبمعاني الخير والعمل الصالح والتي شكلت تراكمًا لرأس مال ثقافي ورمزي وروحي جعلت منه مورد يوظف السلوكات والممارسات التي تحث على العمل الإيجابي والسعي نحو تدبير اجتماعي يعود بالنفع على الآخرين إرضاءً لمشاعر ودوافع إنسانية داخلية. يُشار إليها في الحقل السوسيولوجي بالاقتصاد الاجتماعي التضامني أو المقاومة الاجتماعية التي تجمع بين النظرة الاقتصادية والغايات الاجتماعية.

وباختصار يمكن القول أن المقاومة الاجتماعية هي بنية اجتماعية برؤية اقتصادية تتأسس على المبادرات و الابتكارات الفردية والجماعية الحرة في شكل تنظيمات أو تجمع لأشخاص بطريقة منتظمة ومهيكلّة تُساهم في تقديم حلول ومعالجة مشاكل مطروحة، تتقاطع مع العمل الخيري والتضامني في الأهداف والمساعي وتختلف معه في الآليات والاستراتيجيات. هدفها اجتماعي تضامني إنساني غير ربحي بغية تحقيق أكبر قدر من إشباع الحاجات ، ترتكز على قيم العمل التشاركي والتضامن الإنساني وإعطاء قيمة للرأسمال البشري عوضاً عن الرأس المال المادي، ما جعل منها اتجاهاً سوسيو اقتصادي ثقافي لخلق الثروة وتجسيد المشاريع الخدمية.

والمجتمع الجزائري كبقية المجتمعات الإنسانية عايش منذ القديم أشكال مختلفة من الممارسات التضامنية والتعاونية والسعي نحو مساعدة الآخر وابتكار آليات في سبيله، كانت وبشكل دائم مكونا من مكونات الثقافة المتجذرة في المجتمع الجزائري منذ القديم تمثل جزءاً من تكوينه الثقافي التقليدي. وضمن بيئة فكرية وسلوكية تميّزت بنماذج وممارسات أسست لبدائل تجسّدت بعدة أشكال وممارسات اقتصادية واجتماعية تضامنية من خلال إنتاج أو تقديم خدمات لتحقيق رغبات الأفراد في الميادين المختلفة والتي تمتد في المجتمع الجزائري بأنماط ونماذج متعددة لعلّ أبرزها الكتابات والمحاكم القضائية خاصة في ظل غياب المؤسسات الرسمية والتي كانت تُوطّر في شكلها التقليدي من قبل المؤسسات الدينية والزوايا خاصة.

### الدراسات السابقة

لقد أكدت الكثير من الدراسات والأدبيات السوسولوجية التي اهتمت بجذلية العلاقة بين المقولة والثقافة ، أنّ للقيم الثقافية بشكلها العام دورا محفزا ودافعا يؤسس لبلورة روح وثقافة مقاولاتية تعد كمنطلق لتشكيل مشاريع مقاولاتية، و أن الدين ولكونه أحد أهمّ مكونات العناصر الثقافية للإنسان وباعتباره نظام حياة متكامل يُمارس تأثيرا على سلوك الأفراد وتفكيرهم واتجاهاتهم ومواقفهم من خلال تشجيع الأفراد على تبني مواقف وممارسات اقتصادية واجتماعية مرتبطة بالقضايا الاجتماعية والإنسانية وتحفيزهم للسعي نحو المبادرة في إنشاء المؤسسات ذات المصالح الاقتصادية او الاجتماعية والتضامنية.

• اذ تعد دراسة ماكس فيبر "MAX weber" (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية 1905) من أول وأبرز

الدراسات التي اهتمت بجذلية العلاقة بين القيم الدينية والتنمية و بروز العقلية الاقتصادية القائمة على الابتكار والإبداع. حيث اعتمد على المقارنة بين الطوائف الدينية وخلص إلى أن الطائفة البروتستانتية هي الأقرب إلى روح الرأسمالية كونها أنتجت قيما فكرية ومعايير أخلاقية وعقلانية جديدة شجعت على

العمل الحر والتزهد والادخار والالتقان في ممارسة الأعمال، وكونها انتجت مناخا فكريا وثقافيا ساعد على تطور النظام الاقتصادي الحر وعلى نمو وتطور الرأسمالية في أوروبا، وهي خصائص ومميزات لا تتوفر لدى الأديان الأخرى. وأن الميل نحو نوع معين من الوظائف والأعمال مرهون الى حد بعيد بطبيعة القيم الثقافية والتي تتأثر بطبيعة التربية التي تساهم في ترسيخها المبادئ الدينية، ما جعل من الطائفة البروتستانتية لما تحمله من قيم ومبادئ عقلانية وبما تمثله من قيم إيمانية وعقائدية تتحكم في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الأوربي. ما يجعل حسب فيبر من التربية على القيم الدينية أنجع وسيلة نحو التربية الاقتصادية، حيث تصبح قيم العمل المتقن مبدأ أخلاقي ورسالة تربية قبل أن تكون مصدر للرزق، وأن للقيم الدينية تأثيرا مباشرا على كل الميادين الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية وهنا يقول ماكس فيبر أن بروز السلوك المقاولاتي القائم على التحدي والمخاطرة تساهم في تجسيده القيم الدينية والأخلاقية لمواجهة الخوف من الفشل وعدم اليقين ولتحقيق النجاح وإثبات الذات. ويضيف فيبر أن موقف الفرد يتحول اتجاه العمل من كونه مصدرا للرزق إلى مصدر لتحقيق الخلاص والأمن النفسي، ما يجعل من الدين والقيم الروحية حسب فيبر ركيزة اساسية في تحقيق التغيير الاجتماعي والتمكين الحضاري ومصدر للتطور الانساني.

• كما تعد دراسة غاري تريبو (Gary TRIBOU, L'entrepreneur musulman 1995) بعنوان "المقاول المسلم ، الإسلام وعقلانية المؤسسة 1995 " حيث هدفت الدراسة لتوضيح أثر الثقافة الإسلامية على التوجه الاقتصادي للمقاولين على مستوى بعض الدول الإسلامية ، وقد أظهرت العلاقة القوية بين الإسلام وتسيير المقاول لمؤسسته ، وأن هناك توافق بين الإسلام والبروتستانتية في تأثيراتهم على تشكيل روح المؤسسة، وأشار إلى أن المقاول المسلم إضافة إلى تميّزه بالاعتقاد والخضوع لله فإنه يتميز بالحرية و الفردانية والعقلانية في التسيير الاقتصادي ومواجهة المخاطر . وأن الإسلام يحث ويشجع وبيبارك العمل ويربط بينه وبين الإيمان ويدعو إلى الإلتقان، الإبداع والابتكار عوض الاتكال.

• وفي نفس الاتجاه تعد دراسة الباحث هيلين روز ايبو 2015 عن "تجربة حركة فتح الله غولن" كحركة صوفية قامت على مقارنة تعتمد المقابلة الاجتماعية التضامنية لتحقيق تنمية اجتماعية، حيث تمكنت من إنجاز عديد المشاريع الخدمائية المتنوعة من مدارس وجامعات ومستشفيات ومنظمات إغاثية ذات بعد عالمي جعل منها حركة صوفية لنموذج تنموي عبر استخدام وسائل عصرية وتكنولوجية، وكل هذا من خلال توظيف واستثمار الموارد الفكرية للجماعة في تشجيع أنماط تنموية ضمن مقارنة اجتماعية عن طريق جماعة الخدمة.

• كما توصل روبرت بوتنام " Robert D Putnam " في دراسة ميدانية في إيطاليا عام 1993 والتي استمرت حوالي عشرين سنة إلى أنه توجد علاقة بين الثقة المتجذرة بين الأفراد و الانخراط في الجمعيات الطوعية من جهة ورأس المال الاجتماعي ، وأن عنصر الثقة يُعد منطلقا لتأسيس رأس مال ديني ،وقد أكد روبرت بوتنام أن الجماعة التي يكون أعضاؤها جديرين بالثقة سوف تكون أكثر قدرة على الإنجاز بالمقارنة مع الجماعات الأخرى التي تفتقر إلى الثقة بين أفرادها ما يزيد من قوة المنظمات غير الهادفة للربح ،هذه الثقة التي تتطور من خلال القيم الدينية التي تبلور توجهها إيجابيا نحو الآخر .

• وفي نفس السياق توصلت الباحثة انجي محمد عبد الحميد في دراسة لها بعنوان " دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي 2009" إلى أن مصادر الرأس المال الاجتماعي متعددة وأكثرها تأثيرا يتكون عبر الروابط الاجتماعية غير الرسمية مثل الأسرة والدين وجماعة الجيرة. وأن رأس المال الاجتماعي بمصادر تشكله المختلفة له دور محوري في مساعدة كافة فئات المجتمع المصري خاصة الفئات الأقل حظا في التكيف مع ظروف المجتمع. حيث شكّلت الروابط والعلاقات غير الرسمية بالنسبة للفقراء والمحتاجين شبكة للضمان الاجتماعي يلجأ إليها الفقراء لمواجهة أزماتهم من خلال النشاطات ذات الطابع الاجتماعي والتضامني والتي لولا هذه الروابط لشهد المجتمع المصري موجات من عدم الاستقرار.

• كما توصل جاسم محمد في دراسة له بعنوان "أسس الاقتصاد الاجتماعي التضامني 2017" بالعراق أن مصطلح الاقتصاد الاجتماعي التضامني حديث النشأة لكنه قديم قدم البشرية كممارسة حيث له صلة وثيقة بالتضامن والتكافل الاجتماعي وأعمال الخير والبر والتأمينات الاجتماعية، وهذه المصطلحات قديمة النشأة قدم المجتمعات البشرية. إذ ترجع جذورها الأولى إلى الحضارات القديمة سواء كانت في الشرق وفي الغرب إضافة إلى النص عليها في الأديان السماوية المختلفة. وأن للاقتصاد الاجتماعي والتضامني بدايات وأسس نجدها منذ الحضارات الأولى للإنسان وترتبط بصورة وثيقة بالمجتمع الإنساني. إذ لا تقتصر على الفكر الغربي وإنما نجدها في الدين الإسلامي الحنيف كما نجد تطبيقاتها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده.

• وفي نفس الاتجاه توصل خالد عبد الفتاح عبد الله في دراسة له بعنوان "قيّم العمل الأهلي في مصر 2005" إلى أن المجتمع المصري شهد الابتكار الاجتماعي المنظم بمؤسسات على مدار تاريخه وفي أشكال مختلفة تمثلت خاصة في مؤسسات نظام الوقف والطرق الصوفية وطوائف الحرف. كما توصل إلى أن الطرق الصوفية لا زالت تمارس المهام الاجتماعية على الرغم من بروز مؤسسات حديثة أخرى عبر توظيفها للقيم الخلقية الدينية وأعطت للعمل الأهلي الاجتماعي بعداً أخلاقياً.

• وهو نفس ما توصل إليه كل من علاء فرحان طالب وفيصل علوان الطائي في دراسة لهما بعنوان "دور القيادة الروحية في تحقيق الريادة الاجتماعية 2016" إلى أن القيادة الروحية تعتبر من مصادر الإلهام والتأثير في العاملين وضمان الاستجابة الطوعية، كما تستخدم القيادة الروحية كمصدر لتحقيق مناخ للتفاعل الإيجابي بين المنظمات والمجتمعات العاملة فيها، كما توصلت الدراسة أن للقيادة الروحية دور في تحقيق الريادة الاجتماعية وذلك بفضل عامل الثقة بين القيادة والمستخدمين والذي يعد عاملاً أساسياً في نجاح مشاريع الريادة الاجتماعية. كما أن العتبات المقدسة أسهمت في تعبئة النفوس وتهذيبها ما ساعد في خلق السلوك الريادي .

• وفي نفس الإطار توصل الأستاذ راجعي مصطفى في دراسة له بعنوان "التدين وثقافة النمو الاقتصادي في الجزائر 2010" أن التدين يشجع على التعاون والمشاركة في المجتمع المدني وغرس روح التسامح واحترام القواعد القانونية للمجتمع. كما يؤثر التدين الصوفي على تأييد مبدأ المساواة والتسامح والاندماج الاجتماعي والاقتصادي.

• وهذا ينسجم مع ما توصلت إليه الباحثة عرايش زينة في دراسة تحت عنوان "الريادة والمسؤولية الاجتماعية حسب المنظور الإسلامي 2013" إلى أن المقال الجزائري يعتمد على توظيف رصيده الثقافي الإسلامي في ممارساته اليومية في تسيير مؤسسته لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية. وهو نفس ما توصل إليه الباحث كمال المنوفي في دراسة مسحية لفلاحي منطقة رمانة والهيمن بالريف المصري بعنوان "الإسلام والتنمية دراسة ميدانية لإشكالية العلاقة بين التدين والتنمية 1983". حيث توصل الباحث إلى أن التدين لا يُمارس تأثيرا سلبيا على التنمية، وأن الدين يمنح الفلاح المصري زادا روحيا يقوي أزره في مواجهة الضغوط الخارجية ويحقق له نوعا من الراحة النفسية حينما يضيق به الحال بما يوفر له من آمال آجلة، وأن ممارسة الطقوس الدينية تفضي إلى طرح البركة في المحصول والأولاد والأنعام ومجابهة اللايقين.

• كما توصل الأستاذ عبد القادر بن عزوز في دراسة له بعنوان "معالم الاقتصاد التضامني والاجتماعي أسسه ونتائجه 2006" إلى أن الزاوية العلوية كمؤسسة مدنية اعتبارية تقوم على بناء الفرد المنتسب للطريقة للمشاركة في عملية الاقتصاد الاجتماعي التضامني عبر التربية وملاحظة تصرفات الشيخ، ومساهمته في عملية التكافل الاجتماعي ودعوته للعمل والمساهمة في الوصول به إلى تحقيق ذاته واستقلاله، ثم مشاركته في بناء منظومة اقتصادية تساهم في الاقتصاد التضامني الاجتماعي عبر مشاريع التأهيل المهني والفلاحي وغيرها.

• وفي نفس الاتجاه توصل الباحث محمد رؤوف قاسمي الحسني في دراسة له بعنوان "الاقتصاد التضامني

الاجتماعي نموذج زاوية الهامل ومعهدا 2010" إلى أن الدراسات الغربية في ميادين الاقتصاد التضامني الاجتماعي قد سبقتها مؤسسات الزوايا في المجتمع الجزائري في التعامل بهذا التنظيم من خلال توظيفها لقيّمها الرمزية الدينية في تسيير متطلبات شؤون الحياة. حيث توصل إلى أن الزاوية تأسست على التعليم وقامت على نظام اجتماعي مبني على الود والتآزر والمحبة بين العامة، وعملت على زيادة تربية نفوس الناس وفي ترفيتهم وتنظيمهم و تأطيرهم في وحدة جماعية دعمت توزيع الأدوار والوظائف بينها وقنّنت طرق أسلوب الحياة اليومية، وحافظت على تركيبتها البشرية ووحدة خطابها المتوارث عبر الزمان من خلال السعي إلى نشاط خدمي للصالح العام وليس مبنيا على الربح بقدر ما يركز على ترسيخ التربية الروحية، حيث تساءل كيف لزاوية تقع في دشرة صغيرة منعزلة ترتقي إلى مستوى مؤسسة علمية، وكيف انتقلت من زاوية محصورة في إطارها التقليدي إلى مؤسسة إبداعية ذات هدف تعليمي.

• كما توصل الباحث عبد العزيز راسمال في دراسة له بعنوان "الإطار البيئي والجغرافي للاقتصاد

التضامني الاجتماعي في الجنوب الجزائري الغربي 2012" من خلال دراسة سردية لتاريخ الزوايا الموجودة بمنطقة الجنوب الغربي التي تمتد عبر الأطلس الصحراوي لولايات البيض والنعامة. إذ كانت تمارس هذه الزوايا الاقتصاد التضامني الاجتماعي باعتمادها على الأحباس والأوقاف والأملاك الزراعية والحيوانية ونموذج القبض والوعدة كآليات وموارد أساسية للزوايا. ليتوصل الباحث إلى أن تشكّل الظاهرة التضامنية في المجتمع التقليدي كان لها علاقة خاصة بالانتماء المرابطي والشريف للعائلات النخبوية ودورها في تشجيع الأتباع في تدعيم هذا الانتماء من خلال الهبات والندور والقبض الذي يقدم خلال هذه المناسبات من خلال المزج بين الهوية والمقدس.

• وهو نفس ما توصل إليه جيلالي صاري في دراسة له بعنوان "الاقتصاد التضامني أثناء الاحتلال

الفرنسي 2010" من خلال إلقاء الضوء على بعض التجارب أو نماذج المبادرات التضامنية في المجتمع

الجزائري في مرحلة الاستعمار ودوره في معالجة المشاكل المطروحة ومن ضمنها مشكل الأمية. وكيف أن هذه الابتكارات التضامنية حافظت على استمراريتها في أشكالها التقليدية بل أنها عرفت اعتماد طرق متطورة كما هو الأمر بالنسبة للزوايا والمدارس القرآنية. إذ سرعان ما تطورت هذه الأشكال التضامنية وأخذت اعتماد طرق حديثة وأكثر نجاعة وصواب مثل الأندية والتي لعبت الدور الهام على المستويين الاجتماعي والثقافي معًا. إذ قدم نماذج لبعض هذه النوادي التي اهتمت بالتعليم في إطار تضامني كنادي الشبان الجزائري 1970 ودوره في نشر وتعليم اللغة العربية، نادي السعادة الذي أصبح مقر للمعرفة والتكوين والترويج تقام فيه العروض والأفكار للنقاش وفيه انعقد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا، وكذا الجمعية الخيرية السنوسية عام 1924 وجمعية أحباب الكتاب عام 1927. كما توصل الباحث إلى انه وبالرغم مما عاناه المجتمع الجزائري من جوع وطغيان ومصادرة لحرية، إلا أن المؤسسات التضامنية قدمت الكثير من الخدمات الاجتماعية التضامنية والتي ساهمت من خلالها في تغذية العقل وإثبات القيم والمبادئ السامية التي نص عليها كتاب الله والسنة الشريفة.

• كما توصل في نفس الإطار عيسى بن الأخضر رئيس جمعية الإرشاد في دراسة له بعنوان "تجربة العمل الاجتماعي والتربوي لجمعية الإرشاد والإصلاح 1999" أن الجمعية المعتمدة عام 1989 كجمعية اجتماعية تربوية ثقافية وظّفت الرصيد الاجتماعي والثقافي والقيم الحضارية والدينية للمجتمع لتحقيق الكثير من النتائج والأنشطة كتنظيم الزواج الجماعي، وفتح دور الحضانة ورياض الأطفال وعشرات المدارس لتحفيظ القرآن الكريم، وورشات لتكوين النساء الحرف اليدوية والمنزلية ومدارس وأقسام محو الأمية عبر كامل القطر الوطني، إضافة إلى النوادي الرياضية واللجان الطبية، كما اهتمت بالمهرجانات الثقافية والوطنية.

كل هذه الدراسات تناولت موضوع المقاولات الاجتماعية بصيغ ومفاهيم متعددة، لكنها أكدت على القوة الرمزية للدين كسلطة معنوية وقوة روحية وبنية فكرية مؤثرة في حياة المجتمع يرتكز على مبادئ وأسس

توفر دفعا يحفز نحو العمل الاجتماعي التضامني. حيث ركزت البعض من هذه الدراسات بالدرجة الأولى على أهمية الدين والقيم الروحية في تحقيق التنمية وعلى المقابلة في شقها الاقتصادي، في حين ركزت البعض منها على دور الدين في المقابلة الاجتماعية وأن السعي نحو المبادرات التضامنية الاجتماعية سمة بارزة في ثقافة المجتمع العربي منذ القديم. في حين ركزت البعض منها على بعض النماذج التي جسدت أسس الاقتصاد التضامني الاجتماعي او المقابلة الاجتماعية من خلال ما بادرت به المؤسسات الدينية من خلال السعي إلى تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية وتعليمية تتماشى وطبيعة الاحتياجات العينية لتلك الفترة ، لكنها أغفلت أو لم تركز على دور ومكانة الإسلام الطريقي الشعبي والتدين الصوفي كنموذج يُجسد و يُعزز الروح الريادية التي تسعى دائما لابتكار أفكار جديدة غير مستهلكة وخدمات غير معروفة بطريقة مهيكلة ومنظمة وفق ما تتطلبه الأنظمة العصرية كمؤسسات اقتصادية تنتج خدمات وسلع وتحقق أرباح تستثمر جزء منها في الجانب الاجتماعي التضامني وهو ما يُشير لفكرة المقابلة الاجتماعية ، حيث أغلبها كان نشاطها يتقاطع مع مفاهيم التطوع والعمل الخيري والاجتماعي التضامني . إلا أننا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبراز دور التدين الصوفي ممثلا في الزاوية العلوية في تجسيد الثقافة المقاولاتية خاصة في جانبها الاجتماعي برؤية مؤسساتية وعصرية للمفهوم، والدليل أن تاريخ هذه الزاوية هو تاريخ مقاولاتي من خلال عديد النماذج التي سعت من خلالها إلى إنشاء الكثير من المبادرات والمؤسسات الخاصة كمؤسسة "ألف" والتي اهتمت بمجال الذكاء الاصطناعي والبرامج التقنية وهو مجال غير معهود لدى الزوايا في تلك الفترة، كتقنية تُبرز بدائل جديدة في نشر الثقافة الإسلامية وتعزز ثقافة المقابلة الاجتماعية كونها جمعت بين الهيكل الاقتصادي والتنظيم الإداري كمؤسسة اقتصادية عصرية منظمة تحقق أرباح وتستثمر جزء من مداخنها في الإطار الاجتماعي التضامني ، مستندة ومستغلة في ذلك التراث الروحي الصوفي و المرجعية الثقافية والدينية والتاريخية للمجتمع الجزائري. كما نسعى إلى الكشف عن مدى تبني هذه المؤسسة التقليدية لتصور منهجي لأبعاد المقابلة الاجتماعية المتمثلة في البعد

الاجتماعي والاقتصادي والإداري متجاوزة بذلك استقبال الموارد وتوزيعها إلى تحويل الابتكار لثروة واستثمار اجتماعي وذلك وفقا للمقاربة النموذجية للمقاولة الاجتماعية التي وضعها كل من ( jacques defourny. Carlo Borzaga.2001)\* . أم أن نشاطاتها تدخل ضمن النشاطات التقليدية التي كانت تقوم بها أغلب الزوايا في إطار العمل الخيري التطوعي التقليدي الذي يقوم بالأساس على استقبال الصدقات والهبات وتوزيعها دون استثمار أو توظيف. كما نسعى إلى الكشف عن ملامح التجديد في الفكر الصوفي عبر الزاوية العلوية كمؤسسة رمزية تقليدية ذات بعد ثقافي وروحي، ونموذج لمؤسسة تقليدية بادرت إلى إنشاء مقاولة اجتماعية تهتم بإدخال تكنولوجيا بيانات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بطريقة مبتكرة والأولى من نوعها في المجتمع الجزائري بل والعربي في مجال رقمنة التراث الروحي الإسلامي. عبر ابتكار برامج تقنية من خلال الوسائط التكنولوجية الحديثة، وهذا كله بمشاركة جماعة من الشباب المسلمين بطريقة مجانية تطوعية في فترة مبكرة في حياة المجتمع الجزائري وهذا كله بهدف إعادة نشر بيانات التراث الروحي والتعريف به، كما نسعى إلى البحث عن مدى مساهمة القيم الصوفية في التأسيس للثقافة المقاولاتية في شقها الاجتماعي ضمن محتويات التربية الصوفية.

\* Jacques defourny : أستاذ الاقتصاد في جامعة لياج ببلجيكا ،ترأس مركز الاقتصاد الاجتماعي،

وانشأ شبكة الأبحاث الأوروبية EMES والتي تظم 15 مركز بحث تعمل في مجالات المقاولات الاجتماعية والاقتصادي والاقتصادي الاجتماعي التضامني. كما ألفت ونسق العديد من الكتب حول الاقتصاد التضامني والاجتماعي،

: Carlo Borzaga

خريج العلوم الاجتماعية ومتخصص في الاقتصاد. أستاذ متفرغ للسياسة الاقتصادية بجامعة توريننتو كندا كلية الاقتصاد منذ عام 2001، ترأس ونسق اعمال المعهد الأوروبي للبحوث حول المؤسسات التعاونية وغير الربحية.

## الإشكالية

لقد أصبح موضوع المقاولاتية بشكله العام يُثير الكثير من الجدل كونه عملية معقدة قائمة على تفاعل وتداخل العديد من العوامل والمتغيرات ذات المصادر المختلفة، ومن المفاهيم الأكثر تداولاً في الحقل الاقتصادي إلا أن علم الاجتماع حاول ومنذ فترة عبر كتابات ماكس فيبر تقديم مقاربات تتجاوز البعد الاقتصادي التقني والمادي والبحث في مقاربات سوسيو ثقافية، أي بتقديم بدائل للطرح الذي يرى أنها وحدة اقتصادية فقط إلى كونها بنية اجتماعية تتفاعل فيها الكثير من العناصر الثقافية والأبعاد الإنسانية. هذا الذي يجعل من المقولة ظاهرة سوسيو ثقافية اقتصادية معقدة وموضوع متعدد المداخل والمقاربات والمجالات العلمية المتخصصة ومنها مجال علم الاجتماع. لكون سلوك واتجاهات الفرد المنشئ للمؤسسة هو نتاج لمؤثرات متعلقة بالوسط الذي ينتمي إليه ومقومات بيئته الفعلية التي يتشكل فيها كالمحيط الاجتماعي والأسري التربوي والثقافي وكذا القيم والعادات والمعتقدات الدينية والروحية التي يتبناها، وأن ممارسة الأعمال وبمختلف أشكالها هي انعكاس للمرجعية الثقافية بأبعادها وتأثيراتها التي تطبع أنماط التفكير والممارسة لأفراد المجتمع.

إن النشاط المقاولاتي و إنشاء و ابتكار مؤسسات جديدة حسب الكثير من الدراسات (max weber 1905)، (1995 BRIJET berger) (1990 Renard sain Saulieu)، (1994 HOFSTEDE Geert) ( Gary ) (1995TRIBOU)، (2004 Régie moreau) (بدر اوي سفيان 2014) (احمد هني 1993)

(عز الدين تونيس و خليل أسالا 1997) وغيرها يُعد ظاهرة سوسيو ثقافية ونتاج لتراكم ثقافي وقيمي يتأسس عبر العديد من المرجعيات والبواعث والمحددات تعد كمحفزات ودوافع ترتبط بالجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لعل أبرزها المعتقدات الدينية والتي يُعد ماكس فيبر أول من أكد على أهميتها كعامل ثقافي ذي أهمية في إحداث تحول اقتصادي وتطور اجتماعي وعامل محوري في تفسير التباينات التنموية في الوسط الاجتماعي انطلاقاً من معطيات إحصائية مقارنة.

ما يؤسس إلى أن معالجة موضوع المقاولاتية في شكله العام لا يمكن اختزاله أو حصره وفقا لمقاربة ومدخل وحيد أو اعتماد أسلوب تفسيري واحد يرتكز على البعد الاقتصادي المادي، بل يتعداه إلى الخوض في معالجة المقولة عبر المداخل والمقاربات النظرية الأخرى ومنها المدخل الثقافي في بعده الديني والروحي، من منطلق أن الدين إطار منظم لحياة الناس والنظم الاجتماعية في مجالاتها المختلفة ، يزود الإنسان بتوجيهات سلوكية ومبادئ أخلاقية .وكأحد المصادر المبلورة لشخصية وكيان الانسان وذات التأثير القوي على مواقف واتجاهات الأفراد من خلال تشجيع وتحفيز وترغيب ودعم الناس على تبني مواقف وممارسات اقتصادية ومنها إنشاء المؤسسات وخاصة ذات البعد الاجتماعي التضامني وغير الهادفة للربح.

إن هذه المبادرات والابتكارات لم تقتصر فقط على المؤسسات الرسمية بل لها امتداد تاريخي في التراث الثقافي المحلي الجزائري عبر المؤسسات التقليدية ومساهماتها في التنمية المحلية وتعزيز نشر الممارسة المقاولاتية في إطارها الاجتماعي والتضامني في أبسط تجلياتها لعل أبرزها الزوايا ومنها الزاوية العلوية كمؤسسة دينية رمزية وفضاء روحي اعتباري وتراث ثقافي حاملة للمنهج الصوفي الذي يستمد مبادئه الفكرية من الإسلام. والتي أضحت تملك مساحة واسعة في حياة قطاع واسع من أفراد المجتمع الجزائري نتيجة تأثيرها على وجدان الناس وقيّمهم، باعتبارها من أهم المؤسسات الروحية والرمزية في حلة عصرية والتي حافظت على الهوية الحضارية للشخصية الجزائرية خاصة في مرحلة غياب المؤسسات الرسمية عبر ممارسات اجتماعية تضامنية من خلال أدوارها الدينية التربوية التعليمية والاجتماعية والتكوينية. وكلها أشكال ومبادرات قدمت حلول وخدمات ذات طابع اجتماعي وتربوي تضامني وبشكل مجاني، والتي أصبحت مع مرور الوقت تحمل مفهوم المقاولاتية في أبسط تجلياتها. وفي ظل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري فرض على الزاوية مسايرة هذه التحولات في وظائفها وعلاقاتها وأنشطتها وهيكلتها لتتسجم مع طبيعة هذه التحولات من خلال الاهتمام بقضايا ومجالات اقتصادية و تنموية معاصرة في

إطار يمزج بين التراث والمعاصرة من خلال ابتكار بعض المشاريع ذات الطابع الاقتصادي الاجتماعي والتضامني وأسهمت في إيجاد مبادرات مقاولاتية اجتماعية وتضامنية ، وهنا تبرز "مؤسسة ألف للإعلام الآلي" كنموذج من أهم النماذج أو المؤسسات والتي سعت منذ البداية لحمل لواء استغلال مجال تكنولوجيا الإعلام الآلي في إطار التضامن الاجتماعي و السعي لرقمنة المعطيات الإسلامية عبر ابتكار عديد البرامج الرقمية التي سعت لتحقيقها بإدخال تراث وتاريخ الحضارة الإسلامية في الحاسوب الآلي (علوم القرآن، علوم الحديث، تاريخ الأعلام، و الفقه الإسلامي) بغية السعي إلى تقديم خدمات معرفية وفقهية في سبيل تسهيل البحث في بيانات القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتسهيل تعلم العلوم الفقهية المرتبطة بأركان الإسلام ، إضافة إلى تسهيل ضبط مواقيت الصلاة واتجاه القبلة والصيام ومختلف الأعياد الدينية على مستوى الكرة الأرضية ، والتعريف بأعلام الإسلام بطريقة رقمية تكنولوجية سابقة لزمانها ، وهذا كله بطريقة مجانية تطوعية تضامنية بين جماعة من المسلمين يؤطّروهم شيخ الزاوية العلوية ضمن بنية تنظيمية غير هادفة لتحقيق أرباح أو فوائد وبعتماد موارد الزاوية الخاصة، ومن هذا المنطلق فإذا كانت المقاولات الاجتماعية تركز على مجموعة من الخصائص والمبادئ التي تميزها عن بقية النشاطات الخيرية الأخرى، كما تستلزم استحضار مجموعة موارد تمثل دوافع وحوافز ذات مصادر متعددة منها البعد الثقافي في مفهومه الشامل. فإن هذه الدراسة تسعى للإجابة عن التساؤل المركزي التالي: ما مدى تجسيد مؤسسة "ألف" التابعة للزاوية العلوية للعناصر المطلوبة في المقولة الاجتماعية

ضمن أطر الثقافة الصوفية؟

والذي تتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

✓ ما مدى تجسيد البعد الاقتصادي في مؤسسة ألف كمقولة اجتماعية؟

✓ ما مدى ظهور البعد الاجتماعي في مؤسسة ألف بصفقتها مقولة اجتماعية؟

✓ ما مدى بروز البعد الإداري في مؤسسة ألف بصفقتها مقولة اجتماعية؟

✓ إلى أي مدى ساهمت قيم التربية الروحية الصوفية في بروز المقاومة الاجتماعية عبر مؤسسة

ألف؟

### الفرضيات

• جسدت مؤسسة ألف أبعاد المقاومة الاجتماعية (البعد الاقتصادي، الاجتماعي، الإداري)

• تساهم القيم الروحية الدينية في دعم فكر المقاومة الاجتماعية

• يحوي التدين الصوفي قيم وعناصر فكرية تدعم وتؤسس لثقافة المقاومة الاجتماعية

### أهداف الدراسة:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث في تاريخ المقاومة الاجتماعية في المجتمع الجزائري وإبراز دور التدين الصوفي ممثلاً في الزاوية العلوية في تجسيد الثقافة المقاومانية خاصة في جانبها الاجتماعي. كما نسعى للكشف عن تاريخ الابتكارات الاجتماعية للزاوية من خلال الإحاطة ببعض النماذج والمبادرات التي بادرت إلى إنشائها عبر تاريخها والتي تعزز ثقافة المقاومة الاجتماعية، كما نسعى إلى البحث العلاقة بين المقاومة الاجتماعية والفكر الصوفي عبر نماذج ميدانية من تاريخ وسيّر المتصوفة ومن خلال العمق الفكري للمتصوفة، كما نسعى إلى تقديم قراءة للمسار التاريخي ومراحل التطور التي عرفتھا الزاوية وأهم ملامح التحول وانتقالها من التقليد إلى التحديث عبر مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي وظروف نشأة وتطور المؤسسة كمقاولة اجتماعية ابتكرت برامج تكنولوجية ومدخل لرقمنة المعطيات الإسلامية وفق رؤية تجسد البعد التضامني لمؤسسة تقليدية في نمط عصري. وأهم النشاطات والإنجازات التي حققتها. وهذا كله بهدف المساهمة في كتابة تاريخ مؤسسة غير موثّق وصولاً إلى الكشف إلى أي حد تبنت الزاوية العلوية العناصر التي تعكس أبعاد المقاومة الاجتماعية وفق المقاربة المعتمدة.

## أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة في كونها تسعى للكشف عن واقع المقابلة الاجتماعية التضامنية وتاريخها وأهم التحولات التي عرفت كآلية من آليات التنمية وكيفية ممارستها في المجتمع الجزائري التقليدي منذ القديم. كما تسعى لإبراز دور ومكانة الإسلام الطريقي والتدين الصوفي كنموذج يجسد ويعزز الثقافة المقابولية الاجتماعية عبر الزاوية العلوية كمؤسسة صوفية تقليدية سعت لتجسيد المبادرات التضامنية في إطار استغلال رأسمالها الثقافي و الرمزي ممثلا خاصة في التربية الصوفية والقوة الروحية والرمزية للزاوية والشيخ. كما تظهر أهمية الدراسة في الكشف عن واقع المقابلة الاجتماعية في العالم من خلال تقديم نماذج واقعية للعديد من الدول والمؤسسات التي تجسد فكرة المقابلة عبر الخدمات التي تقدمها، ومنها مؤسسة ألف كنموذج حاولت عبره الزاوية العلوية تجسيد ملامح التدبير الاجتماعي منذ مراحلها الأولى.

## منهجية الدراسة

لكون المنهج هو الطريق الذي يتبعه الباحث في دراسته للمشكلة البحثية بهدف اكتشاف الحقيقة ضمن خطوات ومراحل معينة. فإن طبيعة هذه الدراسة المرتبطة بمرحلة تاريخية معينة وأهدافها التي تسعى لجمع وقائع وبيانات تاريخية غير موثقة، وخصائصها السوسولوجية لكونها تختص بدراسة حالة لمؤسسة بادرت إلى ابتكار نماذج تنموية ذات غايات وأهداف اجتماعية تربية تستلزم اعتماد من جهة منهج دراسة الحالة كون "مؤسسة ألف" تمثل نموذج لحالة أو وحدة لمؤسسة نسعى لدراستها بشكل تفصيلي من كل جوانبها، كون منهج دراسة الحالة يعد "نوعاً من البحث المتعمق في العوامل التي تؤثر في ظاهرة فردية أو وحدة اجتماعية أو جماعة أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمع محلي"<sup>1</sup>. بحيث تكون دراسة تفصيلية عميقة لجميع جوانب الظاهرة والخروج بتعميمات تنطبق على الحالات المماثلة لها. كما يعطي المنهج المعتمد إمكانية دراسة "مؤسسة ألف" دراسة شمولية مستفيضة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي أو الظاهري. ما قد يساهم في تقديم معلومات تساعد على فهم الحالة بصورة أكثر عمقا مما تقدمه مناهج البحث الأخرى.

كما نعتمد المنهج التاريخي لكون المعلومات المراد جمعها تتعلق في جانب منها على السرد التاريخي لأحداث ووقائع جرت في فترة زمنية امتدت عبر سنوات إلى دراسة تاريخ المؤسسة والمسار الذي عرفته بدءاً من نشأتها إلى غاية وضعها الحالي من خلال استعراض لكترونولوجيا تطور مشروع "ألف"، بسرد التاريخ القائم على شهادات الأفراد المؤسسين والمسيرين الذين عايشوا التجربة منذ نشأتها، والوقوف على أهم المراحل التاريخية لمشروع عصري اهتم بمجال تكنولوجيا الإعلام الآلي والذكاء الاصطناعي لإعادة التعريف بالمعطيات الإسلامية والتراث الروحي أنشأته مؤسسة تقليدية .

1-علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار الكتب الوطنية، الطبعة 1، ليبيا، 2008، ص 315

والمنهج التاريخي هو "الطريق الذي يتبعه الباحث في معلوماته عن الأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها وفي عرضها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج منها"<sup>1</sup>.

في حين اعتمدنا المقابلة كأداة في جمع البيانات كونها تتلاءم وطبيعة الموضوع والمنهج المعتمد كما تعد أهم أداة في جمع بيانات شفوية في هذه الدراسة، كونها تقوم على الاتصال المباشر والحديث المتبادل بين الباحث والمبحوث والمتمثلين في الأفراد الذين عايشوا اللحظة التاريخية لتجربة المؤسسة منذ بدايتها الأولى، كما عايشوا مراحل نشأتها وتطورها وأهم الإنجازات والمساهمات التي قدمتها، حيث تم اعتماد المقابلة الفردية الموجهة مع العينة المختارة بطريقة متنوعة كونها تتوفر على مجموعة خصائص وصفات محددة تتمثل في أنها عايشت تجربة مشروع ألف منذ بدايته كما شاركت في تنفيذ المشروع . فكانت خطوات إجراء المقابلة وفق المراحل والخطوات التالية:

#### 1-ضبط المشكلة البحثية والهدف من الدراسة

2-ترجمة السؤال العام والأسئلة الفرعية للإشكالية إلى ثلاثة أبعاد لقياس المبادئ العامة للمقابلة الاجتماعية والتي تُرجمت بدورها إلى مؤشرات تجسدت في بناء دليل للمقابلة. وهذا بتبني الباحث الأسس النظرية للمقاربة النموذجية التي وضعها (jacques defourny. Carlo Borzaga.2001) كما يلي:

#### البعد الاقتصادي: ويتضمن المؤشرات

- المؤسسة تقوم على نشاط مستمر لإنتاج سلع وخدمات
- تتحمل المؤسسة مستوى كبير من المخاطرة الاقتصادية
- المؤسسة تحوي مستوى أدنى من العمال مدفوعي الأجر

1-علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص281

**البعد الاجتماعي: ويتضمن المؤشرات**

-المؤسسة هدف صريح ومعلن من الخدمة للمجتمع المحلي

-المبادرات القائمة مصدرها مجموعة من المواطنين

-المؤسسة لا تسعى إلى توزيع الفوائد

**البعد الإداري: ويتضمن المؤشرات**

-المؤسسة درجة عالية من الاستقلالية المالية والإدارية وفي اتخاذ القرار

-تبني ديناميكية النمط التشاركي في سلطة اتخاذ القرار داخل المؤسسة 1

3-صياغة دليل المقابلة في شكله النهائي بعد إدخال التعديلات المطلوبة بناء على ملاحظات بعض

الأساتذة الذين عرض عليهم الدليل.

4-إعداد دراسة استطلاعية تجريبية بهدف التعرف على المؤسسة وجمع بيانات أولية عنها وعن الأفراد

الممثلين لعينة الدراسة الذين عايشوا فترة نشاط المؤسسة على المستوى المحلي، حيث كان لنا لقاء مع

الشيخ مولاي بن تونس مسؤول الاتصال بالزاوية العلوية .ومناقشة صياغة الأسئلة وترتيبها لقياس مدى

دقة ووضوح أسئلة الدليل .و تم تصنيف استمارة الدليل إلى أربعة أجزاء .الجزء الأول تضمن أسئلة حول

الشق التاريخي للمؤسسة وظروف نشأتها وأهم المراحل التي مرّت بها ، في حين خصصت الأجزاء 2-

3-4 لقياس أبعاد المقولة الاجتماعية الثلاثة المعتمدة بمؤشراتها .

---

1-jacques Defourny .Marthe Nyssens. Approche européennes et américaines de l'entreprise sociale une perspective comparative.Recma-revue internationale de l'économie sociale. N319.paris. France. 2010.page 23-24

حيث بلغ عدد العينة 12 فرد جرت معهم المقابلات بطريقة فردية تركز من جهة على جمع بيانات من خلال السرد التاريخي لوقائع وأحداث تاريخية عايشها المعينين في المؤسسة، ومن جهة أخرى بيانات حول المؤشرات المعتمدة. فوزعت المقابلات على فترات كل منها استمرت حوالي الساعتين تتخللها نقاشات واستفسارات ، والتسجيل المباشر مع العينة بواسطة آلة تسجيل .حيث كان اختيار العينة بطريقة قصدية لكون الموضوع يرتبط بشهادات تاريخية لأفراد معيّنين عايشوا فترة زمنية "لمشروع ألف" وفي فترة زمنية امتدت بين 1980 إلى 1992 ، وهي مرحلة عرفت نشاط مكثف لمشروع "ألف" ، ودامت الدراسة الميدانية من 05-11-2019 إلى غاية يوم 12-03-2020 ، وهذا كله لكتابة تاريخ غير موثّق لمؤسسة "ألف" كمؤسسة ذات طابع اجتماعي تضامني قدمت خدمات عصرية أنشأتها مؤسسة تقليدية (الزاوية العلوية)، حيث تتميز فئة العينة المبحوثة بمستوى تعليمي يتراوح بين الثانوي والجامعي ، وهو ما ساعدنا من حيث طرح الأسئلة وكتابة الإجابة بلغة المبحوثين. سعيا إلى إبراز كيفية تجسيد مؤسسة ألف لمبادئ المقولة الاجتماعية عبر الأبعاد الثلاثة (البعد الاقتصادي، البعد الاجتماعي، الإداري) بمؤشراتها المختلفة. والى كيفية مساهمة القيم الصوفية في تجسيد هذا المشروع.

## المقاربة النظرية للموضوع

نعتمد في هذه الدراسة المقاربة البنائية الوظيفية كروية سوسيولوجية تهتم بدراسة وتحليل البناء الاجتماعي من حيث الوظائف التي يقوم بها. تتطرق فكرة النظرية من أن المجتمع نظام مركّب متكامل يتكون من مجموعة أجزاء مترابطة وظيفيا، وكل جزء يقوم بوظيفة معينة وأية خلل في تأدية الأجزاء لوظائفها تؤدي إلى نوع من الخلل الوظيفي والذي يؤدي إلى حالة من اللاتوازن تؤثر على البناء الاجتماعي ككل. ما يعني أن النظرية البنائية تتطرق من فكرة أن كل عنصر يقوم بوظائف لتحقيق وإشباع حاجات المجتمع واستمراره وتطوره وبقائه وتوازنه، حيث لا يمكن فهم الجزء بمعزل عن الكل، وأن أي خلل في جزء من الأجزاء يؤثر على بقية الأجزاء الأخرى وعلى البناء الاجتماعي ككل. ما يعني بتعبير آخر أن كل جزء له إسهامات في تحقيق التوازن داخل المجتمع، هذه الإسهامات تكون على شكل مباشر أو غير مباشر فتكون ظاهرة أو كامنة على حد تعبير "روبرت ميرتون". إذ يمكن النظر للمقاربة الاجتماعية في هذا السياق باعتبارها أحد الأنساق الاجتماعية أو التنظيمات أو الأبنية الوظيفية التي تعمل على تحقيق مجموعة من الوظائف للمجتمع وتلبية حاجات ورغبات أعضائه التي لا يمكن الاستغناء عنها في استقرار المجتمع وتنميته ولتحقيق بقاءه وتوازنه، وإلى السعي باتجاه إشباع حاجات الأفراد وتحقيق نوع من التكامل والتآزر بين الأعضاء من خلال تشكيل نوع من الترابط والانسجام بين النسق الاجتماعي التضامني وبقية الأنساق الأخرى. لتشكل فيما بينها بناء اجتماعي منسجم ومتكامل ومتعاون، وهو ما يجعل من التدبير الاجتماعي التضامني عامل توازن واستقرار لسد النقص والعجز الذي قد يحدث نتيجة عدم قدرة أحد الأجزاء في تأدية وظائفه. وبالتالي تصبح نشاطات المقاربة الاجتماعية عاملا أساسيا في تحقيق نوع من التوازن والانسجام الاجتماعي والتكامل بين الأنساق.

## تحديد المفاهيم

### 1-المقاوله:

هي ذلك التنظيم الهادف إلى تحويل فكرة إلى إبداع وإنتاج سلع وخدمات جديدة لها قيمة مادية ومعنوية، تقوم على السعي نحو الابتكار واستغلال الموارد وتحمل المخاطرة. تتجسد في عدة أشكال منها المقاوله الاجتماعية.

### 2-المقاوله الاجتماعيه:

هي مجموعة الجهود المبذولة في المجال الاجتماعي التضامني بغية استحداث حلول مستدامة لمواجهة تحديات اجتماعية وإنسانية، لا تختلف عن ريادة الأعمال التقليدية فيما عدا كونها لا تركز على جني الربح كهدف أساسي بل تركز أكثر على المجتمع وليس النتائج التجارية، ونعني بها في هذه الدراسة مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي التابعة للزاوية العلوية المتواجدة في مدينة مستغانم

### 3-الإسلام:

لغة: يعني الاستسلام والإنقياد للطرف الأقوى والأكثر عظمةً وقدرةً وحكمةً. اصطلاحاً: هو الإقرار بالتوحيد مع التصديق والتعبد لله تعالى والتزام شريعته. وهو الرسالة الخاتمة التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم. ونعني بالإسلام في هذه الدراسة الإسلام الصوفي ممثلاً في الزاوية العلوية

### 4-الزاوية العلوية:

معلم صوفي جزائري تأسست سنة 1910 على يد الشيخ احمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي (1869-1934)

5-مؤسسة "ألف" Alif info

هي بنية تنظيمية ذات طابع اقتصادي وأهداف اجتماعية تضامنية تأسست عام 1976، ابتكرت مؤسسة لتصميم بنك عالمي للمعطيات الإسلامية بهدف المحافظة على التراث الإسلامي و رقمته بواسطة استخدام تكنولوجيا الإعلام الآلي والذكاء الاصطناعي ضمن ابتكار برامج تقنية تُقدم بشكل مجاني لتسهيل من عملية البحث والوصول إلى البيانات المتعلقة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكل ما يتعلق بفرائض الإسلام والمواقيت وأعلام الإسلام.

## تنظيم الدراسة

لمعالجة هذه الدراسة ننتقل بالإطار النظري حيث نعرض فيه إشكالية الدراسة والفرضيات المقترحة مع الإشارة لأهم الدراسات التي تناولت الموضوع. على أن نتطرق في الفصل الأول لموضوع الدين بضبط مفاهيم الدين والتدين والإسلام، ولنميّز بين خصائص الإسلام الرسمي والتدين الشعبي والذي يتجسد عبر التدين الصوفي ومؤسسات الزوايا الحاملة للمنهج الصوفي. ثم ضبط حدود العلاقة بين الدين والمجتمع وكيف يؤثر على تحقيق التنمية من خلال التراث النظري الذي يؤسس لهذه العلاقة، على أن يتم التركيز في الجزء الثاني على التصوف وتاريخ نشأته ومراحل تطوره، وكيف سعى أهل التصوف إلى تجسيد الفكر المقاولاتي الاجتماعي عبر عديد النماذج من خلال التعرض لنموذج الزاوية العلوية وتاريخها الاجتماعي التضامني، على أن نناقش حدود العلاقة بين الفكر الصوفي والمقولة الاجتماعية ضمن الأدبيات التي تناولت الموضوع.

في حين نركز في الفصل الثاني على موضوع المقولة الاجتماعية كشكل من أشكال المقولة من خلال التطرق لمفهوم المقولة في شكلها العام، على أن نركز على مفهوم وتاريخ المقولة الاجتماعية وتطورها التاريخي في العالم والمجتمع الجزائري. ثم نبرز واقع المقولة الاجتماعية في العالم وعرض بعض النماذج العالمية التي جسدت مبادئ المقولة الاجتماعية، ثم تحليل العلاقة بين المقولة الاجتماعية والثقافة وعلاقتها بالدين وكيف ساهم التدين الصوفي في إبراز المقولة في شقها الاجتماعي.

على أن نركز في الفصل الثالث على مؤسسة "ألف" عبر الإحاطة بتاريخ نشأة وتطور المؤسسة التي ابتكرت برامج تهتم برقمنة التراث الروحي الإسلامي بطريقة تضامنية، وأهم المراحل التي مرت بها والخدمات التي قدمها عبر مسارها. وإلى أي حد جسدت المؤسسة مبادئ المقارنة النموذجية المعتمدة، ثم مناقشة النتائج على أساس الفرضيات المقترحة، وصولاً إلى أهم النتائج المستخلصة.

# الفصل الأول

الإسلام الصوفي قيم ثابتة وأدوارا متعددة

## المبحث الأول

- 1-مدخل مفاهيمي بين الدين التدين والإسلام
- 2-الدين، المجتمع، التنمية حقول متباينة وعلاقات متداخلة
- 3-الإسلام بين الطابع الرسمي والممارسة الشعبية

## المبحث الثاني

- 1-التصوف النشأة والدور
- 2-الزوايا مؤسسة دينية وأدوار اجتماعية
- 3-الزاوية العلوية مؤسسة تقليدية في نمط عصري
- 4-التجديد في خطاب الفكر الصوفي لدى الزاوية العلوية

خلاصة الفصل الأول

## تمهيد

يُعتبر الدين من أقوى النظم الاجتماعية الفاعلة في ضبط وتنظيم سلوك ومواقف واتجاهات الأفراد والجماعات، وفي ضمان استقرار المجتمع عبر النظم والمعتقدات والممارسات ذات الطابع الرمزي المقدس يدخل في علاقات تفاعل معقدة مع الأنساق الاجتماعية الأخرى مؤثراً ومتأثراً بها، ما يجعل منه ضرورة اجتماعية ارتبط بالوجود الإنساني، يؤدي أدواراً مختلفة ويساهم في تشكيل الفضاء السوسولوجي العام وفي تفاصيل الحياة اليومية للأفراد. يظهر تأثيره في تركيبة الثقافة الاجتماعية وبما تشكله من قيم واتجاهات في مختلف الأنشطة والأفعال والعلاقات، كما يساهم في توجيه ومراقبة وضبط أنماط التفكير مُشكلاً بذلك تراكما معرفياً وسلوكياً يؤسس به لبلورة وتشكيل رأسمال ثقافي ورمزي وروحي.

إذ سنحاول من خلال هذا الفصل أن نبحث في موضوع الدين بشكله العام وأهم المحاولات التي سعت إلى توضيح وتفسير كيف أن الدين يُساهم في تحقيق التنمية في شكلها الشمولي، وكيف أن الإسلام في شكله الصوفي الطرقي ساهم في تحقيق الكثير من الخدمات في المجتمع الجزائري، ومن ضمنها نموذج الزاوية العلوية التي ترجمت فكرة المقابلة الاجتماعية عبر مؤسسة ألف. كما سنحاول إبراز أهم ملامح التحديث والتحول الذي عرفته هذه الزاوية من مؤسسة تقليدية إلى مؤسسة عصرية تعتمد على وسائل وآليات عصرية لتحقيق التنمية.

## المبحث الأول: مدخل مفاهيمي بين الدين، التدين والإسلام

## 1-1 مفهوم الدين

لقد احتل موضوع الدين مساحة شاسعة في نقاشات الكثير من التخصصات العلمية أبرزها علم الاجتماع الذي حاول رواده البحث في مفهوم الدين ووظائفه داخل المجتمع وفي علاقته ضمن النسق الاجتماعي العام، كما حاول الكثير منهم البحث في حدود العلاقة بين الدين والتنمية والتغير الاجتماعي عبر مقاربات نظرية متعددة فسرت تباين الباحثين في تعريفهم للدين وفي علاقته بالتنمية. فمنهم من اعتبره مؤسسات ذات بنية منتظمة مرتبطة بدور العبادة، في حين يرتبط لدى اتجاه آخر من الباحثين بمجموعة من الرموز المقدسة التي تستلزم الإيمان والالتزام بها، غير أنه يمكن النظر إليه بكونه يجمع بين مختلف هذه الأبعاد، كونه كان ولا يزال يمثل في المجتمعات البشرية على اختلافها محورا مركزيا في حياة الناس وأنه يمثل منظومة فكرية روحية مقدسة تتضمن قواعد أخلاقية وممارسات وقيم وطقوس.

وللدين معان متعددة في اللغة فهو "مجموعة المعتقدات والطقوس التي تُحدد علاقة الإنسان بالمقدس، وعلاقة العابد بالمعبود علاقة بين طرفين يُعظم أحدهما الآخر ويخضع له"<sup>1</sup>.

أما اصطلاحا فقد حُضي الدين بمفاهيم متعددة ارتبطت بتعدد وظائفه وأهدافه وذلك في ضوء المقاربات النظرية المتعددة التي أسست لوضع مفاهيم كثيرة للدين كظاهرة اجتماعية ارتبطت بالوجود الإنساني في أشكاله الأولى، وكمجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المنظمة والموجهة للسلوك الإنساني عبر مفهوم الحلال والحرام وضمن إطار المقدس، يتبلور عبر تصورات فكرية (طقوس وشعائر، عمليات تعبدية ورموز وقيم) مشتركة تؤمن بها جماعة إنسانية تُساهم في إيجاد وحدة روحية تحقق انسجاما روحيا نفسيا، اجتماعيا وسلوكيا بين الأفراد.

1- عبد الله دراز محمد، الدين، مطبعة الحرية، بيروت، لبنان، 1952، ص12

فنجده عند إميل دركايم (Emile Durkheim) يُمثل مجموعة من العقائد والممارسات والأعمال التي تمنح طابع القداسة للأشياء وتحقق نوعا من الانسجام والوحدة بين الأفراد والجماعات تساهم من خلالها في تحقيق وتدعيم التضامن والتماسك. يقول دركايم "إن الدين سيبقى ما بقي المجتمع و أن التصورات الدينية هي تصورات جمعية تعبر عن الحقائق الجمعية، وأن الدين هو جوهر المجتمع والقوة غير المرئية التي تستقر في أعماق الأفراد وترفع من درجة تقّتهم في أنفسهم لا سيما أثناء تجمعهم لأداء شعيرة من الشعائر أو نسك من الأنساك أو حتى مجرد حفل ديني بسيط" 1، وتحقيق الضبط داخل المجتمع حسب دركايم يمر عبر مفهوم الحلال والحرام و المقدس والمدنس كمفاهيم ذات قوة رمزية لا يمكن تجاوزها و بما لها من تأثير وسلطة معنوية على الأفراد. ما يتطلب منهم طاعة والتزام واحترام وأمرها ونواهيها. هذا المقدس الذي يتجسد ويتمظهر عبر الطقوس المختلفة التي تساهم في تحقيق الاندماج والتماسك الاجتماعي ضمن مجالات المكان والزمان والأشياء.

في حين يشير كل من بارسونز وبللا (Parsons, Billa) "أن الدين يُمثل المستوى الأعلى والأعم في النسق الثقافي الذي يؤدي وظيفة إعطاء التوجّهات العامة للفعل الإنساني" 2

أما أنتوني غدنز (Antoni gidnez) فيشير إلى أن "الدين موجود في جميع المجتمعات المعروفة اليوم، ينطوي على منظومة من الرموز التي تستوجب الاحترام والإجلال، ترتبط بسلسلة من الشعائر الطقوسية التي تشترك فيها جماعة المؤمنين، وأن المعتقدات الدينية والروحية مازالت تؤثر تأثيرا بالغا في حياة الكثير من الأفراد والجماعات وتكوّن منظومة واسعة من الحوافز والدوافع التي تحدد مسارات السلوك الفردي والجماعي فيما بينهم" 3.

1- محمد سيد إبراهيم مديحة، علم الاجتماع الديني، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2001، ص173

2- أحمد بيومي محمد، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر 2002، ص98

3- غدنز أنتوني، ترجمة فايز الصباغ، علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، لبنان، 2005، ص571

ما يجعل الدين يُمثل بنية معنوية وقوة روحية لا يمكن تجاوزها تضبط الناس على الالتزام بقيم أخلاقية وأنماط سلوكية تستوجب الاحترام والتنفيذ وتتمظهر عبر مجموعة من الطقوس والشعائر أو الممارسات التي يؤديها المؤمنون بدين معين.

كل ذلك جعل منه حسب كلود ليفي ستروس (Claude Lévi Strauss) أداة تُشكل نوع من المرجعية المعرفية والمعين الرمزي والعاطفي القادر على أن يمنح الأفراد بعض المنافع لمواجهة الاستثمار في الحياة<sup>1</sup>

وعلى اتجاه آخر يرى ماكس فيبر (Max Weber) "أن الدين صيغة من صيغ النشاط الاجتماعي الذي يُساهم في إنتاج حوافز للنشاط و في صياغة النسق الاجتماعي و الاقتصادي، وأحد المحددات الأساسية للممارسات الاقتصادية والتي تعد نتاج الروح الدينية البروتستانتية التي تتسم بأخلاق وقيم ومعتقدات تشجع على العمل و الادخار والاستثمار وتقديس العمل وإتقانه وإعطاء بعدا قيميا للمهن والحرف"<sup>2</sup> ، وهنا نجد ماكس فيبر يؤكد على قوة الكاريزما كسلطة معنوية ورمزية استثنائية للدين تجسدت خاصة في الأنبياء ورجال الدين ودورها في التأثير على الأفراد وقيادتهم وتوجيههم .

في حين يرى الأستاذ محمد بن بريكة أن الدين يمثل " نظام للمعتقدات والسلوكيات الأخلاقية ونظام من الأفكار والتوجهات والطقوس والشعائر، ونسق من الرموز يُرسخ لدى الإنسان حالات وجدانية ودوافع قوية من أجل تشكيل رؤيته الكلية عن الوجود والتسامي إلى عالم الروحانيات والقيم والمثل العليا"<sup>3</sup>

1-عدنز أنتوني، علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص152

2- فلوري لوران ، ترجمة محمد علي مقلد ،ماكس فيبر ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 ،بيروت ،لبنان،2008،ص 71

3-بن بريكة محمد ، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون للنشر والإشهار والتوزيع، ط1،الجزائر،2006،ص81

وبشكل عام ومهما تباينت التعاريف المقدمة لمفهوم الدين فإنه يعد ظاهرة اجتماعية دخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الاجتماعية الأخرى، ارتبط بالوجود الإنساني في شكل مجموعة من الأفكار والرموز والمعتقدات والشعائر والعبادات والممارسات السلوكية والقيم الأخلاقية التي تؤمن بها جماعة وتعتمدها في تنظيم شؤونها و تحقيق أهدافها وغاياتها وترتيب أولوياتها انطلاقاً مما تحمله من قواعد ومبادئ ذات قوة رمزية وروحية تدعو إلى تقديس العمل والأمانة والإتقان والسعي إلى تحقيق الغايات والأمر بالمعروف والصدق في القول والعمل والاجتهاد وحسن الخلق وغيرها من القيم التي تشكل ثقافة دينية.

## 1-2 مفهوم التدين

إذا كان أرسطو وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق، وابن خلدون وصفه بأنه اجتماعي بطبعه، فإن هناك من يصفه بأنه كائن متدين وأن " فطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه"<sup>1</sup>. فالتدين بذلك يعتبر نزعة فطرية وحاجة انسانية يرتبط مفهومه في الإسلام بالاعتقاد في القول والممارسة، يتلازم مع الإيمان والعبادة والأخلاق. يتجسد في الإسلام عبر الممارسة والالتزام بما جاء به من تعاليم وأوامر ونواه وقيم. وأنه يُمثل " الشكل الاجتماعي الذي يسعى إلى الاستحواذ والسيطرة على الدين كتجربة ذاتية حسب تعبير جورج سيمل"<sup>2</sup>، يتمظهر وينعكس من خلال مدى التمسك والالتزام بأفكار المعتقد الديني وتعاليمه، ما يجعل منه طريقة وأسلوباً يُعبر بها الإنسان المتدين عن علاقته بالدين عبر أشكال عديدة مثل الطقوس والعبادات والاحتفالات والممارسات والأقوال والأفعال.

1- عبد الله محمد دراز محمد، الدين، مرجع سابق، ص 87

2- سابينو اكو فيفا، انزو باتشي، ترجمة عز الدين عناية، علم الاجتماع الدين الإشكالات والسياقات، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1، الامارات العربية المتحدة، 2011، ص 63

" ما يجعل منه بذلك يمثل الجانب الروحي في حياة الإنسان له دور في إرساء الأسس النظرية لحركة الحياة الإنسانية باعتباره ممارسة دائمة للوعي الإنساني، وحضورا إنسانيا متيقظ الأبعاد من خلال التعامل مع الطبيعة ومكوناتها المختلفة وبيئاتها المتعددة"<sup>1</sup>.

فالتدين بهذا المعنى هو الممارسة الميدانية والفعلية للتعاليم الدينية بكيفية وأسلوب ينسجم مع مضامين المعتقدات الدينية من خلال ممارسة الدين وتحويله إلى تطبيق وممارسة عملية سلوكية وقيم فكرية تمثل مرجعية للفرد في توجهاته المختلفة.

### 1-3 مفهوم الإسلام

تدل كلمة الإسلام في معاجم اللغة إلى الانقياد والخضوع والإذعان والاستسلام والامتثال لأمر الأمر ونهيه بلا اعتراض. وقد سمى الله الدين الحق الإسلام لأنه طاعة لله وانقياد لأمره بلا اعتراض وإخلاص العبادة له سبحانه، ومصطلح الإسلام حسب جمهور الفقهاء هو مجموعة من العقائد والطقوس ونظام متكامل من الأفكار والمعتقدات تُساعد على فهم العالم الخارجي والتأثير فيه. جاء كرسالة سماوية عالمية يواجه حياة البشر في مختلف نواحيها الروحية والمادية. يمثل تنظيمًا اقتصاديًا، اجتماعيًا، ثقافيًا، تربويًا وخلقيا للمجتمع يتضمن قيمًا أخلاقية تشتمل مبادئ تشترك فيها كل الديانات لتضفي معنى على الحياة عبر ما يحتويه من بنية رمزية وسلطة معنوية وقوة روحية.

1- عبد الجبار سالم، الدين وقضايا العصر، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2008، ص 59

## ثانياً: الدين، المجتمع، التنمية حقول مختلفة وعلاقات متداخلة

يتفق الكثير من الدارسين لموضوع الدين على أنه يُمثل مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم المقدس، تُؤلف وحدة دينية تُنظم حياة الأفراد وفق تصور مُشترك للحياة. ارتبط بالتواجد الإنساني منذ الأزل، يمثل منظومة فكرية وبُنْيَة ثقافية وظاهرة اجتماعية غير منفصلة عن الحياة الإنسانية. يقول محمد أركون انه "لا يوجد مجتمع بشري دون دين أو من دون ظاهرة تقديس والتي تتخذ أشكالاً شتى بحسب نوعية كل مجتمع، ولذلك توجد أديان متعددة في البشرية ولكنها جميعها تُعبر في العمق عن حاجة واحدة"<sup>1</sup>

إن تؤكد الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية أنه لم يظهر مجتمع بلا دين أو نظام ديني يرتبط بما هو مقدس عبر طقوس تُقرب الإنسان من هذا المقدس. ما يؤسس لفكرة النزعة الفطرية للدين وكون الإنسان كما انه كائن اجتماعي فهو كذلك كائن متدين بطبعه، وأن الدين مُكون رئيسي من مكونات الثقافة كان ولا يزال من أهم الأنساق الاجتماعية الموجودة داخل أي بناء اجتماعي، وظاهرة اجتماعية ملازمة لنشأة وقيام المجتمعات البشرية له مكانته في حياة الفرد والمجتمع. يتداخل في علاقات تفاعلية ووظيفية متبادلة التأثير والتأثر مع الظواهر الاجتماعية الأخرى المكونة للنسيج الاجتماعي " ما يعني أن الدين لم يعد مُكوّن قائم بنفسه داخل المجتمع، إنما تربطه علاقة متشابكة بالاقتصاد والسياسة والأسرة والثقافة وغيرها من النظم الاجتماعية الأخرى المُكونة للنظام الاجتماعي القائم، ومصدر للحس المشترك الذي يصوغ ويُشكل الفعل الاجتماعي"<sup>2</sup>.

1-الحسن مصطفى، الدين والنص والحقيقة، الشبكة العربية للإشهار والنشر، والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص117

2-محمد القصاص مهدي، علم الاجتماع الديني، دار نيوز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، العراق، 2014، ص181

حيث تعددت المقاربات والاتجاهات الفكرية التي اهتمت بدراسة جدلية العلاقة بينه وبين المجتمع وعالجت ظاهرة الأديان في علاقتها بالمجتمع تأثيراً وتأثراً. ويعد في هذا الاتجاه ماكس فيبر وإميل دركايم إضافة إلى كارل ماركس من أهم علماء الاجتماع الذين حاولوا تفسير وفهم حدود تلك العلاقة. فنجد اهتمام ماكس فيبر يركز على دراسة وتفسير حدود درجة التأثير والتأثر المتبادل بين الدين والمجتمع، إذ يمكن الاستشهاد بما قاله "تالكوت بارسونز" (Talco tt Parsons) في هذا الصدد والذي مفاده " أن تركيز ماكس فيبر لم يكن ينطلق من اعتبار الدين قوة ستاتيكية ثابتة، بل من اعتباره مصدراً هاماً من مصادر التغيير الاجتماعي، كما كرس أبحاثه لدراسة الدين لاعتقاده الراسخ أنه المصدر الحاسم و الرئيسي للتوجيه الروحي والأخلاقي لأتباعه بل وفي نظم كل فعاليتهم اليومية ، وتأكيداً على أنه لا يوجد مجتمع مهما كانت درجة تحضره يخلو مما يمكن تصنيفه تحت مسمى الدين"1 . وأن الدين حسب ماكس فيبر له دور في إحداث التغيير والتطور الاجتماعي، وأنه لا يمكن فهم الدين بمعزل عن باقي أنظمة المجتمع الأخرى، وكونه جزءاً من نسق يتأثر ويؤثر في العمليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفي أنماط الأسرة وفي طبيعة المجتمعات. في حين يرى إميل دركايم أنّ الدين يُعد من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في روابط المجتمع، بما يحققه من تعاون وتكافل ومساواة تساهم في تكوين الشعور المشترك للأفراد "وأنه رمز من رموز المجتمع، ووظيفة الدين الأساسية تكمن في تعزيز وحدة المجتمع وعصبية وإعطاء الشرعية لقيم المجتمع ومعاييرهِ وإضفاء القداسة عليها وتجميع الناس في هوية موحدة من خلال ممارسة الشعائر والطقوس الدينية"2. ما يجعل من الدين بالتالي ظاهرة اجتماعية يحقق التماسك الاجتماعي عبر طوقسه واحتفالاته، وأن للدين حسب دركايم وظيفة اجتماعية تتمثل في المحافظة على تماسك وتقوية البناء الاجتماعي واستمراره وتحقيق أعلى درجات التضامن بين أصحاب الدين الواحد ما يؤسس لتكوين

1 - محمد القصاص مهدي، مرجع سابق، ص182

2-بركات حليم ، المجتمع العربي في القرن العشرين ، مركز دراسات عربية للنشر، ط1، بيروت ، لبنان ، 2000، ص428

هوية اجتماعية ودينية تميز أفراد الديانة الواحدة عن غيرهم من الأفراد، كما يعمل على تحقيق نوع من الضبط الاجتماعي عبر تأثيره في الأفراد وسلوكهم وتحديد النسق الفكري والأخلاقي الذي يُنظم ويؤطر العلاقات بين الأفراد في المواقف المختلفة ، كما يحقق الراحة النفسية ويساعد الأفراد على مواجهة الصعوبات وتخطيها، كما يؤثر الدين على سلوك الأفراد ويحدد القيم التي تنظم العلاقات ويجب أن يتحلى بها الفرد خلال تعامله مع الآخرين في المواقف المختلفة، ما يشكل حالة من الضبط الاجتماعي في سياق الضمير الجمعي المحلي، يقوم في علاقة تفاعلية مع الأنساق الاجتماعية الأخرى يؤثر ويتأثر بها .ومن الظواهر الاجتماعية الملازمة للبناء الاجتماعي والجماعات أينما وجدت، و أن الدين حسب دركايم يقوم على مفهومين أساسيين هما المقدس والمدنس حيث يقول " إن جميع أنواع الإيمان الديني المعروفة سواء كانت بسيطة أو معقدة تتمتع بميزة مشتركة فهي تفرض ترتيب الأمور الحقيقية أو المثالية التي يتصورها الإنسان في طبقين أو نوعين متعاكسين يعرفان عادة بتسميتين مختلفتين تعبر عنهما كلمتا مقدس ودنيوي بشكل كاف"1.

وعلى اتجاه آخر نجد كارل ماركس (Karl max) من الذين فسّروا البناء الاجتماعي بالجدل المادي الاقتصادي، وأن الدين هو نتاج للصراع الطبقي والتفاوت الاجتماعي ومظهر من مظاهر الصراع حول السلطة. ما يجعل من الدين " ظاهرة إيديولوجية وممارسة اغترابية وعنفي رمزي وسلاح ذو حدين فيمكن أن يكون أداة للتطور والتقدم والازدهار وتحقيق التنمية، كما يمكن أن يُوظف توظيف سلبي لاستغلال الإنسان وأداة للسيطرة والاستعباد ونهب حقوق الأفراد واغتصابها وآلية للتخدير والإستيلاب"2.

1-علوية علي، الدين والطوقس الدينية عند دركايم ، مجلة فكر ومجتمع ، الجزائر، العدد 38 ،جويلية 2017،ص231

2-حمداوي جميل، الإسلام بين الحداثة وما بين الحداثة، مكتبة المثقف العربي، سلسلة المعارف الأدبية، المغرب، 2010، ص 89

إذ يظهر من خلال هذه المقاربات النظرية للدين عند رواد علم الاجتماع مدى التباين والاختلاف نحو مفهوم الدين ووظائفه وعلاقاته مع المجتمع. ما يجعل من العلاقة التفاعلية بين الدين والمجتمع تظهر على المستوى الذاتي للفرد وعلى مستوى المجتمع في بناءه الكلي.

حيث يتجلى تأثير الدين على الفرد عبر الحياة النفسية للإنسان من خلال تنظيم السلوك وتوجيهه توجيهها ينسجم والقيم النبيلة السامية وتحقيق الاستقرار النفسي وتنظيم الحياة الانفعالية والوجدانية للفرد، وشحن النفس بالعواطف وإشباع الحاجات الأساسية كالتوازن والاستقرار النفسي الانفعالي، كما يعد رقيباً ذاتياً داخلياً يمارس ضبطاً داخلياً على الفرد من خلال تهذيب نفسه وتوجيهها وتأييدها والسيطرة على غرائز الفرد ومحاربة نزواته واستقامتها. في حين يعد من جهة أخرى ضرورة اجتماعية يساهم في تحقيق تكامل البناء الاجتماعي وتشكيل الإطار العام لهيكلية المجتمع وتنظيمه وتنظيم علاقاته وتفاعلاته لما له من قوة في تنظيم الحياة الجماعية ضمن أطر احترام القوانين وتوفير الاستقرار والدعوة الى تغليب المصالح العامة وتحقيق التعاون والتضامن والتراحم والاهتمام بالشأن العام ومحاربة الفساد والانحراف ، كما تظهر أهميته في بناء وتكوين المجتمعات وتوجيهها وضبط المؤسسات الاجتماعية بقانون رمزي يؤثر في التفاعلات والعلاقات الاجتماعية داخل أي مجتمع لإحداث نوع من التماسك والتضامن.

يقول محمد دراز " أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة الدين في كفالة احترام القانون وضمأن تماسك المجتمع واستقرار نظامه والنتام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، ما يؤكد على أن بناء الحضارات ونشأة المجتمعات ارتبطت ببروز الفكرة الدينية"<sup>1</sup>. فنجدده يغرس الشعور بالولاء والانتماء وروح المشاركة والمسؤولية ويحقق الاندماج الذي يستدعيه التضامن والتعاون الاجتماعي. حيث يقوم بتدعيم القيم الإيجابية داخل المجتمع ومن أهم الضوابط التي تعتمد عليها المجتمعات لتحقيق النظام، وتحقيق الالتزام

1- عبد الله دراز محمد، الدين، مرجع سابق، ص22

من خلال مؤسساته الدينية وسلطاتها الرمزية والروحية التي تعمل دور الرقابة الاجتماعية وتحقيق الضبط الاجتماعي. كما يمارس نوع من الرقابة على سلوك الناس، ما يجعل منه يتجاوز فكرة أنه ممارسة تعبدية للشعائر والمعتقدات إلى انه نظام متكامل يؤثر ويؤثر في مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها. كما يُعد عاملا من عوامل التغيير عبر مرجعيته الفكرية ومن خلال قيمه الرمزية وقوته الروحية وسلطته المعنوية في تحديد العلاقات والتفاعلات و السلوكات وتأطيرها، كما تتجسد علاقته بالمجتمع لكونه يرتبط بالجانب الروحي للإنسان وما لهذا الجانب من دور في توجيه سلوك وقيم الإنسان وطبيعة تفاعلاته، وفي دوره في رسم حدود معالم الحياة الجماعية وفق طابع مقدس ذا طابع رمزي لا يمكن تجاوزه أو المساس به ضمن إطار دائرة الحلال والحرام، ومن ثمة كان الدين أول النظم الاجتماعية التي عرفها الإنسان وارتبطت بوجوده على الأرض. هذه القيم والمبادئ التي يحملها والقوة الرمزية التي يتميز بها جعلت منه عاملا محوريا في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وهو ما يجعل من العلاقة بين الدين والمجتمع علاقة تأثير وتأثر كون الدين يعد منظومة متناسقة من المعتقدات والمعاملات والممارسات المنظمة والموجهة لأسلوب الحياة البشرية له القدرة على تشكيل وتوجيه الفعل الإنساني في مجالاته المختلفة، كما له دور في صياغة وتأطير التفاعلات الاجتماعية.

ومن جهة أخرى شكّلت العلاقة بين الدين والتنمية محور نقاشات ودراسات اقتصادية وسوسولوجية وفلسفية امتدت عبر مراحل زمنية عديدة في المجتمعات الغربية والإسلامية، والتي أجمعت على أهمية العقيدة الدينية في بناء وتطور الحضارات الإنسانية ما يجعل من الصعب تجاهل دور العقيدة الدينية في تفسير و فهم عوامل تطور الحضارات ، ومع تطور الفكر السوسولوجي بدأت تبرز ملامح هذا التصور عبر كتابات ماكس فيبر (Max weber) الذي حاول من خلال مؤلفه الأخلاق البروتستانتية والرأسمالية أن يبيّن كيف يمكن للدين أن يسهم بشكل فعال في تحقيق التنمية والنهوض الحضاري. إذ اعتبر من خلال دراسته أن الدين لا يمكن النظر إليه باعتباره أفكار ذات قوة رمزية محافظة بل يمكن اعتباره عاملا من

عوامل التغيير . وفي نفس الاتجاه حاول مالك بن نبي عبر كتابته العديدة التأكيد على أهمية الفكرة الدينية في بناء الحضارة وإحداث التغيير والتطور الاجتماعي والأخلاقي كمدخل لإحداث وثبة تنموية وإحداث الانطلاق الحضاري والتي " تكون أساسها فكرة ذات طابع ديني، وأن الدين هو العامل المهم في بعث أي أسلوب أو نمط بناء هدفه الإنتشار"<sup>1</sup>. ما يجعل من موضوع التنمية موضوع متعدد المداخل والمقاربات التي تعكس تداخل وتفاعل العديد من العوامل والمحددات الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية، القيمية والأخلاقية والروحية وليست مرتبطة بالعامل المادي والتقني فقط، وكونها تحمل خصوصيات ثقافية وبيئية وتراكم تاريخي وقيمي للمجتمع، وهي عوامل جعلت من تصنيف الدول وغناها لا يُقاس بكمية ما تملك من ثروات بل بقدر ما تمتلك من أفكار وامتداد حضاري. ما جعل من مفهوم التنمية يعكس البعد الثقافي بمفهومه الشمولي "لعناصر حياتية وعقلية عديدة تتمثل في السلوكيات الاجتماعية والمهارات والخبرات النظرية والعملية والاتجاهات والأعراف والتقاليد والتنظيمات الثقافية والعقائد وأنساق الفكر والقيم الروحية ، وهي محددات تتفاعل معا ويؤثر بعضها في البعض الآخر حيث يؤثر في مسار التطور البشري وفي صياغة الإنسان والمجتمع والموقف والفعل"<sup>2</sup>. وما جعل من القيم الدينية كعناصر ثقافية تصبح أحد المنطلقات التي توجه السلوك الإنساني وتؤثر فيه لاعتبارها قوة رمزية وسلطة توجيهية تحفيزية ومصدرا ذا مكون نفسي ومعرفي وعقلي ووجداني يوجه السلوك ويدفعه نحو الإنجاز والإتقان عبر ما تحمله هذه الرموز من طابع القداسة للإنسان " تعطي توجيهها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفرد"<sup>3</sup>

1- الخطيب سليمان، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1993، ص106

2- لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، ترجمة شوقي جلال، الثقافات وقيم التقدم، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، مصر، 2000، ص13

3- اليمين بن منصور ، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني، باتنة، 2010، ص22

لتصبح تشكل في مجملها ضمير جمعي وإطار موجه للسلوك البشري في مجالات الحياة المختلفة وفي العمل والسعي والإنتاج والإتقان والمبادرة وغيرها من القيم التي تؤسس للسلوك النهضوي. وهو ما يؤسس للقول على أن دراسة وتحليل وفهم عوامل التنمية وأسباب التخلف والنهضة الحضارية أصبحت تتجاوز المقاربة الاقتصادية القائمة على البعد المادي والتقني والتركيز على مقاربات أخرى لعل أبرزها المقاربة الثقافية بما تحمل من قيم ومعتقدات واتجاهات. يقول "لورانس هاريزون" (Laurens Harrison) في مقال له بعنوان لماذا الثقافة مهمة "أنه يتزايد الآن باطراد عدد الباحثين الذين يركزون على دور القيم والاتجاهات الثقافية كعوامل من شأنها أن تُيسر أو تُعيق التقدم ، وهؤلاء هم الورثة الفكريون لألكسيس دي توكفيل الذي خلص إلى القول أن ما جعل النظام السياسي الأمريكي نظاما ناجحا هو توفر ثقافة متلائمة مع الديمقراطية ، وكذلك هم الورثة الفكريون لماكس فيبر الذي فسّر صعود الرأسمالية بأنها ظاهرة ثقافية في جوهرها لها جذورها العميقة في الدين"1. ما يؤكد على أن التطور الاقتصادي والتنموي بشكل عام له زاوية ثقافية يُمكن أن تُفسر تلك التباينات الموجودة بين الدول في تطورها والتي تعود بالأساس لعوامل ثقافية ، ما جعل "دافيد لانديس" (David Landes) يرى "أن ماكس فيبر كان على صواب و إذا كان لنا أن نتعلم شيئا من تاريخ التطور الاقتصادي فهو أن الثقافة وحدها تقريبا سبب جميع الاختلافات ، وأن الثقافة بمعنى القيم و الاتجاهات الباطنية هي التي توجه الناس، و أن الأمم الوحيدة المهيأة لإنجاز تطوير سريع ومستدام هي تلك التي لديها منظومة قيم مواتية لاتخاذ قرارات تقاوم الضياع"2.

1-لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، ترجمة شوقي جلال، الثقافات وقيم التقدم، مرجع سابق، ص32

2-لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، نفس المرجع، ص117

ويضيف الباحث "صمويل هنتغتون (Samuel Huntington) في دراسته "أن التطوير الاقتصادي لا يمكن أن نعهد به فقط للقيم الاقتصادية وحدها بل تتدرج القيم كذلك ضمن المجال الثقافي ما يدعونا للقول أن التطوير عامة عملية ثقافية، وأن الدين يُعد على مدى التاريخ أغنى مصدر للقيم وأنه صاحب ومصدر المبادرات للتطوير الاقتصادي"<sup>1</sup>.

كما أكدت الكثير من الدراسات والتحليلات الغربية على قوة العلاقة الارتباطية بين الثقافة والتنمية وعلى أهمية الثقافة في تفسير التنمية والسلوك الاقتصادي، بل أن حتى الكثير من المفكرين أصحاب الاتجاه المشكك في جدوى الارتكان إلى الثقافة في التحليل رأوا أنها تمتلك بعض القوة التفسيرية<sup>2</sup>. حيث تبرز في هذا الإطار دراسة (ماكس فيبر 1905) (فرنسيس فوكوياما 1995)، (لورانس هاريزون 1997) ، (صمويل هنتغتون 1996) (روبرت بوتنام 1993) على أهمية القيم الثقافية في تفسير التنمية وأنها تُساهم في بلورة وتحفيز السلوك الاقتصادي التنموي في المجتمعات المعاصرة، كما أكد (دانييل بيل 1979) ، (دانييل ايتونجا 1977) على أن صعود المجتمع الصناعي مرتبط بتحولات ثقافية في المجتمع. وهو نفس ما توصل إليه "ماكزي 2007-2012" (maki Nzi) في دراسة له على أن سر نجاح دولة سنغافورة مثلاً يعود إلى تشبّع أفرادها بالقيم الدينية والتي تحض على العمل والمثابرة والاجتهاد ونكران الذات، وأن التنمية تتأسس على قيم العمل والتفاني والاجتهاد وتعمير الأرض، ومن هنا نجد أن التنمية والدين وجهان لعملة واحدة فلا تنمية بدون دين ولا دين بدون تنمية"<sup>3</sup>.

1-لورانس هاريزون ، صمول هنتغتون، ترجمة شوقي جلال، الثقافات وقيم التقدم، مرجع سابق، ص121  
 2-باكينام الشرفاوي، إشكالية الثقافة والتنمية في الاتجاهات الفكرية الغربية، مقال متاح على شبكة الانترنت، اطلع عليه يوم 12-10-2017 على الساعة 16.00  
 3-جرموني رشيد، جدل الدين والتنمية في الأديان العالمية، شبكة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، سبتمبر 2010، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة.

وهنا نجد أن "لورانس هاريزون وصمويل هنتغتون" (Laurens Harrison, Samuel Huntington) يقدمان في كتابهما الثقافات وقيم التقدم العديد من الدراسات التي تؤكد العلاقة بين الدين والتنمية بشكل عام، فنجد في هذا الاتجاه مقال "لميشيل إي بورتر" (Michael porter) حول "الاتجاهات والقيم والمعتقدات والاقتصاد الجزئي للرخاء" أنه يشار أحيانا إلى الاتجاهات والقيم والمعتقدات على نحو جامع باسم الثقافة والتي لها دور لا ريب فيه في السلوك البشري والتقدم الاجتماعي. وأن دور الثقافة بشكل عام لا مرء فيه في التقدم الاقتصادي، وأن قسطا كبيرا من الثقافة الاقتصادية يتعلمه الناس على نحو مباشر أو غير مباشر عبر معايير التفاعل الشخصي والتعاليم الدينية والاتجاهات والقيم الاجتماعية الأخلاقية...ولهذا نجد حسب الباحث أن الدين والفلسفة يمكنهما أن يدعمتا ثقافة اقتصادية إنتاجية أو غير إنتاجية "1 .

كما يؤكد "ميشيل اي بورتر" على أن "المعتقدات والاتجاهات والقيم المؤثرة في الاقتصاد والتنمية سوف تغدوا مشتركة ورائجة وكلها مؤشرات على الدور المحوري للثقافة في الرخاء الاقتصادي والتي ستغدو أكثر إيجابية"2.

وهي كلها دراسات تؤكد ما توصل إليه ماكس فيبر في أطروحته حول الدين والتنمية بتأكيد على وجود علاقة ارتباطية بين الرأسمالية والمقاربة الدينية ممثلة في الكالفينية في أبعادها الأخلاقية كالتقشف والزهد والعمل الجاد وغيرها كعناصر ومكونات أخلاقية ثقافية لها مساهمة في إنشاء منظومة عقلية وفكرية لدى رجل الأعمال الرأسمالي، وأن التعاليم الدينية البروتستانتية ساهمت بشكل فعال في إحداث تحولات اجتماعية وتنموية في المجتمع الغربي. ما جعل من البروتستانتية تحمل في طياتها قوة للابتكار والإبداع والتحدي، وأن الدين عامل أساسي في إحداث الوثبة الاجتماعية والاقتصادية الأوروبية.

1-لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، مرجع سابق، ص91

2-لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، نفس المرجع، ص90

و أن الدين وباعتباره بُنية متكاملة من المعتقدات والمعاملات المؤطرة والموجهة لأسلوب الحياة البشرية عبر شعائر طقوسية ومؤسسات ذات قوة رمزية له القدرة على تشكيل وتوجيه الفعل الإنساني في مجالاته المختلفة، كما له دور في صياغة وتوجيه السلوك وتأطير التفاعلات والعلاقات الاجتماعية "ما يجعل من الدين من مكونات أبعاد الرأس المال الاجتماعي والثقافي وكونه يُمثل قوة رمزية بإمكانها التحول إلى قيم إنسانية واجتماعية واقتصادية وروحية تُساعد الإنسان على تكييف واقعه لمتطلباته وإرادته، كما لها القدرة على استنفار الفعل الإنساني القادر على تغيير الواقع ومدخلاً إليه" 1 .

كل ذلك يجعل من الدين قوة معنوية ورمزية وروحية يحفز الإنسان ليكون فاعل وأداة للتغيير والإصلاح عبر بنية القيم الأخلاقية والأوامر الإلهية التي تُحفز السلوك التنموي من خلال الدعوة الى العمل والإتقان والسعي، وهو ما أشار إليه فرنسيس فوكوياما" (Francis Fukuyama) عندما فسّر أهمية القيم الأخلاقية داخل النسق الاجتماعي والتي بدأ غيابها يلعب دورا هاما في تآكل رأس المال الاجتماعي داخل الحضارة الغربية ، مما قد يؤدي إلى تآكل أشكال رأس المال الأخرى بصورة تدريجية" 2 .وفي نفس الاتجاه نجد الباحث الفرنسي "اليكسيس كاريل" (Alikcis Karel) يؤكد على أهمية الجانب الروحي العقائدي في التنمية حيث يقول إن "الإيمان هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل وليس العقل والذكاء الذي يكتفي بإنارة الطريق ولكنه لا يدفعنا إلى الأمام" 3.

1- ليلة علي ، دور رأس المال الديني في تحديث المجتمع العربي، متاح على شبكة الانترنت ،اطلع عليه بتاريخ 14-06-2018 على الساعة 17.30

2- Fukuyama، Francis: The End of Order, The Social Market Foundation, 1997. P. 28.

3- العبدية محمد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح، دار القلم للنشر، ط1 ، دمشق، سوريا، 2006 ،ص96

ما يعني أنه لا يمكن تصور نهضة حضارية وقفزة تنموية دون قوة فكرية وقيم إنسانية سامية تشكل مرتكز ودافع نحو التطور، وأن المنظومة الدينية تعد من أهم عوامل الانطلاق الاجتماعي والاقتصادي. وأن منطلق تحقيق التنمية يتأسس بدرجة كبيرة على البعد العقائدي والروحي والقيمي وعلى الاعتبارات الثقافية كبنية متكاملة. وهو ما سبق وأن أكد عليه "هيجل (Hegel) حينما أشار " بأن الأفكار والمعتقدات بما فيها الأفكار والمعتقدات الدينية هي التي تحدد السلوك الإنساني بما فيه السلوك النهضوي ومبادرات التنمية" 1. ما يجعل من المعتقدات الدينية والروحية تؤثر تأثيرا بالغا في حياة الكثير من الأفراد والجماعات حيث تُكون منظومة من الحوافز والدوافع التي تحدد مسارات السلوك الفردي والجماعي فيما بين الأفراد. كل ذلك يؤكد على أهمية الوازع الديني في تطوير وتنمية المجتمعات كونه يُمثل مجالا من الأنشطة والأشكال والرموز المقدسة، يحمل في طياته عناصر حيوية وتصورات محرّكة لعمليات النشاط في الميادين المختلفة بما فيها المجال الاقتصادي والتنموي. وهو ما جعل مالك بن نبي يؤكد في العديد من كتاباته على أن المجتمع يمر بمراحل تبدأ مرحلته الأولى بظهور فكرة دينية وينتهي عندما تفقد الفكرة الدينية قوتها التي أكسبتها الفرد وتفاعل معها " وأن كل تغير يطرأ في أية مرحلة من مراحل المجتمع هو ثمرة التفاعل بين الفكرة الدينية وسندها المحسوس والمتمثل في الإنسان، وأن الفكرة الدينية هي التي تُهذب وتُحفز الطاقة الحيوية للإنسان لتحديد أمامه طريق الحضارة" 2. وعلى أهمية الأفكار على الوسائل المادية في تحقيق التنمية، حيث قدّم دليلا من الواقع عند المقارنة بين اندونيسيا والعراق كبلدان يمتلكان أكثر الأراضي خصوبة وجودة في العالم، ورغم ذلك لم يستطيعا تحقيق النهضة، في حين نجد ألمانيا مثلا وعلى الرغم مما شهدته من انهيار شامل بعد الحرب العالمية الثانية إلا أنها استطاعت ان تحقق

1-بركات حلیم، المجتمع العربي في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 424

2-عبد المنعم عبد الحميد، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي، الملتقى الدولي حول فلسفة البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله غلن، تنظيم جامعة الجزائر 20، 1-21 نوفمبر 2012، الجزائر، ص 134

نهضة نوعية بفضل غناها الفكري الذي ساعدها بعد عشر سنوات أن تصبح قوة مركزية، وهي نفس النتائج التي توصل اليها صمويل هنتجتون (Samuel Huntington) في دراسة مشابهة لمقارنة كوريا الجنوبية وغانا. ما يظهر أن البناء الحضاري مرتبط بالقيم الدينية والروحية كقوة أساسية في تكوين الحضارات وتطورها، و يؤكد على أن انطلاقة التنمية الاجتماعية والحضارية تتطرق مع لحظة دخول الفكرة الدينية والتي سماها مالك بن نبي لحظة الميلاد وبما تحدثه من تغيرات على أنماط الحياة والسلوك والأفكار في المجتمع و" أن العنصر الديني فضلا عن انه يغذي الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تُكوّن "الأنا" الواعية في الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذا الأنا وما له من دور في تحريك الإنسان وكون الأنا هو الموجه لذاتية الإنسان"1. وهو ما يجعل من التغيير الذي يصيب جوانب الحياة المختلفة يعود بالأساس إلى قوة تأثير الأفكار، وأن الدين يعد أساس الانطلاق الحضاري ليصبح إدماجه في التنمية حسب الكثير من الدراسات أمر لا يمكن تجاوزه من حيث مراعاة الأبعاد الروحية عند التفكير في تحقيق التنمية، حيث لا يتحقق ذلك بعيدا عن القيم والمعتقدات كمنطلقات فكرية و رمزية وروحية محفزة لتحقيق التنمية ودافع قوي نحو السعي والعمل تطلق طاقة وقدرة كامنة تستثمر في تحقيق النهضة. يقول المؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون 1841-1931) (Gustave Le Bon) "إن أهم المبادئ التي تسيطر عليها الأمم وعماد الحضارة تتمثل في المبادئ الدينية التي كانت على الدوام أهم عنصر في حياة الأمم والشعوب ، والدين هو العامل الوحيد الذي تتوحد به منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها، وأن قيام الأمم بأعظم الأعمال كان في عصر هذا التطور الذي يحدثه الدين في نفوس أتباعه، والذي بسببه تأسست أكبر الممالك في التاريخ. ويدل في ذلك على أن تاريخ الأمة الإسلامية التي نشأت وتطورت على أساس تلك الفكرة الدينية التي اقتبستها من رسول الإسلام"2 .

1- عبد المنعم مذكور عبد الحميد، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي، مرجع سابق، ص135

2- عبد المنعم عبد الحميد، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي، نفس المرجع، ص135

ومن هنا يمكن القول إن الدين يُمكن أن يكون عاملا محوريا لتحقيق التنمية بما يُمثله من قوة مؤثرة في حياة المجتمع، وبما يوفره من قوة للتحفيز والعمل المتميز، وبالتالي فإن أي برامج موجهة للتنمية يجب أن توازن بين الجوانب الفنية والتقنية وفي الوقت نفسه فهم القوة الروحية والمعنوية التي يُمكن أن تُحدث تغييرات في المواقف والاتجاهات والسلوك بهدف استثمارها وتوظيفها في إحداث التغيير المنشود. وهنا نجد أن الدين قد يُساعد على تحقيق منطلقات التنمية بمعايير قيمية أخلاقية تكون محفز للسلوك من خلال مجموعة المبادئ والقيم التي يضعها لتنظيم علاقة وحياة الإنسان بربه ومجتمعه. وهو ما يجعل من هذه القيم الدينية ليست مبادئ نظرية فحسب لكنها أيضا سلوك وعمل.

ومع كل هذه الدلائل التي تؤكد على قوّة الدين في المساهمة على تحقيق التنمية، إلا أنه يجب الاعتراف بوجود تيار فكري لا يؤيد فكرة العلاقة والدور الذي يشغله الدين ممثلا في الإسلام في دفع التنمية بل يعتبره سدا مانعا لتحقيق هذا المسعى، وأن الإسلام عامل من عوامل التخلف الحضاري للبلاد الإسلامية. حيث نجد ماكس فيبر مثلا في معالجته للإسلام "يرى بوجود تعارض بين الإسلام وروح الرأسمالية ونشوء المؤسسات بسبب تأثره بالقيم البدوية ونشوء تحالف بين السلطات وعلماء الدين"<sup>1</sup>.

1- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 584

وأن الإسلام يقوم على مقاومة التحديث والعقلانية وهو المسؤول عن تخلف المجتمع الإسلامي وكونه يمثل عقبة في طريق التنمية والتقدم لكونه يمثل الاستسلام المطلق لإرادة خارجة عن نطاق الواقع" كونه يعني الخضوع التام وغير المشروط للمشيئة الإلهية وأنه يهيئ مكانا للقدرية في تفكير وسلوك المسلمين ، ومن حيث أنه يضغط على التسليم بأن أحداث الكون جميعها محددة سلفا، وبأن كل ما يصيب الإنسان مكتوب ومقدر و بالمقابل لا يدع مكانا للحرية و الإرادة والتي تعد أساس السيطرة عند فيبر، والدافعية للإنجاز عند "ماكلياند"، وعلى ذلك فإن الإسلام مصدر التخلف والاستبداد السياسي في المجتمعات العربية بوصفها مجتمعات إسلامية " 1.

في حين يرى الاتجاه الآخر أن الإسلام كدين ومنهج حياة شامل للجوانب الاقتصادية، الاجتماعية، الفكرية، السياسية والثقافية يتضمن قيم أخلاقية وأوامر تدعو إلى العمل والاجتهاد والتنظيم والإتقان والتعاون والصدق في المعاملة وعدم الإسراف وتشجيع نمو رأس المال والملكية الخاصة وفق آليات وحدود معينة، كما يُعظم العمل التجاري والإبداع والسعي وتشجيع التضامن و الاندماج والتعاون، و يتوفر على قيم روحية تساهم في تشجيع العمل باعتباره عبادة لها جزء دنيوي وأخروي ، كما يعزز ويدعو إلى ثقافة الحكامة في الإدارة واحترام القانون، و يتميز بكونه يمارس رقابة داخلية وخارجية ارتباطا بمفهوم الحلال والحرام تساهم في الحد من الفساد وتشجيع احترام العقود ، وكلها مبادئ وقيم دينية وروحية ذات بعد عقلاني حدائثي ومؤشرات وأسس منهجية توفر بيئة ملائمة للتنمية والتطوير وإنشاء المؤسسات.

وأن الإسلام يتضمن أخلاقيات تحمل مبادئ كلية وأهداف عامة كالعدل والتكافل الاجتماعي ومراعاة المصلحة العامة، حيث تتضمن القيم الروحية الإسلامية صلة تربط بين الجانب الروحي الذي يشمل العلاقة بين الإنسان وخالقه والجانب الاجتماعي الذي يقوم على المساواة في الحقوق والمكانة الاجتماعية

1- المنوفي كمال، الإسلام والتنمية دراسة ميدانية لإشكالية العلاقة، مجلة الفكر الاستراتيجي، العدد 15 ، 2007 ، ص69-106

على أساس المودة والرحمة وحسن الإدارة والنظام، والجانب الخلفي الذي يشمل الصدق والأمانة والوفاء والتراحم والعدالة والسخاء والإيثار وسعة الأفق والصبر والحلم والشجاعة.

وفي هذا السياق نجد أن ماكسيم رو دنسون (Maxime Rodin son) (1915-2004) يقدم في كتابه الإسلام والرأسمالية رؤية نقدية لموقف فيبر من الإسلام إذ يقول "أنه لو كان ماكس فيبر على حق وكانت الرأسمالية لم تنمو في العالم الإسلامي لأن الإيديولوجية السائدة فيه تتعارض مع العقلانية الضرورية لهذا النمو فسبب ذلك ليس في الإسلام نفسه ولكن في العوامل التي تلتقي لتكوّن أساس تلك الإيديولوجية وفي العقائد السابقة... والواقع أن السمة العقلانية كانت واضحة في الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط، وبضيف أن هناك بيّنة صارخة على أن الإسلام لم يكن بطبيعته عثرة دون نمو نظرة أخلاقية وعقلية تتحوا منحى الرأسمالية نجدها لدى سكان بني ميزاب كفئة مسلمة يعترف كل الذين درسوا أحوالهم أنهم في كثير من الأحيان يشبهون الكلفانيين الذين يعتبرهم ماكس فيبر أبا الرأسمالية، حتى أصبح متعارفا عليه أن يطلق عليهم اسم طهري الإسلام، ذلك أن هؤلاء الناس يعملون دون كلال في الحفاظ على منابت النخيل وفي منطقة صحراوية فيقتضهم ذلك جهدا مستمرا ولكنهم بالدرجة الأولى تجار يكسبون ثروات ضخمة في كل الجزائر وخارجها عن طريق عملهم الدائب في تجارة السلع وفي الإقراض بالفائدة، وهم مع ذلك لا يختلفون في عقيدتهم الدينية أي اختلاف جوهرى عن الإسلام بصورة عامة حول أية نقطة تصلح لأن تكون تفسيرا لنشاطهم الرأسمالي. وأنهم يتميزون بالتقشف في العيش ولا ينصرفون للكسل ولا تبديد المال في الكماليات. وهذا دليل بين أن آراء الإسلام بشأن الحياة الاقتصادية والسلوك البشري بصورة عامة لا يتعارض أبدا مع اتجاه النشاط في الطريق الرأسمالي. إذ ليس هناك إذن من دليل قاطع على أن دين الإسلام هو الذي منع العالم الإسلامي من أن يتجه نحو طريق الرأسمالية الحديثة"<sup>1</sup>.

1- ماكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، بيروت، لبنان، 1982، ص105

ويضيف رودنسون " أن الإسلام ومنذ أربعة عشر قرن قد اكتشف المبادئ التي بدأت أوروبا الآن تكتشف قيمتها بعد أن أخذت تدرك الكارثة التي قادتها إليها الأسس التي قامت عليها حياتها حتى الآن، وأول هذه المبادئ مبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فالعقيدة القرآنية إذن أكثر استنادا على العقلانية فهي تحض حضا جليا على العمل الناشط في الحياة الفردية و الاجتماعية"1 .

إن الأمر بتأكيد عقلانية الإسلام وتمتعه بقدرة الارتقاء والتطور لم يتوقف عند ماكسيم رودنسون، بل أن الكثير من علماء ومستشرفي الغرب المعاصرين يعترفون أن الإسلام دين ودولة وحضارة ونظام حياة دافع للتنمية، وهنا نجد أن المفكر والفيلسوف السويسري "دوارد مونتييه" وأستاذ اللغات الشرقية يقول في كتابه "الدعاية المسيحية وأعدائها المسلمون" إن الإسلام في جوهره دين عقلائي لأبعد الحدود وفق أوسع المعاني لهذا المصطلح من الوجهة الاشتقاقية والتاريخية"2

وفي نفس الاتجاه يقول الأديب والمفكر الإيرلندي جورج برناردشو (George Bernard Shaw)(1856-1950) "أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور بسبب حيويته المدهشة. وأنه بأبعاده الأفقية والرأسية قادر على عمل توافق قوي بين الإنسان والكون المحيط به، وهو دين العقلاء وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية"3 .

1-ماكسيم رودنسون، نفس المرجع، ص159

2- عبد الوهاب أحمد، الإسلام في الفكر الغربي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1993، ص22

3- عبد الوهاب أحمد، الإسلام في الفكر الغربي، نفس المرجع، ص22

وفي نفس السياق يقول فرنسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) في كتابه "الإسلام والحداثة والربيع العربي 2015" أن معظم الأنشطة الدينية ومنها الإسلام تمتلك عقيدة متطورة، وأن الإسلام وخلال تاريخ المجتمعات الإسلامية كان أساساً لخلق نظام سياسي أوسع ونظام أكثر عالمية<sup>1</sup>. ما يجعل من الإسلام بذلك يعتبر من البدائل الاقتصادية الممكنة لما يحتويه من نظم وقيم تحمّل رؤى تنموية تجمع بين البعد التنموي والأخلاقي. يقول الخبير الفرنسي جاك أوستري (Jack Astoria) في كتابه الإسلام والتنمية الاقتصادية "أن طرق الإنماء ليست محصورة بين الاقتصاديين المعروفين الرأسمالي والاشتراكي بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي الذي سيسود المستقبل لأنه على حد تعبير أوستري أسلوب كامل للحياة، يحقق المزايا ويتجنب كافة المساوئ، ذلك أن الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق الرفيعة وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبداً. كما أكد ذلك "ليون روشي" (Lyon Rouchi) في كتابه ثلاثون عاماً في الإسلام على أنه وجد في الإسلام حلّ المسألتين الاجتماعية والاقتصادية اللتين تشغلان بال العالم الغربي"<sup>2</sup>.

وهو نفس ما توصل إليه المفكر والفيلسوف الفرنسي "روجي غارودي" (Roger Garaudy) (1913-2012) في قوله " أنه سوف يكون غريباً اعتبار عقيدة قادت المسلمين إلى تجديد أربع حضارات كبرى وإلى الإشعاع على نصف العالم أنها عقيدة قدرية منقادة، هذه الدينامية في الفكر والعمل هي عكس القدرية التي اقتادت ملايين البشر إلى التأكد من أنه كان يمكنهم أن يعيشوا على نحو آخر، وأن الإسلام يحمل بذور تغيير جذري على مستوى الإنسانية"<sup>3</sup>

1- فرنسيس فوكوياما، مترجمة رضوان زيادة، الإسلام والحداثة والربيع العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص9

2- زيد بن محمد الرماني، حقائق الاقتصاد في الإسلام من منظور محايد، موقع شبكة الألوكة الثقافية، اطلع عليه بتاريخ 14-05-2018 على الساعة 16.00

3- خليل عماد الدين، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، الرياض، السعودية، 1992، ص215

كل ذلك يجعل من العقائد الدينية والإسلامية على وجه الخصوص ركيزة أساسية في فهم وتفسير حجم التفوق الذي عرفته الحضارة الإسلامية ، وهو ما حاول الكثير من المفكرين المسلمين في مختلف المراحل التاريخية التأكيد عليه والرد على الادعاءات الغربية التي ربطت بين تخلف المجتمعات العربية والعقيدة الإسلامية، حيث أكدت هذه الدراسات على نفي هذا الادعاء والتأكيد على عمق العلاقة بين العقيدة الإسلامية والبناء الحضاري لعل أبرزهم نذكر (رفاعة الطهطاوي 1801-1873) ( جمال الدين الأفغاني 1838-1897) (محمد عبده 1849-1905) (خير الدين التونسي 1822-1890) (مالك بن نبي 1905-1973) والذين أكدوا على أن الإسلام هو سبب ما حققته الحضارة الإسلامية من قوة و ازدهار وذلك "بما يتضمنه من تشريع وقوة أخلاقية وتجربة تاريخية وفضائل أخلاقية تمثل دافعا محوريا في بناء الحضارة وبما يمتلكه من قدرة على تحريك الطاقات المادية والمعنوية لدى المؤمنين به وإزاحة كل العوائق التي تضعف وتعرقل مسار الحضارة الإنسانية"<sup>1</sup>.

ما يعني بالتالي أن الإسلام لا يؤدي ولا يدعو إلى الانقطاع عن الحياة ومتطلباتها، بل هو نظام يعمل على تحقيق خلافة الإنسان في الأرض و "أن الإسلام لا يقود إلى العزلة عن المجتمع بل هو مطالب بالتحرك في كل الاتجاهات لتحقيق المصلحة الاجتماعية الفردية والجماعية ضمن إطار تعبدية لتجسيد فكرة الخلافة لما يحمله من قيم عقلانية تساهم في تحقيق النمو على شكل مستقر"<sup>2</sup>

1- عبد المنعم مذكور عبد الحميد، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي، مرجع سابق، ص 137

2- المنوفي كمال، الإسلام والتنمية دراسة ميدانية لإشكالية العلاقة، مجلة الفكر الاستراتيجي، العدد 15، 2007، ص 69-106

وكلها دلائل ومؤشرات تؤكد على ان الإسلام وانطلاقا مما تضمنه من قيم وتعاليم دعت لتحرير العقل وتنوير الفكر واكتشاف السنن وتحريم الجمود وتعظيم العلم وطلبه والاجتهاد فيه، جاء ملييا لحاجات الإنسان في كل زمان ومكان وليجعل منه إنسانا متكاملا ومعاصرا وبصيرا في حياته التي استخلفه الخالق عليها بعد أن خلقه في أحسن صورة. كما يبعث الإسلام في نفوس البشر دوافع وحوافز نحو العمل والاجتهاد والإتقان لتحقيق التطور المستدام. وهنا يتفق الفقهاء على أن التنمية في الإسلام تدخل في إطار الواجبات التي تقع على عاتق المسلم، بل أن الإسلام اعتبر السعي إلى الرزق وخدمة المجتمع وتنميته أفضل صور العبادة، وأن نشاط الإنسان يعتبر عبادة يثاب عليها، حيث نجد القرآن الكريم ربط بين العمل والايمان في الكثير من المواقف والآيات.

كل ذلك جعل من الإسلام دين حدائي وعقلاني ذو رؤية أولت أهمية كبيرة للتنمية بمفهومها الشامل والتي جاءت في الإسلام بمفاهيم متعددة مثل الاستحلاف والإعمار والإحياء معتبرا الإنسان في تلك المهمة محور عملية التعمير التنموية عندما جعله قيمة حقيقية باستحلافه في الأرض، وبما منحه الله من قدرات ذهنية وجسدية متميزة. ما جعل من التنمية ضرورة اجتماعية وعبادة إسلامية تهدف إلى تحسين حياة الإنسان بشكل متوازن يجمع بين حاجاته الاجتماعية ومتطلباته الروحية. والإسلام بهذا المعنى لا يقتصر على أمور العبادة في المساجد والصيام ومزاولة الفرائض وتحسين الأخلاق وتهذيب السلوك وروحانية القلب ، بل أسس لنظام شامل متكامل يعالج جميع شؤون الإنسان ويوجه كافة المجالات التي هي ضرورية للحياة و يضع الحلول المناسبة لما يعرقل مسيرة المجتمع نحو التطور كما يتأسس على منطق الرقابة الذاتية القائمة على مراعاة الحلال والحرام كطريق لمنع وتجنب الانزلاق والفساد والنهب والتكديس. كما أن موقف الإسلام من العمل نابع من فكرة أن الاستحلاف في الأرض لا يتحقق إلا بالحركة والتغيير والعمل، لذلك جعل العمل المعيار الأساسي في الحياة وأن كل طاقة إنسانية فاعلة لابد أن تسخر لخدمة

أغراض الإنتاج والتنمية وتوفير أسباب الارتقاء، فنجد أن منهج الإسلام يقوم على الترابط العضوي بين الدين والدنيا، وأن الحياة الدنيا وسيلة لغاية أهم ترتبط بالعبادة والاستحلاف.

وكلها مؤشرات تُظهر أن الإسلام لم يكن عائقاً أمام النهوض الاجتماعي كما لم يكن مضاداً للحدثة والعقلانية، بل نجده يجعل من النشاط التنموي عملاً تعبدياً يربط الدين بالدنيا، و أن المسلم يسعى بنشاطه لمرضاة الله، ومن ثم فهو يعمر الأرض ويحقق الاستحلاف في الأرض ما جعل من التنمية في الإسلام تلتزم بالقيم الإيمانية لتحقيق الرخاء والسعادة وإقامة الدنيا والدين و الدعوى إلى العمل والاستثمار وتعمير الأرض والضرب فيها من خلال ضوابط دينية أخلاقية تحكمه تتمثل في أن الملك كله لله أساساً وخزائن الرزق بيده يجب على الإنسان أن يبتغى وجه الله في كل أعماله مثل الصدق والأمانة، والوفاء وحسن المعاملة، والإخاء وإتقان العمل، كما عليه ألا يهمل حقه في الاستمتاع بالحلال دون إسراف أو تبذير، وأن يتجنب توجيه ثرواته وأمواله وأعماله نحو الإفساد في الأرض أو إيذاء الآخرين، وعدم اعتماد الريا والغش والخداع في التعاملات والتبذير والإسراف وإتقان العمل وعدم الاتكال و الاعتماد على الغير في الإنتاج . كما أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بعمارة الأرض وباستخدام كل ما فيها من موارد ظاهرة وباطنة، كما سخر للإنسان سبل العيش وكسب المال ورزقه من الطيبات ومكّنه من العمل.

كل ذلك يدعو للاستنتاج أن الإسلام يحمل قيماً سامية وفضائل نبيلة وأخلاقاً مثلى يجمع بين ما هو مادي وروحاني، وأنه لم يكن في يوم من الأيام وفي أي موقف من المواقف عائقاً أمام أي نهوض أو تقدم أو تحديث في المجتمع الإسلامي، بل كان دائماً هو الدافع لأي تقدم ونهضة وتحديث مهما اختلف الزمان والمكان.

## ثالثا: الإسلام بين الطابع الرسمي والممارسة الشعبية

## مدخل

إن الدراسة السوسولوجية لموضوع الدين بشكل عام والإسلام بشكل خاص تقتضي التمييز بين نموذجين للممارسة الدينية في المجتمع الجزائري عبر مستويين من التدين، أحدهما تدين رسمي مؤسساتي، والآخر تدين شعبي طرقي يتميز كل منهما بخصائص ومميزات تعكس الواقع السوسيو ثقافي للمجتمع الجزائري.

ولكون التدين في دلالاته الاصطلاحية كما يقول صلاح عبد المتعال هو "نمط سلوكي وأسلوب حياة بغرض التمسك والالتزام بأفكار المعتقد الديني وتعاليمه اتجاه الخالق والمجتمع"<sup>1</sup>، فإن التدين يعد حقلًا من حقول الممارسة الاجتماعية يتجسد عبر مؤسسات دينية وممارسات طقوسية رمزية تنبثق من خصوصيات ومميزات كل شكل من أشكال التدين. تتداخل هذه الممارسات بشكل كبير في الحياة اليومية للأفراد لتشكل لديهم رأسمال رمزي وقوة معنوية وسلطة روحية لا يمكن تجاوزها، تكون حاضرة على مستوى تمثلات الناس بشكل يعكس مواقفهم العملية وممارستهم في الواقع، خاصة في مجتمع يُعد الدين فيه حاضرا في كل مجالات الحياة. ومن هذا المنطلق "ثمة مستويين للتعامل مع الظاهرة الدينية، المستوى الأول يتعامل مع ما يمكن أن يسمى الدين النصي القائم على النصوص الحاكمة في دين ما، هذا المستوى من التعامل والتحليل هو أقرب ما يكون إلى الأعمال الفقهية من حيث الشرح والتأويل والتفسير وأعمال القياس. أما المستوى الثاني فيتعامل مع الظاهرة الدينية كواقع معاش أو بمعنى أدق يتعامل معها كممارسات يومية سواء على المستوى الطقوسي أو المعاملات الحياتية الجارية، وهذا التحليل من هذا المستوى إنما هو تحليل سوسيو ثقافي في المقام الأول لا علاقة له بالأعمال الفقهية"<sup>2</sup>. وهنا نجد "جاك بيرك" في دراسته

1- منديب عبد الغني، الدين والمجتمع، دار إفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2006، ص49

2- فهمي علي، دراسة في سوسولوجيا الفهم الشعبي للدين، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص397

حول البنيات الاجتماعية يميّز بين فئتين من المعتقدات والممارسات الدينية، فالفئة الأولى تنتمي إلى حضيرة المقدس المسجد حسب تعبير "جاك بيرك" (Jacques Berque) وتضم المعتقدات والطقوس التي ترتبط بعبادة الأولياء وأضرحتهم، في حين تحل الفئة الثانية في إطار ما يسمى بالمقدس غير المسجد ويضم الشعائر الدينية التي تمارس داخل المسجد حيث يُعبد فيها الله بشكل مجرد ودون أية وساطة<sup>1</sup>

### 3-1 الإسلام الرسمي

يُمثل هذا النوع من التدين المستوى الرسمي والذي يتعلق بالمعتقدات والممارسات الدينية النصية كما تُحددها المؤسسة الدينية وعلماء الدين القائمون عليها. يتمثل في المجتمع العربي وعند المسلمين في المعاهد الدينية والمساجد والفقهاء والشيوخ وعلماء الدين المعنيين بتفسير المعتقدات والطقوس انطلاقاً من النص القرآني والشريعة والوحي والأحاديث النبوية الشريفة والقياس، يقوم على أن فكرة التوحيد مقرونة بغياب الوساطة بين المؤمن والله، كما يتميّز بالتشديد على النصوص والشريعة والتوحيد والسنة النبوية والوحي ويمارس في الأغلب من قبل المثقفين ورجال الدين الرسميين، قوامه أنه دين نصي يعتمد العقائد والطقوس والشعائر المنظمة والمقننة بواسطة جهاز ديني رسمي. "يقدم الدين الرسمي نفسه على أنه يمثل السنة الصحيحة و يوصف على أنه نموذج طهري، وحدوي، فرداني، كتابي لعبادة الإله الواحد الذي أوحى رسالته الأخيرة في نص نهائي يمكن الوصول إليه من قبل أي شخص يهتم بقراءته، وهي صيغة تلغي كل وسيط ولا تتطلب وجود طبقة دينية خاصة اللهم إلا طبقة من المتعلمين يمكنهم أن يحرسوا ويشرحوا الوحي المُنزل، إنها طبقة مفتوحة لجميع من تعلم وليس طائفة مغلقة، في المقابل هناك النموذج "الشركي" مفتوحة لجميع من تعلم وليس طائفة مغلقة الذي يسمح بوجود الوسيط والشفاعة والمبالغة الطقوسية والتعبدية و التراتبية الدينية"<sup>2</sup>

1-هنوس نادر، التدين في أوساط الشباب الحضري، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران 2، 2015-2016، ص2

2-راجعي مصطفى، التدين وثقافة النمو، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2010، ص7

## 3-2 الإسلام الشعبي

وهو التدين في تداوله الحقيقي وممارساته اليومية والواقعية بين الناس بعيدا عن الطبقة والمرجعيات الرسمية، يتكون من التقاليد والأعراف الدينية السائدة في الطبقات الشعبية للمجتمع حيث يتجلى ضمنه المقدس عبر فضاءات ترتبط بالأماكن والأشخاص والأشياء التي تُجسد رموزا ترتبط بالدين، ما يجعل منه " مجموعة الآراء والممارسات الدينية المنتشرة بين الناس بعيدا عن اللاهوتية المتشددة وأشكال الطقوس الدينية للدين الرسمي أو بجانبها" 1 . يظهر خاصة عندما يتماثل للناس بأن القوى الغيبية لا تساعدهم في رفع الظلم وأنهم بحاجة لواسطة ذات قدرة رمزية، وهنا تصبح ممارسات التدين الشعبي فرصة تتجسد عبر الحقول الاجتماعية المختلفة. وقد عرف المجتمع الجزائري والمغربي عامة عبر تاريخه الديني الإسلام الشعبي في وقت مبكر، تظهر خاصة عبر الطرق الصوفية من خلال المزارات وأضرحة الأولياء والقديسين الصالحين، ومن عناصره تدرجات القداسة والتفسيرات الرمزية وضعف العلاقة مع علماء الدين والتشديد على تجسيد القوى المقدسة والوسطاء بين المؤمن والله. وعلى أهمية التجربة الروحية الذاتية والورع الداخلي والإيمان بالعجائب الخارقة والبركة والتأويل، يتمركز فيه التعبد حول شخص الولي أو الشيخ أكثر منه على النصوص والتعاليم المجردة. يتجسد خارج النص الرسمي المؤطر تحت دائرة الإسلام الفقهي، ما يجعل منه دين يعكس ممارسة الدين كما هو في الحياة الواقعية للأفراد. "ينتشر خاصة في الريف وبين الفقراء والمحرومين والضعفاء، كونها طبقات تحتاج إلى وسيط يتجسد في شخص صالح يشاطرهم حياتهم ويتحسس مآسئهم ويساعدهم على حل مشاكلهم وينصرهم ضد ظالمهم ويتكلم لغتهم، لذلك يكثر وجود أضرحة الأولياء والمزارات والزوايا والطرق الصوفية في أحياء المدن الفقيرة والمحرومة والنائية والتي لا تصلها المؤسسة الدينية المتمركزة في المدينة وفي شراكة

1-الماجدي خزل ، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المغرب، 2016، 543

مصلحية مع سلطة الدولة"<sup>1</sup>. حيث تجلى ومورس هذا النوع من الدين خاصة حسب "لطيفة الأخضر" في الطرق التي نشأت في المغرب العربي كمؤسسات موازية للدولة من خلال توظيفها لسلطتها المعنوية والرمزية داخل الريف والمناطق القبلية أين يقل حضور الدولة، وهو ما جعل من المتصوفة يحتلون مكانة اجتماعية مرموقة داخل الفضاء الاجتماعي بفضل الخدمات والمهام العديدة التي كان يقدمها للمواطنين كالتعليم والفتوى والتحكيم والقضاء بين المتخاصمين وغيرها، في ظل ما يتميز به شيوخه من كاريزما وقوة معنوية وبما يحمله الأفراد من صورة ذهنية ايجابية لهؤلاء. وكلها عوامل جعلت من التصوف يشكل أداة من أدوات الشعب في سعيه لحل مشكلاته المستعصية والتعامل مع واقعه.

وبالخلاصة يمكن القول ان التدين الشعبي ممثلا في الزوايا والطرق الصوفية يمثل بطوقسه وممارساته أحد أهم عناصر الثقافة الروحية ومكونات الشخصية الشعبية السائدة في المجتمع الجزائري عامة وفي وسطه التقليدي الريفي خاصة. حيث ساهمت هذه الثقافة الدينية الشعبية مع العصور في تكوين عقلية وذاكرة جماعية وشخصية معنوية وتراكم لرأسمال ثقافي واجتماعي، كما سعى إلى تقديم عبر مؤسساته الكثير من الخدمات وساهم بشكل مباشر في تحقيق التنمية للمجتمع في المجالات المختلفة، إذ وعلى من الرغم من التحولات الكبيرة التي عرفها المجتمع في مجالاته المختلفة لازالت هذه المؤسسات التقليدية كالأضرحة والزوايا "تعد كخزانات للقداسة السماوية على حد تعبير إيميل درمنغن emmielle Drogman"<sup>2</sup> إذ وعلى الرغم من حجم التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري إلا أن القوة الرمزية لشيخ الزاوية لازالت كمصدر للكثير من القرارات والعمليات لما يملكه من قوة وتأثير وكاريزما ضرورية لتلنت الجماعة حوله وفي المجتمع الريفي خاصة، حيث استمر دور الزوايا داخل المجتمع الجزائري ولو بشكل متراجع

1-بركات حليم، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات عربية للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص 250

2-منديب عبد الغني، مرجع سابق، ص 47

بعض الشيء في السنوات الأخيرة، إلا أنها لازالت تمثل مرجعية دينية ثقافية فكرية يرجع إليها في الكثير من الظروف والمواقف. ومن هنا يظهر أن التدين الشعبي تجسد فكريا عبر التصوف في مراحل تطوره المختلفة تؤطره الزوايا ويتمركز بها، يجسد الدين ويعكسه كما يمارسه الأفراد في حياتهم اليومية عبر تصورات وممارسات وقيم تصبح تمثل نوعا من الإلزام الاجتماعي.

## المبحث الثاني: التصوف قيم روحية وأدوار تضامنية

### 1-1 مفهوم التصوف

تعددت مفاهيم التصوف كقيمة دينية وحالة إنسانية وتجربة روحية، كما تعددت عوامل وظروف نشأته وتطوره. يعرفه ابن خلدون على "أنه العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"<sup>1</sup> في حين يعرفه ابن القيم الجوزية على "أنه رياضة للنفس ومجاهدة للطبع الإنساني بكفه عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة"<sup>2</sup>. أما سبنسر ترمنجهام (spencer tramingham) فيرى "أنه تنمية منظمة للخبرة أو التجربة الدينية فهو ليس نظاما فلسفيا ولا فرقة دينية، وإنما طريقة للعيش في صفاء كامل دون إيديولوجية ولا قواعد ولا عقلانية وجوده يكمن في الإحساس والحدس والإنطباع"<sup>3</sup>.

كما يعرفه ابن العربي أنه "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي الخلق الإلهية، وإتيان مكارم الأخلاق وتجنب السفيه منها"<sup>4</sup>.

1- ابن خلدون، المقدمة، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004، ص 517

2- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، ط7، بيروت، لبنان، 2003، ص85

3- سبنسر ترمنجهام، الطرق الصوفية في الإسلام ترجمة عبد القادر الجراوي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت لبنان، 1997، ص12

4- ابن عربي محي الدين، رسائل ابن العربي، منشورات المجمع الثقافي، ط1، الإمارات العربية، 1998

وفي تعريفه للتصوف يرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله "أن المتصوف هو الذي تتوفر فيه شروط معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعلم بهما، والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر والتفكير في مخلوقاته والتقى والورع والتجرد عن هوى النفس وحب الدنيا والابتعاد عن مغريات السياسة والسلطة"<sup>1</sup>

وبالخلاصة يمكن القول ان التصوف هو عزوف النفس عن الدنيا وملذاتها والزهد عنها، والاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله والتسلح بالقيم الأخلاقية على مواجهة الحياة ومحاسبة النفس لتصحيح أخطاءها والابتعاد عن شهوات الدنيا لتصحيح الحياة عند المتصوفة وسيلة لمرضاة الله والتقرب إليه. ما جعل من التصوف مدرسة سلوكية أساسها تربية النفس والتطلي بالأخلاق الكريمة والحضور مع الله والشدة على النفس بالمحبة والمراقبة الدقيقة لخواطر النفس الأمارة بالسوء. استمد مشروعيتها وقيمه الأخلاقية ومبادئه الفكرية والسلوكية من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الصحابة رضي الله عنهم فممنح لأتباعه صفاء الطبع ونقاء السريرة مستندا في ذلك على حياة رسول الرحمة والصحابة وأقوالهم وأفعالهم والتي تجسد سلوك التقشف والزهد والإقبال على الله والإعراض عن الدنيا والإخلاص في العمل والصدق في القول ومحبة الآخرين. يجمع بين التجربة الدينية القائمة على حسن العبادة والمحبة الإلهية والقيم الاجتماعية، النفسية، السلوكية والأخلاقية. لتجعل منه تجربة فردية يتخذها الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

## 1-2 ظروف النشأة ومراحل التطور

ارتبط ظهور ونشأة التصوف الإسلامي بوصفه تجربة روحية تتميز بالزهد والعزلة وسعي المرید الوصول إلى الدرجات العليا من المعرفة بالله ومجاهدة النفس بمجموعة من التحولات الفكرية، الاجتماعية،

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998، ص 463

الاقتصادية والسياسية التي عرفها المجتمع العربي مع بداية الدعوة الإسلامية متأثرين بقيم القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ ظهر التصوف مع نهاية القرن الثاني الهجري حينما انتشر في ربوع الدول الإسلامية اللهو و زيادة الإقبال على الدنيا والانغماس في ملذاتها ما دعا لبروز اتجاه مناهض للواقع الذي انتشرت فيه المفاصد، تمثل في الاعتكاف للعبادة والانقطاع عن الدنيا والزهد عنها والإقبال على التعبد والتقشف. يقول ابن خلدون في ذلك " فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المُقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"<sup>1</sup>، ما يؤسس على أن التصوف ظهر وانتشر كرد فعل طبيعي لواقع اجتماعي تميّز بتفشي الانحراف الأخلاقي الذي شهده المجتمع بعد الفتوحات الإسلامية وما أنتجته من توسع جغرافي لرقعة الدولة الإسلامية إضافة إلى تطور الحياة الاقتصادية وما حققته من ثراء نتيجة توسع الموارد، أدى إلى انتشار الترف واللهو و الانغماس في ملذات الحياة. يقول قسطنطين رزق "إن الطرق الصوفية كمؤسسة من مؤسسات التدين الشعبي التي انتشرت انتشارا واسعا في المجتمع العربي التقليدي والمعاصر، نشأت في واقع الأمر نتيجة لحاجات اجتماعية واقتصادية وسياسية اقتضت الاندماج في جماعات منظمة تمكّن أعضاؤها من تجاوز عجزهم ، وكردة فعل على التّرمّت بصدد النصوص والتضييق على العقل والإغراق في البذخ وهيمنة المؤسسة الرسمية، و أن الصوفية ازدهرت في الإسلام حين بدأت الطبقات النافذة تتمتع بالثروات التي نتجت عن الفتوحات الإسلامية، فأقبل عامة المسلمين على الصوفية كبديل يُشدد على الزهد والتتسك والتقشف في سبيل تظمين النفس"<sup>2</sup>. بدأت كحالة روحية فردية وتجربة شخصية أُقبل عليها مجموعة من الناس اعتكفوا على أنفسهم للتقرب إلى الله فكان تصوفهم في البداية حركة نخبوية ارتبطت بمجموعة من الناس، ومع مطلع

1- ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص 420

2- العقلة غضبيات عاطف، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي، دراسة سوسولوجية، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2002، ص150

القرن الخامس هجري وزيادة الإقبال عليه صار ظاهرة اجتماعية توسعت رقعة انتشاره في وسط المجتمع إلى أن أصبح حركة دينية تبلورت وتطورت في ظل التحولات والتطورات الجوهرية العميقة التي عرفها المجتمع، وليصبح مع حلول القرن السادس الهجري مذهباً منظماً له قواعده السلوكية وقيمه الروحية ومبادئه الأخلاقية . ومع مرور الوقت أصبح ظاهرة وجزءاً من الهوية الشخصية الإسلامية للفرد، ليتجسد ويتغلغل حضور السلوك الصوفي وطقوسه في الوعي الجمعي والبنى الاجتماعية والممارسات الدينية، وليأخذ واقعا جماعيا وكيان هيكليا ذا تنظيم خاص على شكل زوايا و رباطات يمثل الشيخ أو الولي مركز العمليات التي تدور فيها. "وهكذا فإن انتشار الأولياء لم يكن استمرارا لطقوس وثنية سابقة للإسلام، بل هو نتيجة منطقية لميلاد مجتمع جديد سلّم مقاليد زعامته برهنت عن صدق نواياها اتجاهه وإخلاصها للقيم المؤطرة له"<sup>1</sup>. فظهرت قوة الزوايا ورجال التصوف الذين ركزوا على تعزيز روح التكافل والتضامن وتعزيز الشعور بالطمأنينة وجمع الناس حولها والتأسيس لمرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي، جاءت بعد مرحلة النبوة والخلفاء متخذين من سلوك وأخلاق الجيل الأول طريق ومنهاج والسعي لإعادة تنظيم وتشكيل المجتمع الإسلامي عبر إعادة صياغة الجوانب الروحية والفكرية والسلوكية للإنسان. كون السلوك الصوفي يقوم على الدعوة إلى مجاهدة النفس من الأنانية وحب الذات، والسعي إلى المحبة وغرس قيم التضامن والتعاون، ولتجعل من العطاء تقليد إنساني وواجب ديني وثقافة تتدرج ضمن قيم المجتمع القائمة على التراحم والتآخي، ومن السعي إلى الخيرات سبيلا من أجل التطهير الروحي والنفسي، حيث كان الرجل الصوفي "يتواجد دائماً مع الناس والمحتاجين منهم خاصةً ، فهو لا يعيش متفوقاً داخل ذاته بل تجده في قلب الحياة يحاول تضميد جراح المتعبين، يحنو على المصابين والمكلومين، فالصوفي

1-العلمي عبد الجليل، في أصول التصوف بالمغرب القرن السادس الهجري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، المغرب، 2014، ص80

يخدم نفسه كما يخدم الآخرين، يكتشف عيوب نفسه ليعالجها في نفسه وفي الغير ويرتفع بمستوى الحياة الروحية ليجعل منها نموذجاً يحتذى به الآخرون<sup>1</sup>. فجدّد المتصوفة ذلك عبر عديد الصور التي كانت مثالا للمحبة والإيثار والمساعدة والسعي لتقديم الخدمات وإشباع حاجات الناس، والى العمل والحركة والنشاط، فجمعوا بين الزهد والتقشف ومحاسبة النفس دون الانعزال عن الحياة والشؤون الاجتماعية. يقول الأنثروبولوجي الأمريكي Charles Lindholm "أن المتصوفة لم يكونوا أبداً منعقلين في عزلة دينية بل أنهم كانوا يتزوجون ويربون الأطفال ويعملون حرفيين وتجاراً وجنوداً، وفي الوقت نفسه كانوا بمنزلة رمز للرعاية الإلهية"<sup>2</sup>، حيث نجد أن المتصوفة لم يكونوا منذ البداية منعزلين عن قضايا مجتمعهم أو قابعين بين جدران زواياهم يستذكرون الرسوم والأورد ومنتظرين للصدقات ، بل كان المجتمع هو الفضاء المناسب لتجسيد وتفعيل قيم وتعاليم التصوف المستنبطة من تعاليم القرآن الكريم و سلوك نبي الرحمة وأصحابه عليهم الرضوان " فالعمل الروحاني يتطلب جهوداً ضخمة من أجل أن يتم له النجاح، فلا نستغرب إن استعمل الصوفي وسائل تنظيمية لعمله في مجال الحياة بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، و طريق التصوف هو طريق عملي يتماشى تماماً مع الحياة لأجل إيجاد حلول، يجب القيام بالعمل ومقاومة الأمور ومواجهة المشاكل، كل ذلك بميزان وهذا لا يعني بطبيعة الحال الارتداء بالجسد والروح في أحضان الحياة المادية إلى حد الغرق. وفي هذا الموضوع يقول الصوفية دائماً تعاملوا مع الدنيا بأيديكم ولا تدعوها تدخل أبداً إلى قلوبكم لأن الأيدي تغسل أما القلوب فلا"<sup>3</sup>. إذ كان يغلب على رجال الصوفية طابع النشاط والكد والاعتماد على النفس من خلال مزاولتهم لأنواع مختلفة من الحرف والوظائف لكسب قوتهم اليومي.

1-بدوي عبد الرحمن، تاريخ التصوف، وكالة المطبوعات للنشر، ط1، الكويت، 1975، ص104

2-طبيبي غماري، التصوف والحداثة في دول المغرب العربي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الرابع والستون، ط1، الإمارات العربية المتحدة، افريل 2012، ص168

3- بن تونس خالد، التصوف قلب الإسلام، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، لبنان، لبنان، 2005، ص70

وهو ما جعل من رجال التصوف ملجأ للطبقات الاجتماعية المحرومة للبحث عن حلول لمشاكلها وجعل الطرق الصوفية تأخذ مكانة بارزة في الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي حتى أصبحت المرجع الأول والأخير للجماهير في كل تفاصيل حياتهم الاجتماعية، الأسرية والدينية نظير الثقة التي بات يحملها الأفراد لهؤلاء المتصوفة، فتحوّلت مقراتهم ملجأ لكل محتاج للطعام والإيواء والنصرة والعلاج، كما اتخذت من بعض المواسم الدينية فرصة لخدمة المجتمع روحيا اقتصاديا واجتماعيا. يقول الشيخ عبد الرحمن الجليلي " إن من أهم أحداث القرن السادس عشر الميلادي أن اتسع فيه نشاط الفرق والطوائف الصوفية التي كان بفضلها ومن بين محاسنها أو محاسن بعضها في الميدان الاجتماعي على الأقل أن بعثت بالتقاليد الإسلامية في كثير من الجماعات البربرية التي ظلت حتى ذلك الوقت بين عناصر السكان إن لم تكن قد جعلت منهم وحدة متكاملة " 1 . ومن أمثلة ذلك ما يذكره التاريخ للمتصوف الشيخ أبو زكريا يحي(1394- 1476 ) من دور كبير في تخفيف معاناة سكان مدينة بجاية لما أصابهم من مجاعة في أوائل القرن السابع الهجري حين جمع المعونات من الأغنياء واشترى فندقا بثلاثمائة دينار وجمع فيه الفقراء المشردين واشترى لهم ما يكفيهم من الطعام واللباس إلى أن انجلت الأزمة في العام الموالي .لأن الرجل الصوفي "لا يكتمل مقامه حتى يكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم سائر لعيوبهم ، والتصوف يهدف إلى إقامة مجتمع أخلاقي تسوده المحبة والسعادة والخير " 2.

وأن الصوفي كما ذكره ذو النون المصري "عون للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كربة" أو كما قال الجنيد "لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما ينبت وما لا ينبت " 3.

1- مؤيد العقبي صالح، الطرق الصوفية والزوايا تاريخها ونشاطها، مكتبة الشروق، بيروت، لبنان ، 2002، ص152

2- فرغلي عبد الحفيظ، القرن علي، التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984، ص19

3- العلوي هادي، مدارات صوفية، دار المدى، ط1 ، دمشق، سوريا، 1997، ص186

وجعل من الصوفي يسعى دوماً لأن يُعْمَ بخدمته جميع الناس بعيداً عن ديانتهم ومعتقداتهم. ما يؤسس للقول إن ظهور الطرق الصوفية كان كرد فعل طبيعي على بروز ظروف اجتماعية قاسية وصعوبات اقتصادية معيشية عانى منها السكان المحليين، كما كان استجابة لحاجة الفراغ الروحي والاجتماعي التي عرفتھا المرحلة نتيجة ضعف أو عدم قدرة العلماء في تلك الفترة على سد تحقيق إشباع روعي لهذه الحاجات. ومن هنا برز شيوخ المتصوفة لإحداث هذا التحول العميق الذي شهده التصوف وتحويله إلى مؤسسة تستجيب لحاجات جديدة للمجتمعات الإسلامية "فصار التصوف منذ ذلك الحين قطبا للاندماج الاجتماعي لا نظير له حيث نهضت الطرق الصوفية منذ ظهورها بأدوار على غاية من الأهمية وعلى شديد التصاقها بالمجتمع وشواغله"<sup>1</sup>. كل ذلك جعل من الطرق الصوفية ظاهرة دينية بارزة في تاريخ المجتمعات الإسلامية تعاضم تأثيرها الديني ونفوذها الاجتماعي، وجعل منها نموذجا رائدا في السعي إلى إشباع حاجات الناس الروحية والنفسية، وفي تحقيق التنمية الاجتماعية المنشودة.

إن حجم الأدوار الاجتماعية التي دأبت الطرق الصوفية على القيام بها ارتبطت بقيم خلقية وعقائدية انطلقا "من تصور راسخ في التصوف الطريقي فحواه أن الشيخ الصوفي يأخذ على عاتقه مسؤولية تلبية حاجات الجماعة كون ذلك من مقتضيات الولاية ولا يُتاح له ذلك إلا إذا تميز بمجموعة من الصفات أهمها حماية الناس وتحمل أعبائهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم"<sup>2</sup> ، إضافة إلى ذلك فإن الحب الإلهي يتجلى عند المتصوفة عبر قيم سلوكية ومبادئ أخلاقية وممارسة تتجلى في مكارم الأخلاق وصفاء القلب ونقاء الروح من الأنانية والحسد وامتلاءها بروح الجود والكرم والفضيلة والسعي للخير ونصرة المستضعفين وخدمتهم ، فعكس الصوفية حسن الأخلاق والإعلاء من شأنه عبر الممارسة الفعلية

1- ابن الطيب محمد ،مسؤولية النخب الدينية والثقافية في الحفاظ على سلم المجتمعات وتضامنها، مجلة التقاهم،العدد42 عام 2013،ص103

2- ابن الطيب محمد ،مسؤولية النخب الدينية والثقافية في الحفاظ على سلم المجتمعات وتضامنها، نفس المرجع،ص103

والتطبيق العملي، فاهتموا بحسن معاملة الخالق وحسن الخلق والصدق مع الخلق حيث لا يكون العبد محبا للخالق مخلصا في محبته وهو غير مبال بحال الخلق كما يقول الصوفية "إذ وحين يدرك الصوفي هذه الحقيقة يرى رحمة الله في رحمته لإخوانه، وصرف بلاء آخرته في دفع بلاء الدنيا عن غيره، وقضاء حاجاته في قضاء حوائج الناس والسعي لهم، بل ويرى فيهم ما يراه المخلوق في أثر الخالق فيهم، فيعاملهم بالرفق والإحسان، ويمثل هذه المعاني الجياشة امتلأت ببيانات الصوفية"<sup>1</sup>. وأن خدمة الخلق شرط لخدمة الحق وسبب موصل إليه، حيث يقول (ابن خفيف 882-982) "إذا كنت لا تحسن خدمة صاحبك من البشر فكيف تحسن خدمة الله"<sup>2</sup>

وهنا نجد أن الصوفية اتخذوا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم "المؤمن مرآة المؤمن" و قوله "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً" وقوله "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" معيارا لسلوكهم الاجتماعي ومنهج أخلاقي لقيمهم. تقول أنا ماري شيميل (Anne Marie schimmel) في كتابها الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف "أن من أهم مبادئ الصوفية عمل الخير وإيثار الغير على النفس والتخلي عن الوضع الاجتماعي من أجل الآخرين، والصوفي من مبادئه ينبغي عليه أن يقطع صيامه إذ رأى أن أحدا من الجماعة بحاجة إلى طعام أو يتوق إليه، لأن إدخال السعادة على قلب الأخ أهم من الأجر على الصيام"<sup>3</sup>

وأن خدمة الإنسان عند الصوفية كانت دائما هي أولى الخطوات في الدرجات المؤهلة للطريقة والمحققة لأعلى المقامات، ما يجعل منه سلوكا واجبا عند الصوفي طيلة حياته لأنه كما يقول الشيخ الصوفي

1- قراوازان ليلي، محمد رمزي، التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، مجلد 27، 2013

2- أنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حمد قطب، منشورات الجمل، ط1، العراق، 2006، ص 260

3- أنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، نفس المرجع، ص 260

(عبد الرحمن الجامي 1414-1492) في كتابه نفحات الأنس "من اعتذر عن خدمة إخوانه فإن الله يضع من شأنه فلا يشمل العفو"1. كل ذلك جعل من مؤسسات المتصوفة مراكز للتدبير الاجتماعي والعطاء الإنساني، وجعل من التصوف يحظى بالقبول الاجتماعي في كل العصور، وأضحت صورة الصوفي تلقى التقدير والاحترام من طرف عامة الناس.

وبشكل عام فإن التصوف وإن كان تركيزه على التربية الروحية وترقية النفس فإن له تجليات على المستوى العام والخاص برزت خاصة في حجم المبادرات الاجتماعية والأعمال التضامنية والسعي لتلبية الحاجات والتفكير في قضايا المجتمع والعمل على ابتكار حلول لها وحب الخير للغير، والحلم والتسامح ومخاطبة الوجدان والقلوب بما ينفعها ويقومها. وكلها قيم ومبادئ صوفية مستمدة من روح الإسلام تدعو وتؤسس لفكرة الريادة الاجتماعية المبتكرة لغاية إنسانية. يقول الأستاذ الطاهر بونابي في كتابه التصوف في الجزائر " لا جدال في أن مجتمع المغرب الأوسط أصبح في القرنين السادس والسابع الهجريين يعتمد اعتمادا كلياً على الصوفية في مواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي لحقت به كالجفاف والمجاعة والكوارث والتفسخ الأخلاقي والتفاوت الطبقي بعد أن عجزت السلطة وطبقة الفقهاء والأعيان والأغنياء عن إيجاد مخرج ومنتفس لهذه المعضلات، وتأكدت العامة أن خلاصها الوحيد من هذه المعضلات في الصوفية بكرامتهم ومساعدتهم العملية فصارت تهرع إليهم في كل النوائب ... كما برز دورهم في إصلاح ذات البين بين الناس وسعيهم إلى قضاء حوائج الناس وتلبية خدماتها عند الحكام"2.

1-الجامي عبد الرحمن، نفحات الأنس من حضرات القدس، مكتبة الأزهر الشريف، مصر، 1989، ص43  
2- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائري خلال القرنين 6-7 الهجريين، شركة دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004، بدون طبعة، ص185

## 1-3 مراحل تطور التصوف

احتل التصوف الإسلامي مكانة مرموقة في تاريخ المجتمع الإسلامي وحضارته كحركة دينية و ظاهرة اجتماعية بُنيت على التقوى واجتهدت في تنمية القيم الروحية، برزت وتطورت ضمن سيرورة تاريخية لتراث الفكر الإسلامي عبر أربع مراحل أساسية صنفها الباحثون في تاريخ الحضارة الإسلامية كما يلي:

**1-مرحلة الزهد:** حيث ظهر الزهد مع بداية الدعوة الإسلامية في القرن الأول الهجري، يقوم على الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذاتها والإقبال على الآخرة، وبعد الخلفاء الراشدين من أهم الزهاد إضافة إلى أبي ذر الغفاري.

**2-مرحلة التصوف السني:** والذي ظهر في القرن الثاني الهجري مع الفتوحات الإسلامية حيث انتشر الرخاء والغنى والجاه واللهو والإقبال على الدنيا وزينتها. فظهر مجموعة من العلماء الأتقياء تاركين الدنيا ومنعزلين عن مباحها وإغراءاتها سالكين الاعتكاف والتقشف، يركزون على احترام مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية والسعي في الدنيا بحثا عن الرزق وتمجيد العمل، إذ واجهت هذه الفئة الظواهر المنتشرة مدافعة عن الإسلام الصحيح.

**3-مرحلة التصوف الفلسفي:** ظهرت هذه المرحلة في القرن الثاني الهجري حيث ازدهرت حركة العلوم والترجمة وانتشار المدارس الدينية والفلسفية ما ساعد على امتزاج الفكر الصوفي بقيم وأفكار خارجية جعلته يتأثر بالأفكار الخارجية وينحرف عن الأفكار الإسلامية السنية الصحيحة.

**4-مرحلة التصوف الطريقي:** وهي مرحلة انتقل فيها التصوف من حالة وسلوك فردي إلى مسلك جماعي يؤطره شيخ يصاحب مريديه للوصول لمرحلة المعرفة، ما أدى إلى انتشار وتعدد الطرق الصوفية بتعدد الشيوخ حيث أصبح لكل شيخ زاوية تمثله وتقوم مقامه 1

1- حمداوي جميل، التصوف الإسلامي من خلال قضاياها وظواهرها، مكتبة المتكف، ط1، المغرب، 2016، ص7

## 1-4 التصوف في الجزائر

عرف المجتمع الجزائري انتشار الطرق الصوفية ابتداء من القرن السادس عشر نتيجة لتداخل الكثير من العوامل والظروف الاجتماعية والدينية والسياسية منها من لا تختلف أسبابها عن بقية الأقطار الإسلامية الأخرى إضافة إلى سقوط الأندلس وهجرة الكثير من العلماء إلى الأراضي الجزائرية، إذ أكدت الكثير من الدراسات التاريخية أن الإرهاصات الأولى للتصوف في الجزائر ارتبطت بلجوء عديد العلماء والصالحين من أشرف المشرق بعد ملاحقة الحكام الأمويين والعباسيين لهم خصوصا بعد أحداث كربلاء 680 م، إذ وباستقرار هؤلاء الأشراف بدأت تبرز معالم ثقافة الزهد والاعتكاف عن الدنيا، ومع مرور الزمن تعمقت علاقة رجال التصوف في الجزائر وتشعبت شبكاته وتفاعلاته فازداد مؤيدوهم ومؤسساتهم بعد القبول الذي عرفه من أفراد الشعب في الجزائر. فبدأت مؤسساتهم تستجيب لحاجة البناء الاجتماعي والروحي للمجتمع الجزائري، ما جعل من هذه الطرق ومؤسساتها المتمثلة في الزوايا تستجيب لتطلعات وحاجات المجتمع لتصبح أداة لتأطير الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية لكل الفئات الاجتماعية في المدن والأرياف، كما حملت هذه التنظيمات على عاتقها مهمة تلبية الحاجات الدينية والاجتماعية خاصة في فترات القحط والأزمات المختلفة، ليصبح التصوف مع مرور الوقت ونتيجة للظروف المحيطة من العناصر الأساسية المشكلة للهوية الدينية والثقافية لأفراد المجتمع الجزائري. يقول أبو القاسم سعد الله " إن من أبرز ميزات العهد العثماني انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني والزوايا والرابطات ففي المدن والأرياف في الجبال الشاهقة والصحاري عاش معظم المتصوفة يلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة، وكثيرا ما كانوا يُعلمون المريدين والعامّة مبادئ الدين فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع، يتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قصّاده ومردوه ويصبح اسم المتصوف أو المرابط علما على المكان. ويصبح المكان يُدعى بين الناس زاوية أو رباط سيدي فلان. فإذا مات دفن في الزاوية ويصير الضريح علامة على الزاوية

ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل الشيخ وتزداد قداسة الزاوية بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها ونفوذها إلى نواح أخرى بعيدة وهكذا<sup>1</sup>.

كما أكد ذلك المؤرخ يحي بوعزيز بقوله "إن مؤسسي الزوايا هم رجال دين متصوفون متزهدون بدأت حركتهم تظهر في المشرق الإسلامي ثم انتقل إلى المغرب وانتشرت بشكل واسع وملفت في بداية القرن السادس وما بعده"<sup>2</sup>. إذ عرفت الجزائر خلال امتداد تاريخها انتشار الزوايا والأولياء الصالحين المجسدين لفكرة المقدس في بعده المكاني عبر كل المناطق فصارت قطبا للاندماج والتواصل الاجتماعي ترتكز في مهامها وأدوارها الاجتماعية على "مبادئ أخلاقية راسخة في التصوف فحواه أن الشيخ الصوفي يأخذ على عاتقه مسؤولية تلبية حاجات الجماعة كونها من مقتضيات الولاية وأهمها صفات حماية الناس وتحمل أعباءهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم، والولاية تقتضي الرعاية والعناية والحماية"<sup>3</sup>. فكانت بذلك الزوايا مدارس لتكوين الفرد وتنشئته على حياة العبادة والعمل وتقوية روابط وأواصر الأخوة بين أفراد المجتمع والقبائل عن طريق إصلاح ذات البين وفك النزعات وضمان التكافل والتضامن مع الفئات الهشة والضعيفة خلال الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد أثناء الأزمات أو في غياب السلطة وعدم قدرتها عن تلبية انشغالات واهتمامات وحاجات الفئات الشعبية، ما جعل من الطرق الصوفية والزوايا تلعب دور مؤسسات تستجيب لتطلعات وحاجات المجتمع وتسعى من أجل تحقيق تماسك أفراد المجتمع وتمسكه بالإسلام والعربية.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998، ص 263

2- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 63، ماي 1981، ص 16

3- العلوي هادي، مدارات صوفية، مرجع سابق، ص 186.

## ثانيا: الزوايا مؤسسات دينية وأدوار اجتماعية

## 2-1 مفهوم الزوايا

**لغة:** يُشير التعريف اللغوي للزاوية على أنها "مشتقة من الفعل انزوى بمعنى تتحّى وابتعد وانعزل وهي

سمة تعكس انعزال وابتعاد المتصوفين عن الناس والاعتكاف للعبادة والزهد"<sup>1</sup>.

**اصطلاحا:** في شقها الاصطلاحي تعني الزاوية أنها "مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي

بُنيت لأداء وظيفية دينية"<sup>2</sup>. فكانت في البداية جزء أو ركن من المسجد يخصص للعبادة ثم مع مرور

الوقت اتخذت شكلا جديدا في هيئة دور تقام للدراسات العلمية والدينية اتخذها الصوفيون مكانا لإقامة

حلقات الذكر.

وفي تعريفه للزوايا يقول أبو القاسم سعد الله إنها "عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية

وخليا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم وفيها يلتقون مختلف العلوم والمعارف

ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية"<sup>3</sup>.

وبشكل عام فالزوايا بناء ديني أو مؤسسة يقوم بتأسيسها شخص ذو سلطة روحية ودينية يتصف بالتقوى

والصلاح والعبادة يتولى مهمة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه من أتباع ومريدين، تقوم بأدوار اجتماعية

وتربوية ودينية، ما جعلها تحتل مكانة أساسية في الحياة الفكرية والثقافية والدينية والاجتماعية على طول

امتداد المجتمع الجزائري عبر المساهمات والخدمات العديدة التي قدمتها لما كانت تُمثله من ثقل رمزي

وسلطة معنوية جعلت منها مؤسسة للتنشئة والتأطير الاجتماعي تتفاعل مع قضايا المجتمع في مجالاته

المختلفة.

1-ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، دار إحياء التراث العربي للنشر و التوزيع، ط3، بيروت، لبنان، 1999ص119

2-مريوش احمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ط1، 2007  
الجزائر، ص194

3-سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر،الجزء2 ، دار الغرب الإسلامي،ط1 ، بيروت لبنان، 1998، ص 18

قدّمت فيه الزوايا أدواراً تضامنية حولت التصوف عبر تاريخ الجزائر إلى كيان له سلطة معنوية وقوة روحية بفعل تفاعل واندماج الصلحاء والأولياء وشيوخ الزوايا مع قضايا المجتمع، وجعل منها "ظاهرة تاريخية دينية ذات بعد اجتماعي تميّزت بقوة ارتباط وتلاحم مع المجتمع ساهمت في الحفاظ على توازنه وانضباطه وتماسكه عبر سلطتها الروحية وقيمتها الرمزية المجسدة ضمن فكرة البركة"<sup>1</sup>.

يقول توفيق المدني في موضوع الطرق الصوفية ودورها التاريخي العظيم "لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا أثار تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، فإنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا والربطات يرجعون فيها الظالمين إلى سواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال، ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثراً للعربية ولا لعلوم الدين. فكوّنت طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن، وكانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب وكانت فوق ذلك ملجأً للعاجز ولأبن السبيل"<sup>2</sup>. يقول أحد المبحوثين " أن الباحث في تاريخ الزوايا عامة والعلوية خاصة يكتشف أنها كان لها دورا بارزا في مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية عبر مشاركتها الإيجابية مع باقي مؤسسات المجتمع المدني في بناء مجتمع متضامن ومتعاون. فكانت تهتم بتقديم خدمات التعليم ومساعدة المواطنين على اكتساب حرفة أو صنعة" **المقابلة رقم 1**

ويقول آخر "إن الزاوية العلوية من الوقت اللي ظهرت فيه وهي تسعى باه تعاون كل أفراد المجتمع خاصة في فترة الاستعمار كان الجهل والفقر، فكانت تعلم وتربي" **المقابلة رقم 3**.

1 شهبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية والقراية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 13 .

2-توفيق المدني أحمد، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1932، ص 375

إن حجم الخدمات والوظائف التي سعى المتصوفة أفرادا ومؤسسات إلى تقديمها لأفراد المجتمع وفي المجالات المختلفة لا يمكن حصرها، إلا أنه يُمكن إبراز بعض النماذج منها والتي أسست لشكل من أشكال الإبداع الاجتماعي التضامني والتي حاولت من خلالها مؤسسات الزوايا أن تُجسد الروح التضامنية والقيم الأخلاقية للشيخ وأتباعه نحو المجتمع، عبر السعي إلى تحقيق وإشباع الكثير من الحاجات لأفراد المجتمع وبطريقة مبدعة جعلت من " الزوايا في المجتمع تصبح كأماكن مخصصة للتعليم الديني والتربية الروحية والعلاج من الأمراض ودمج المنبوذين في المجتمع واستقبال المسافرين العابرين، فقد نشرت على مدار قرون عديدة إسلام السلام والانفتاح على الآخر، كما نشرت ثقافة الترحاب والضيافة والوساطة الاجتماعية" 1، أسست عبرها لنوع من التنظيم الاجتماعي الجديد القائم على صناعة ظروف اجتماعية ملائمة، ومن أبرز الوظائف التي اهتم المتصوفة بها نذكر

## 2-1-1 الوظيفة التعليمية

لقد جعل الصوفية من تعاليم الإسلام وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته نموذجا لحياتهم فاتخذوا سبيل العلم والتربية طريقا لتحقيق الهدايا ومسلكا لبناء مجتمع يقوم على الفضيلة والأخلاق والصدق في السلوك وامتثالاً لتعاليم القرآن الكريم، لكون الزاوية في أصل تكوينها أسست لوظيفة التعليم والوعظ والإرشاد وتصحيح العقيدة والدفاع عن الملة الإسلامية، فاستقطبت المتعلمين من كل الآفاق موفرة لهم شروط التعليم والإقامة المجانية "فقد كانت للزوايا أراض خاصة يحرثها الأهالي وتذهب محاصيلها إلى طلبة الزوايا. فالتعليم هناك مجاني يعيش الطلبة والمدرسون من تبرعات القبائل المجاورة وأحيانا يعيشون من مداخل خاصة بالزاوية و الأحباس كانوا يتناولون فيها طعامهم أيضا"2.

1-إيريك جوفروا يونس، المستقبل الروحاني للإسلام، ترجمة هاشم صالح نبض للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة، مصر، 2016، ص226

2-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، الجزء3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998، ص175

فكانت بذلك مؤسسات تعليمية تربوية ساهمت في تخريج طلبة العلم والقضاء والفقهاء. حيث كان تنظيم التعليم يتم على مستويات ينطلق من تعليم الأطفال القراءة والكتابة ثم ينتقل إلى مستوى تدريس أصول الفقه والحديث والتفسير والأصول والتركيز على تعزيز مكارم الأخلاق وتهذيب الفرد روحيا وعقليا تجسيدا للمفاهيم الحديثة للتربية حيث تسعى لتنمية وتطوير وتأهيل شخصية الفرد تأهيلا متكاملًا ، وتأكيدا لهذا الدور نبرز شهادة بعض الباحثين في تاريخ الزوايا ودورها الريادي في تقديم الخدمات التعليمية. يقول احمد توفيق المدني " لقد كانت المدارس القرآنية تحوي أماكن للطلبة يستقرون فيها مدة مزاولتهم للعلم لا يفكرون في أمر مسكن ولا ملبس ولا مأكّل ،بل يجدون هناك كل ما تحتاج إليه حياتهم مما يوجد به الأمراء والفضلاء والأعيان ليستقروا بهذه الزوايا حتى تتم معلوماتهم"1. وهو نفس ما أكده عبد القادر حلوش بقوله "لقد استطاعت الزوايا أن تُحافظ على اللغة العربية والثقافة الإسلامية العربية على مستوى محترم إضافة إلى نشر ثقافة العروبة والإسلام فتمكنت بذلك من تحصين الأجيال"2 . ويقول نور الدين عبد القادر "وجاء دور المرابطين والزوايا فأداروا شؤون المداشر بالاتفاق والتفاهم ومراعاة المصالح مع جماعاتهم واعتنوا بنشر العلم وجلب الطلبة إلى معاهدهم فكان في ذلك خير للبلاد وانتفع به المواطنين مدة طويلة من الزمان ولكل عصر ما يلائمه ويناسبه فدل هذا العمل على حسن نواياهم نحو مُعاشريهم "3. كما كتب الأستاذ رابح تركي عن دور الزوايا فقال "إلى هذه الزوايا وأمثالها قبل أن ينحرف بعضها في العهود الأخيرة يعود الفضل في تكوين مجموعة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم الذين كانوا واسطة في نقل الإسلام إلى أقصى الجنوب الجزائري في أعماق الصحراء والى غرب إفريقيا والذين كانوا السبب في حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الإسلامية في الجزائر"4 .

1-المدني توفيق أحمد، كتاب الجزائر، مرجع سابق ، ص88

2-حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة لطبع والنشر، الجزائر، 2010، ص77

3- عبد القادر نور الدين ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة،الجزائر،2006،ص210

4- تركي رابح ،أثار ابن باديس، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،الجزائر،2002،ص195

وفي ذلك يقول صلاح مؤيد العقبي " قد كان للزوايا فضل كبير في تربية الأجيال تربية إسلامية عربية كان من بينها ذلك الجيل الذي المؤمن بدينه ووطنه والذي ساهم في تفجير ثورة التحرير"1، وكلها شهادات تبرز وتؤكد على الدور التعليمي والتربوي الذي جسده مؤسسه الزوايا في تقديم خدمات التعليم في أوساط المجتمع الجزائري وبشكل مجاني من خلال البحث الذاتي عن مصادر تمويل لهذه الخدمات التعليمية.

## 2-1-2 الوظيفة الاجتماعية

لقد مثل السعي نحو التضامن الاجتماعي الأساس الذي تركز عليه الفلسفة الصوفية ما جعل من الزوايا وشيوخها روادا اجتماعيين مستغلين رأس المال الرمزي والروحي والصورة الذهنية الايجابية التي يحملها لهم أفراد المجتمع حيث اختصت الزوايا بتوفير خدمات اجتماعية متعددة لمن يقصدونها فيجدون فيها المأوى والمأكل والملبس والعلاج والدفء والمأمن لكل من استجار بحرمتها، فكانت ملجأ للغرباء وعابري السبيل والأرامل واليتامى والمحتاجين والمضطهدين والمرضى والمعتوهين والمنبوذين والمهمشين. كما كانت مركزا لتقريب أواصر المحبة والأخوة وإصلاح ذات البين بين القبائل و الأعراش " أما على المستوى الاجتماعي فقد تزايدت أهمية الزوايا لدى الناس فأصبحت قبلة للناس لطرح قضاياهم وملاذا يلجؤون إليه وقت النوائب"2، وهي قيم استمدتها من القرآن الكريم والسنة النبوية في قوله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى" سورة المائدة الآية 2، وقوله تعالى "فمن تطوع خيرا فهو خير له" سورة البقرة الآية 184، وفي قول النبي صلى الله عليه و آله وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وقوله صلى الله عليه وسلم "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مَعْسَرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" وقوله صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمنين في توادهم

1- مؤيد العقبي صالح، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص21

2-بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين، مرجع سابق، ص211

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". ما جعل من السعي نحو الخدمات الاجتماعية التي اجتهدت الزوايا في تحقيقها تساهم في تعميق العلاقة بين الزوايا وأفراد المجتمع "وأن المتتبع لتاريخ الصوفية يجد أنها عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين فئات وشرائح المجتمع ، فقرّبت بين الفقراء والأغنياء، وصهرتهم في بوتقة واحدة وألّفت بينهم في إطار قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم"1.

## 2-1-3 الوظيفة القضائية

لقد مكّنت السمات الخلقية والعلمية لشيخو الزوايا ووضعهم الاعتباري والرمزي من جعلهم وسيطا مقبولا وحكما ترتضي لوساطته كل الأطراف، بل كان عامل وفاق وفصل في كل ما كان ينشأ من نزاعات أو خلافات عائلية قبلية وحتى سياسية. فأصبح التحكيم والمقاضاة وظيفة أساسية اضطلعت بها الزوايا بالنظر للسلطة والقوة الرمزية التي كانت تتميز بها ، فقد مكّنت شخصية الشيخ وقوته الكاريزمية من جعله وسيطا مقبولا وحكما ترتضي لوساطته كل الأطراف، بدءا بالنزاعات الفردية العائلية إلى صراعات القبائل إلى الوساطة بين السلطة المركزية والقبائل ، وتقوم وظيفة التحكيم على القوة الاعتبارية الرمزية المقدسة التي ميّزت نشاط الولي وشيخ الزاوية وبفضل ما تميز به من مصداقية وحياد وحكمة وبصيرة وسمعة طيبة وقناعة المتنازعين في الاعتراف له بهذه السلطة. حيث شمل التقاضي أمور العلم والفقهاء والقضايا الشرعية وتقسيم الموارث وإصدار الفتاوى وعقد الزواج وعقود الشراء والبيع وتحديد فترات الحرث والسقي والحصاد وقطف الثمار، وضمان الأمن والاستقرار على طول الطريق التجارية وداخل الأسواق. إضافة إلى تحديد مواقيت حلول رمضان والأعياد. ما جعلها تتحول إلى ما يشبه محكمة ومؤسسة قضائية للفصل والصلح وترتيب الموائيق وضبط الاتفاقيات تقدم خدمات قضائية بإجراءات بسيطة وتكلفة منعدمة

1-بوعزيز يحي ،موضوعات وقضايا من تاريخ العرب، دار الهدى للنشر والطباعة والإشهار ، الجزائر ،2004،ص223

حيث نجد "أن الناس يفضلون أن يحملوا مظالمهم للأولياء على أن يعرضوها أمام القضاء أو الرؤساء التقليديين وهو ما يوضح كيف أن مجال القوى الغيبية أوسع بكثير من المجال الذي يعمل منه الرؤساء والمحاكم وهو راجع إلى حد كبير لإيمان الناس واعتقادهم في فاعلية الأولياء وقدرتهم وكرامتهم، مما يجعلهم أكثر ارتباطاً بهم في حياتهم وكذلك في مماتهم"<sup>1</sup>.

## 2-1-4 الوظيفة العلاجية

إن القوة الاعتبارية والروحية وطابع التقديس الذي يحمله الأفراد لشيخ الزوايا جعل منهم ملجأ لكل عليل ومهموم ولكل من استعصت عليه مطبات الحياة لحل المشاكل وتحقيق الأمانى وقضاء الحوائج وقضاء لتحقيق الراحة النفسية. حيث يذكر التاريخ الكثير من مشايخ الزوايا الذين اشتهروا بتقديم خدمات علاجية مجانية للعديد من الأمراض خاصة منها المرتبطة بالبعد النفسي كالسحر والعين والمس والوسواس عن طريق قراءة القرآن وتقديم التمام وممارسة بعض الطقوس، وقد تعاضم دور الزوايا خاصة في ظل انعدام مؤسسات تتكفل بتقديم الخدمات العلاجية، فكانت الزوايا خير مكان يلجأ إليه العامة طلباً لهذه الخدمات. وأكد في هذا الإطار السيد عويس في دراسة له بعنوان "ظاهرة إرسال الرسائل للإمام الشافعي" 1978 أن المصريين دائماً يبحثون عن ولي مبروك يلجؤون إليه عندما يشتد عليهم المرض أو يتعرضون لظلم ما أو يضيق بهم الحال، طالبين إليه التدخل لإنصافهم ورفع المظالم عنهم. وأن أغلب الشكاوى تحكي عن ظلم يصعب إثباته ورفعته عبر القوانين الوضعية "ولذلك يكون الأولياء الصالحون المخرج النفسي للمظلومين، لاعتقادهم الراسخ في وجدانهم بسلطة الأولياء وقدرتهم على رفع المظالم عنهم لما يتوسمونه خيراً في الأولياء الصالحين أكثر مما يتوسمونه في القوانين الوضعية"<sup>2</sup>. فأضحت مقامات الأولياء الملجأ الوحيد لما تمثله من قوة روحية تُدخل السكينة إلى قلوبهم، في ظل حياتهم القاسية "ليقرر أن سلطة

1- عبد المنعم جاد الله منال، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 156.

2- سيد عويس، ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي، دراسة سوسيولوجية، دار الشايح للنشر، ط2، القاهرة، مصر، 1978، ص 5

الأولياء في الكثير من الأحيان كانت أقوى من سلطة القوانين. لما يحمله الشيخ من بركة وقوة معنوية غيبية أو سر إلهي ووساطة إلهية كونها ثمرة من ثمرات العمل الصالح للشيخ<sup>1</sup>. ذلك أن زيارة الأولياء ترتبط بمشاكل الناس وحاجاتهم التي يسعى إلى إشباعها وتحقيقها، فيجد في هؤلاء فضاءً للإفصاح عن الآلام والصعوبات التي لا يمكن التعبير عنها بصوت عال. إن لجوء الأفراد لطلب الخدمات والتنفيس عن الضغوط للزوايا والصالحين تعد استجابة عفوية لحالات الإحساس بالقهر والظلم والغبن وعن عجز المجتمع بمؤسساته عن تقديم الدعم والمعونة. يقول أحد المبحوثين " كيفاه يتهموا الطرق الصوفية بالشعوذة والجدل والتخلف وهي التي حافظت على وحدة وكيان الوطن وعلى هويته الدينية والعربية بفضل الخدمات الجليلة التي سعت إلى تحقيقها لأغلب أفراد الشعب وكيفاه عملت إلى توفير الخدمات التعليمية والدينية والقضائية والصلح وهذا كله من أموالها وأموال أراضي الحبوس " المقابلة رقم 5

ويضيف آخر " إذا كانت الصوفية لم تقدم أي شيء للبلد وفي كل المجالات التعليمية الدينية الاقتصادية هل يوجد أحد يمكنه أن ينكر أن الأمير عبد القادر وهو الرجل الصوفي ابن الزاوية ومساهمته في تشكيل الدولة الجزائرية الحديثة بكل مجالاتها السياسية والثقافية والتعليمية الاقتصادية " المقابلة 6

وانطلاقاً من هذه الخدمات والأدوار وغيرها أضحت الزوايا في المجتمع تمثل حلقة محورية في تاريخ المجتمع وفي تفاصيل الحياة اليومية للمواطن وعنصر أساسي من عناصر ومكونات البنية الثقافية والرمزية والفكرية والعقائدية للأفراد، ما جعل منها مكوناً في تشكيل معالم شخصية المواطن، حيث ساهمت في صقل معارفه وتوجيه قيمه وسلوكه. وأصبحت بذلك الزوايا مؤسسات موازية للدولة بالنظر لحجم الخدمات التي كانت تلتزم بتقديمها لأفراد المجتمع، هذه الوظائف وغيرها التي سعت من خلالها المؤسسات الدينية عامة والزوايا خاصة منذ نشأتها إلى تقديم خدمات ذات طابع تضامني إنساني غير

1- سيد عويس، ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي، مرجع سابق، ص6

هادف لتحقيق منافع ذاتية للشيخ، أسست لمقومات وغايات المقابلة الاجتماعية في أبسط تجلياتها، كونها نشاطات ومبادرات اجتماعية تحقق منفعة عامة سعيا لرفع الغبن، كما تركز قيم التضامن والتعاون والتآزر عبر تفكيرها في آليات تقدم إضافة وتحقق غايات اجتماعية.

إن ما يمكن استخلاصه انطلاقا مما تقدم هو تعدد مجالات اهتمام وتدخل المتصوفة في مختلف مجالات الحياة ودورهم في التاريخ الاجتماعي والتضامني الجزائري خاصة والعربي عامة، من خلال سعيهم الدائم على تحقيق التوازن والتكافل الاجتماعي وتوثيق العلاقات الإنسانية وغرس المودة والرحمة وإشاعة الخير والإيثار بين أفراد المجتمع، وهو ما يُفسر عمق التشابك بين المتصوفة و أفراد المجتمع وقضاياها ، و جعل منها المؤسسة الفاعلة الأولى في المجال الاجتماعي و جعل من التصوف مذهب أخلاقي اجتماعي نفسي وتربوي. إذ يمكن في هذا الإطار الإحاطة ببعض النماذج لزوايا أسست وأزخت لروح ومبادئ المقابلة الاجتماعية في أبسط تجلياتها، ولعل أبرزها نذكر زوايا الهامل بالجنوب الغربي، والزوايا التيجانية بتماسين بالجنوب، الزاوية العلوية بمنطقة مستغانم والتي سجلت عبر تاريخها الكثير من المبادرات ذات الطابع الاجتماعي التضامني والتي جعلت من شيوخها رواد اجتماعيين بكل المقاييس.

### ثالثا: الزاوية العلوية مؤسسة تقليدية في نمط عصري

يعود تاريخ بناء الزاوية العلوية الأم بتجديت إلى عام 1914 ثم توقفت لفترة نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى ثم استأنفت الأشغال عام 1920 - 1922 حيث كان العمال من المتطوعين عبر كل أنحاء الوطن ومن تونس والمغرب. و الملاحظ من تاريخ نشأة وتطور الزاوية أنها قامت على فلسفة تضامنية انطلاقا من بنائها وتشبيدها مروراً بأهم الإنجازات والمبادرات التي سعت إليها عبر تاريخها. فقد كانت منذ تأسيسها مركزا للوحدة وملجأ للفقراء والمساكين وعابري السبيل، ومؤسسة للتكوين العلمي والمهني وكذا الفقهي والديني. كما كانت تعد مركزا للقضاء للفصل بين المتخاصمين، حيث كان لشخصية الشيخ الأول أحمد مصطفى بن عليوة الكاريزمية القوية دورا محوريا في المقام الذي بلغته الزاوية داخل وخارج الوطن.

تنسب الزاوية العلوية إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المشهور باسم العلوي المولود بتاريخ 13 أكتوبر عام 1874، أبوه مصطفى بن عليوة وأمه فاطمة سبيع. تعلم ما تيسر له من القرآن الكريم ثم ترك القراءة وانشغل بمساعدة والده في العمل في سن مبكرة حيث اشتغل على الكثير من المهن. انتسب للطرق الصوفية منذ شبابه وأصبح من منتسبي الطريقة الدرقاوية للشيخ محمد ابن الحبيب البوزيدي حيث لازمه حتى أصبح مقدم الزاوية إلى أن مات الشيخ البوزيدي عام 1909 فخلفه على الطريقة إلى أن استقل بطريقته التي سميت باسمه، توفي يوم الجمعة 13 جويلية 1934.

كان الشيخ أحمد العلوي فيلسوفا فقيها ومؤلفا للعديد من الكتب منها معراج السالكين و نهاية الواصلين 1901 . ومفتاح الشهود في مظاهر الوجود 1904.المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية 1907.المواد الغيبيّة الناشئة عن الحكم الغوثيّة مخطوط 1910 و طبع 1941 .برهان الخصوصية في الطريق البوزيدية 1912 .القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول 1913.لباب العلم في سورة والنجم 1915 .الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلاميّة 1918 .ديوان الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي 1920 الطبعة الثانية 1931. القول المعروف في الرد على من أنكر التصوّف 1921.

الأجوبة العشرة المشهور بمظهر البيّنات في التمهيد بالمقدمات 1923 . من كتاب الرسالة العلوية 1924 . الرسالة العلوية في البعض من المسائل الشرعية 1924.الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد 1926 . النور الضاوي في حكم و مناجاة الشيخ العلوي 1926 . نور الأمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة 1926 وكتاب القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد نشر 1928 طبع 1931 وغيرها من الكتب .ثم خلفه الشيخ عدة بن تونس المولود بتاريخ 1898 بتجديت في مدينة مستغانم حيث نشأ في الزاوية العلوية الكبرى، رحل إلى جامع الزيتونة فمكث نحو عامين ثم عاد إلى مستغانم فلازم شيخه ملازمة مكنته من المعرفة التامة بأحوال الشيخ العلوي و نشاطه الديني و الروحي حتى وفاته عام 1934 بعد أن أوصى بالخلافة ورعاية شؤون الزاوية الكبرى للشيخ عدة بن تونس، فقام بمهام

الطريقة العلوية وفق المنهج الذي رسمه أستاذه، حيث عمل على نشر الطريق والدعوة إلى الله، وأنشأ عددا من الزوايا في الجزائر و خارجها من أجل التربية والتعليم و التوجيه والإرشاد، أصدر جريدة لسان الدين الثانية من 1937 إلى 1939 و مجلة المرشد الشهرية باللغتين (العربية والفرنسية) من 1946 إلى 1952 للدفاع عن تعاليم الإسلام، كما أنشأ مؤسسة لإعادة تأهيل الشباب المنحرفين (1940) تحتوي على أربع ورشات للتكوين الميكانيكا، النجارة، الطباعة و المخبزة. كما أسس الشيخ جمعية الشبيبة العلوية وجمعية التنوير وجمعية أحباب الإسلام 1948 توفي سنة 1952 و هو في الرابعة و الخمسين من عمره . فخلفه في نفس السنة ولده الشيخ محمد المهدي بن تونس المولود بتاريخ 1928 بمستغانم حيث ركّز على تربية المريدين وتوجيه المجتمع توجيهها أخلاقيا فاضلا كما كان يعين المحتاج ويصلح بين الناس، قام ببناء عدة زوايا ومدارس ومساجد بالجزائر وخارجها ، بعد الاستقلال تابع وظيفته التربوية بين المسلمين وغيرهم فدعا إلى دين التوحيد حيث أسلم على يديه الكثير من الأوروبيين ، توفي يوم 24 أبريل 1975 ، ثم خلفه ابنه خالد بن تونس عام 1975 المولود بمستغانم عام 1949 انتقل إلى فرنسا و منها إلى انكلترا لينخرط في كلية الحقوق بجامعة أكسفورد، شرع بعد تصدده للمشيخة في تجديد هياكل الطريقة العلوية وعمل على انتشارها داخل الجزائر و خارجها، و أضاف إليها عددا من أقسام الدراسة و مكنتات المطالعة و أحيى العمل الجمعي، فأسس عددا من الجمعيات كجمعية أحباب الإسلام ببباريس و بروكسل، و جمعية الشيخ العلوي للتربية والثقافة الصوفية بالجزائر، والكشافة الإسلامية بفرنسا، و جمعية أراضي أوربا ببباريس إضافة إلى ذلك أسس مؤسسة ألف للإعلام الآلي وكان كان الغرض من ذلك إدخال تراث الحضارة الإسلامية في الحاسوب الآلي (علوم القرآن، علوم الحديث، تاريخ الأعلام، و الفقه الإسلامي). وفي الحقل الصحفي أصدر مجلة أحباب الإسلام، ومنتشور لقاء وألف إعلام. كما شارك الشيخ خالد عدلان بن تونس و نظم العديد من الملتقيات و المحاضرات و الندوات عبر العالم بغرض خلق حوار بناء بين مختلف الأديان و الثقافات و إبراز أهمية الدور الروحي و التربوي في

حياة الإنسان المعاصر . وللشيخ خالد بن تونس عددا من الأعمال الفكرية من مقالات ومحاضرات و لقاءات إلى جانب كتابه التصوف قلب الإسلام، و كتاب الإنسان الباطني على ضوء القرآن، كما أسس الشيخ سنة 2003 مؤسسة دارنا بمستغانم و التي تهتم بالتنمية المستدامة حيث نظمت في فيفري 2003 ملتقى متوسطي للتنمية المستدامة، كما أنشأ المجلس الفرنسي للدين الإسلامي لفرنسا سنة 2000 . كما ساهم في إنشاء مؤسسة جنة العارف سنة 2005 بالمركز المتوسطي للتنمية المستدامة بمستغانم التي تهتم بتربية النشء للمحافظة على البيئة وتسعى المؤسسة لتجسيد عدة هياكل كمدرسة علم البحار والمزرعة البيداغوجية. كما كان له دور محوري في اعتماد اليوم العالي للسلام بالأمم المتحدة. إن الدارس لتاريخ الزاوية العلوية يكتشف أن نشاطها لم ينحصر داخل التراب الوطني بل امتد إلى خارجه حيث عرفت انتشارا في بلدان عديدة عربية وأوروبية كالمغرب واليمن وتونس إضافة إلى فلسطين ومصر سوريا والسودان والصومال وصولا إلى فرنسا وانجلترا أمريكا وكندا والمكسيك والأرجنتين والبرازيل، كما امتد إلى اسبانيا بلجيكا ألمانيا كرواتيا الهند و بنغلادش وكذا السنغال والنيجر . وهو ما يؤشر إلى أن الزاوية العلوية جسدت فكرة قابلية الإسلام للعيش مع الحضارات الإنسانية الأخرى بما تحمله من فكر تجديدي يقوم على الحوار وتقبل الآخر .

#### رابعاً: التجديد في خطاب الفكر الصوفي لدى الزاوية العلوية

مثل التصوف منذ نشأته تجربة روحية خاصة وحركة دينية وطريق للمعرفة، وظاهرة اجتماعية عميقة ممتدة في تاريخنا الثقافي وواقعا الاجتماعي. شكّل عبر تاريخه نسفاً معرفياً ووجدانياً يجمع بين المجاهدة النفسية والزهد في الدنيا والانتقاع إلى عبادة الله تعالى وترك الدنيا بما فيها من مفاتن وحظوظ، فكان قوة حيوية وحالة ديناميكية أفرزت قيم أخلاقية ومبادئ فكرية ومؤسسات ذات قوة رمزية ودلالة روحية ومكانة مقدسة كان لها فضل المساهمة في تكوين معالم لإنسان محافظ على أصالته وقيمه الإسلامية، متواصل مع تحولات مجتمعه. كما كان محركاً ومنتشلاً لمسار الحياة في جوانبها الاجتماعية، الاقتصادية الفكرية، الثقافية والدينية. ومؤسسات ذات رؤية تنموية استشرافية جعلت من السلوك الصوفي وقيمه مصدراً في تشكيل الحضارة الإنسانية وإثرائها، من خلال ما يحمله من تفكير عقلائي وممارسات ذات طابع حدائثي وكونه عامل ازدهار وتطور. جعلت منه يؤسس لمرحلة مفصلية في تاريخ الممارسة الدينية الشعبية في المجتمع الجزائري والعمل على نزع تلك الصورة السلبية النمطية التي ارتبطت بالإسلام عامة والتصوف خاصة وكونه ممارسات طقوسية واحتفالية بدعية بالية لا تحمل أية ملامح للروح المدنية والممارسة العقلية والرؤية التنموية. وأن التصوف والمتصوفة هم أسباب تخلف الأمة وفشلها، وكون التصوف مرادفاً للعزلة وممارسة الطقوس والبدع تعيش خارج التاريخ والجغرافيا، ملجئها الانعزال والتقفش والزهد في ارتباط وثيق بممارسات وتصورات الماضي العتيق. وعلى الرغم من هذه النظرة السلبية إلا أن الواقع الميداني يؤكد على وجود العديد من نماذج الطرق الصوفية التي عملت منذ نشأتها على خط التجديد والعقلانية لعل أبرزها الزاوية العلوية بمستغانم لشيخها احمد مصطفى العلوي(1874-1934) والتي أسسها سنة 1914 بعد أن خرج عن الزاوية البوزيدية لشيخه محمد بن الحبيب البوزيدي.

لقد حظيت الزوايا العلوية منذ تأسيسها بمكانة رفيعة عند أفراد المجتمع وأصبحت من المؤسسات المهمة على المستوى المحلي والخارجي. إذ تمكنت ببنائها الاجتماعي وأدوارها المتعددة أن تتغلغل في أوساط

المجتمع عبر مساهمتها في الوفاء بالكثير من الحاجات والخدمات المتعددة والمشاركة في الحياة العامة، فنجد شيوخ الزاوية العلوية منذ البداية يحملون مشروعا نهضويا اجتماعيا متكاملا بعيدا عن مظاهر الانعزال والعبث الطقوسي. حيث ساروا على منهج خدمة الدين والمجتمع في ثنائية متناسقة غير متشددة او متزمتة يشوبها التوسط المعتدل. ما فتئت تهتم و تعالج قضايا التنمية والثقافة والمجتمع والاقتصاد وشؤون العلم والمعرفة والمرأة والبيئة وغيرها من المواضيع التي ترتبط بشؤون الحياة والفكر، والتي كانت إلى وقت قريب تعتبر الزوايا غير معنية بها، لكونها انطلقت من فكرة أن التصوف الايجابي عليه أن يكون نظام حياة بمفهومها الشمولي وبما يتضمنه من نظم عقلية ونفسية وسلوكية وتربوية وعقائدية " لأن الإسلام لا يعني هجر الدنيا وترك العمل ، فهو دين وسط واعتدال لا يدعو للرهبانية والتطرف"<sup>1</sup>. ما جعلها توصف بكونها حملت لواء التجديد على مستوى الخطاب والممارسة معا وضمن رؤية مستقبلية بعيدة المدى، تركز على تجديد أدوار الزوايا لتنميش ومتطلبات العصر المتجدد باستمرار في وسائله وأفكاره. ولتعتبر من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأهم التي ساهمت في إنتاج ونسج وتنظيم الروابط بين أفراد المجتمع وتأطيرهم دينيا واجتماعيا. وتمثل قوة اجتماعية ومنهجا فكريا يحمل في طياته بذورا للفكر العقلاني المنفتح الذي استطاع ابتكار منظومة من المفاهيم والقيم التي جسدت الفكر الحداثي، ومن أهم المؤسسات الحاملة للنهج الصوفي التي وُصفت كونها مؤسسة تقليدية في طابع عصري سعت لأجل أن تحفظ للتصوف احترامه ومكانته المشرقة بعيدا عن المظاهر الاحتفالية والفلكلورية التي انزلت إليها الكثير من الطرق الصوفية الأخرى، انطلاقا من مستويات التجديد التي اعتمدها في وسائلها وخطابها. فكانت من أبرز الطرق الصوفية التي جسدت عبر تاريخها فكرة الزاوية العصرية المنسجمة مع متطلبات الحداثة عبر سعي شيوخها تجديد الخطاب والممارسة الصوفية وإخراجها من الدروشة والروحانيات

1-اسين بلا ثيوس، ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمة بدوي عبد الرحمن، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت، 1979، ص107

لتعكس روحا عقلانية وفكرا حديثا يساير خصوصيات ومتطلبات المجتمعات العصرية، ما جل منها " طريقة عصرية في أساليبها التنظيمية لكنها من حيث المنهج تحافظ على نفس أركان التصوف كما وضعه الأوائل كالذكر والخلوّة والمجاهدات والاهتمام بالأوراد، وبأنها طريقة عصرية عند البعض، لماذا؟ لأن الشيخ استعمل وسائل حديثة لبت أفكاره وتعاليمه وسائل لم تستغلها الطرق الصوفية الأخرى المختبئة خلف حيطان الزوايا والخلوات والعبادات الليلية والسرية. أما الشيخ ابن عليوة فقد اشترى مطبعة للزوايا، وأسّس صحفا كانت تنشر نشاطه. .. وبفضل هذه الوسائل وأمثالها انتشرت الطريقة العلوية انتشارا سريعا وواسعا لم تحظ به الطرق الأخرى. وأن الجميع متفقون على أن الطريقة العلوية جديدة وعصرية وغير عادية بين الطرق"1. حيث استطاع شيخها الأول احمد مصطفى العلوي بفكره المستنير أن ينقل التصوف إلى مرتبة العالمية عبر امتدادها وانتشارها في الكثير من دول العالم. إذ تجلت مكانته العلمية والروحية من خلال حجم الكتابات والدراسات والمؤلفات التي قام بها المستشرقون وغيرهم من أجل دراسة أفكاره وترجمتها إلى لغات العالم الأخرى. إذ برزت فيه الكثير من الشهادات التي أدلى بها العديد من العلماء والمفكرين أبرزها ما ورد عن المستشرق الفرنسي "أوغستين بيرك" (Augustine Berck) والذي وصفه "بأنه نموذج للمرابط العصري المساير للتطور والميال للمصالحة، فقد شكّل سعيه لها أحد ركائز مشروعه الإصلاحية الذي يهدف إلى حفظ دين الأمة، إنه مبشر حديث يجمع بين الثقافة الإسلامية والانضباط الأوربي"2. في حين ترى فيه الباحثة الفرنسية المختصة في التصوف "ايفا ميروفيتش" (Eva Meirovitch) على "أن الشيخ العلوي كان في قائمة مجدد الصوفية في القرن التاسع عشر ومن الأعلام الذين بعثوا في الخطاب الصوفي روحا جديدة"3.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 5، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص 127  
 2- الحسيني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي المستغانمي حياته ومآثره، منشورات العالمين، ط1، الجزائر، 2015، ص 295  
 3- حسني حلمي مهران أمل، الشيخ العلوي باحث النهضة الروحية في الغرب، مجلة البحث العلمي في الآداب، مصر، العدد 16، الجزء 4، 2015، ص 6

في حين وصفه الدكتور "بروب ستيرابين" (Bob Steprabin) "على أنه الشيخ المتواضع الذي أخرج مرديه من عبودية المال والبذخ والمجد والكبر والحقد، وأثبت وجود مواطن قوة مجهولة وإمكانيات تطور وارتقاء في الإسلام الذي اعتقد الكثيرون بموته إلى الأبد"<sup>1</sup>.

ويقول عنه الأستاذ والباحث ناصر الدين موهوب الحسني "أنه رجل عصري بامتياز فقد واكب أحدث التقنيات العلمية والمعرفية في عصره، وعرف كيف يستخدمها ليستفيد منها في أعماله المتعددة، فكان من الأوائل الذين اشتروا السيارة لاستعمالها في تنقلاته وربط بيته بشبكة الكهرباء والهاتف، وحارب الجمود والركود والتكاسل والتواكل ودعا إلى الاجتهاد ومارس التفتح في أوسع مدى. فقد زواج بين مقومات الأصالة المتشعبة والحداثة ممثلة في استغلال الخبرات الفكرية والثقافية التي وصل إليها الإنسان في عصره بما يعود بالنفع على الإنسان"<sup>2</sup>.

في حين أكد المفكر والأستاذ الفرنسي إيريك يونس جوفروا (Eric Geoffroy) على " أنها -الطرق الصوفية- تشكل طاقة حيوية تتعش الانخراط الفكري داخل قيم الحداثة وتعرف كيف تتأقلم معها إلى حد كبير"<sup>3</sup> أما الدبلوماسي الأوروبي "ميشال فالسان" (Michel Valsant) (1907-1974) فقد وصفه بقوله "أن الجاذبية الآسرة التي مارسها الشيخ على الكثير من الأوروبيين والذين ما لبثوا أن انقلبوا إلى أتباع ومريدين كان دليلاً يؤكد على مدى التلاؤم والتناغم بين نمط الولاية الذي يجسد الشيخ العلوي وطبيعة الوسط الذي قدر للشيخ أن يبشر فيه برسالته كمسلم متصوف"<sup>4</sup>.

1- ابن تونس خالد، التصوف قلب الإسلام، مرجع سابق، ص154

2- الحسني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي حياته ومآثره، مرجع سابق، ص297

3- إيريك جوفروا يونس، المستقبل للإسلام الروحاني، مرجع سابق، ص229

4- حسني حلمي مهران أمل، الشيخ العلوي باعث النهضة الروحية في الغرب، مرجع سابق، ص22

في حين يقول عنه الطبيب مارسيل كاري (Marcelle Carrie) أنه "حينما يذكر الشيخ يؤكد على وجود روحانية في شخصيته وأن ثقته تزايدت مع مرور الأيام في أن هذا الرجل الذي أراه أمامي ليس بدجال أو مخادع"<sup>1</sup>.

كل ذلك جعل من منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) تُعلن في شهر نوفمبر 2013 الاحتفال بمئوية تأسيس الطريقة العلوية كمدرسة للتسامح والحوار الديني والتأكيد على أن " الطريقة الصوفية العلوية التي أسسها الشيخ العلوي جعلت من تعزيز الحوار بين الأديان أولويتها، إذ تبيّن هذه الطريقة كيف يمكن تقديم خدمة أفضل للإنسانية، وكيف يمكن محاولة تنسيق وتجميل العالم. إنها تقبل وتُحيز كل ما يمكن أن يحقق الراحة المادية للإنسان ولكن باتصال وثيق مع البعد الباطني، والتوازن الدائم بين ما هو دنيوي وما هو مقدس وهي تراهن على المحبة الأخوية بين البشر، وتدعو في الواقع لعدم رفض العقلانية على حساب القيم الروحية، و إلى عدم الانغلاق ضمن تديّن فاتر"<sup>2</sup>.

كل ذلك كان له تأثيرا مباشرا على دخول الكثير من الغربيين إلى الإسلام من أمثال "غوستاف أنري جوصو" Gustav Anri Gossau (عبد الكريم)، و"فريتشيوف شيون" fritchiof choyons (عيسى نور الدين أحمد)، و"تيتو سبوركاريت" Tito sporkert (إبراهيم)، و"ميشال فالسان" Michel Valsant (محمد عبد الباقي)، و"مارتن لينغز" Martin Linger (أبو بكر سیراج الدين) وغيرهم كثير.

1- مارسيل كاري ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي (مستغانم: المطبعة العلوية 1987) ص9.

2- <http://www.algerie1.com/actualite/lunesco-rend-hommage-aucheikh-al-alawi/>

إن ما ميّز الزاوية العلوية منذ نشأتها عام 1914 أنها لم تكن أماكن للعبادة والذكر بقدر ما كانت تمثل مدرسة ذات طاقة روحية وسلطة رمزية تبلورت عبرها العديد من النشاطات والخدمات التي ساهمت في تشكيل الشخصية الوطنية وتثبيت دعائم الذات الجزائرية. إذ وعلى الرغم من حالة الجمود التي اتسمت بها الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة، إلا أن الزاوية العلوية حاولت اعتماد خط التحديث في وسائلها والتجديد في خطابها الفكري والابتعاد عن إعادة إنتاج وممارسة ما هو قائم من أفكار وسلوكيات. فلم تعد على تلك الصورة التقليدية والفكرة النمطية التي اعتاد الناس على رؤيتها، كما لم يعد شيوخها ومردوها على هيئة ذلك الرجل الصوفي التقليدي الذي يرتدي الخشن من اللباس والزاهد في الحياة. بل كان لها الفضل في أن تجعل من التصوف مؤسسات متكاملة وممارسات فعالة يختلف عن التصوف الفلسفي الطريقي القائم على الأذكار والأوراد والعيش على هامش المجتمع، بل قدّمت نفسها كحركة صوفية ومؤسسة دينية وقوة اجتماعية ومؤسسة مهيكلة تحمل رؤية مستقبلية شاملة للحياة عابرة للحدود الوطنية، ولتصبح نموذجا لمؤسسة دينية صوفية عصرية نظير ما بادرت به من مشروعات عصرية تُشرف عليها وتساهم في تمويلها من الأملاك والاستثمارات الخاصة بالزاوية.

كما أن الزائر للزاوية العلوية اليوم يمكنه إدراك العديد من صور التجديد التي تتجلى عبر العديد من المؤسسات والمرافق التابعة لها. فلم تعد مكانا للانزواء و الممارسات الروحانية و النقاشات الفلسفية و التعبد والعزوف عن الدنيا طلبا للنجاة، بقدر ما أصبحت بنية تنظيمية تحمل كل مقومات المؤسسات المدنية المعاصرة المتفتحة على العالم الخارجي، بما ابتكرته لنفسها من استراتيجيات حديثة تتماشى مع روح العصر و السعي في تحقيق التنمية المستدامة في جوانبها المختلفة عبر استغلالها للأدوات و الوسائل العصرية و كون " الصوفي الحقيقي ليس هو الذي يعزل نفسه وغيره بين جدران زاويته ويعتني بالرسوم والأوراد من دون العناية بالمجتمع الذي لا يمكن إهماله، فالمجتمع هو مجال تفعيل تعاليم التصوف التي يقتضها القرآن الكريم وسنة نبيه (ص). فالعمل الروحاني يتطلب جهودا ضخمة من أجل

أن يتم له النجاح، فلا نستغرب إن استعمل الصوفي وسائل تنظيمية لعمله في مجال الحياة بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كون طريق التصوف هو طريق عملي يتماشى تماما مع الحياة لأجل إيجاد حلول يجب القيام بالعمل ومقاومة الأمور ومواجهة المشاكل، كل ذلك بميزان وهذا لا يعني بطبيعة الحال الارتواء بالجسد والروح في أحضان الحياة المادية إلى حد الغرق. وفي هذا الموضوع يقول الصوفية دائما تعاملوا مع الدنيا بأيديكم ولا تدعوها تدخل أبدا إلى قلوبكم لأن الأيدي تغسل أما القلوب فلا<sup>1</sup>. حيث سعت منذ البداية إلى استغلال وسائل التقدم العلمي الحديثة بأسلوب جديد بدلاً من الأساليب القديمة عبر الانتقال التدريجي من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث يستند على العقل ويُعارض التقليد، كما يتضمن بعدا تطوريا في الذهنيات يتأسس وفق نظرة متجددة تتمظهر عبر مختلف المستويات التنظيمية والفكرية والاجتماعية، وليجعل من العقل أداة للتفكير والعمل والتنظيم، والسعي إلى الإغلاء من شأن العقل والفكر والمعرفة عبر العديد من المواقف التي عكست فكرة تمسك الرجل الصوفي بنظرة متميزة للمستقبل من خلال الاحتكاك بالإنجازات التقنية والعلمية والفكرية العالمية، وأن الإسلام دين ذو رؤية معتدلة ومرنة قابلة للتعايش بشكل مريح مع الآخر و في ذات الوقت محافظ على تميزه وخصوصيته.

1- بن تونس خالد، التصوف قلب الإسلام، مرجع سابق، ص70

#### 4-1 مجالات التجديد عند الزاوية العلوية

لقد تجسدت الفلسفة التجديدية والرؤية الإصلاحية لدى الشيخ احمد مصطفى العلوي ومشايخ الطريقة العلوية من بعده من خلال التصور الفكري لعديد القضايا الفقهية والدينية والفكرية التي تميز بها ، وعبر العديد من المبادرات والنشاطات العلمية والاجتماعية ، وفي طريقة تسيير الزاوية بعيدا عن الصورة النمطية التي يحملها العامة في مخيال الوعي الاجتماعي حول الزوايا وشيوخها .حيث انعكست هذه الصورة على مستوى الخطاب والممارسة وضمن العديد من المجالات لعل ابرزها

#### 4-1-1 في المجال الفكري

برزت ملامح التحديث لدى الزاوية العلوية منذ مراحلها الأولى في طريقة تسيير الحياة الخاصة لشيوخها بدءا من الشيخ أحمد مصطفى العلوي الشيخ الأول للطريقة ومن جاء بعده. أنها كانت حياة تجمع بين أصالة الإنسان المسلم المحافظ على قيمه ودينه، وصفة الرجل المنفتح على العالم الخارجي في علاقاته مع الآخر، فكان مرنا ومتسامحا غير متعصب محاورا وموakبا للتقنيات العصرية ومستخدما لها إذ "كان فهمه للإسلام يتميز بنفس التسامح و اتساع الأفق ولم يكن يُصر إلا على ما هو جوهرى منه، فكل من جالسه أو تحدث معه إلا ويجد فيه من الليونة وحسن الحوار وودية التبادل في الآراء ما لا يتصور في ذهن" 1 . كما تجسدت فلسفة التتوير في سعيه الدائم لتجديد الممارسة الصوفية من خلال إيمانه بفكرة المزج بين الأصالة والمعاصرة فنجده يؤسس لعلاقة فريدة بين أصالة المجتمع الإسلامي وضرورة تفتحه على العالم الخارجي في ثنائية ايجابية، وأن الأصالة لديه لا تعني التعلق بالقديم والتوقف عند الماضي والانعزال والاعتزاز بالآثار والتفوق على الذات ورفض الغير، وأن الأصالة بهذا المعنى تعد عزلة وتجمد وفناء. بل كان يدعو لجعلها معلما ومنطلقا في فهم الحاضر والبحث عن الجذور عبر

1-مارسيل كاري، ذكريات الشيخ احمد بن مصطفى العلوي، مرجع سابق،ص6

المحافظة على جوهر الدعوة باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية والتمسك بمبادئها الأساسية، وأن يكون حاضرها استمراراً لماضيها، فلا تقع القطيعة ولا تحدث الازدواجية في ثقافتها بل تؤسس لوحدة وطنية ثقافية في الرؤية والمنهج والهدف. في حين كان القصد من التجديد لديه يعني مسايرة العصر ومتطلباته دون الانصهار مع المجتمعات الأخرى من خلال الدعوة الدائمة للمحافظة على الأصول الشرعية والتمسك بالسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين واجتنب البدع ، وكذا الدعوة إلى الاجتهاد والتوسط والاعتدال في التمسك بالدين والبعد عن الغلو والتشدد وتجنب التقصير والتساهل ،فجده يسعى دائما من أجل نشر تعاليم إسلام مجدد ومعاصر متحرر من قيود التقليد، واقتراحه لمقاربة اجتهادية للنصوص الشرعية والدعوة إلى الإصلاح والتجديد في الممارسة الدينية بعيدا عن روح الانغلاق والاجتهاد. وأن الزاوية يجب أن تصبح مؤسسة شاملة ذات مهام وأدوار تربية وتنموية تساهم في تطور المجتمع وإخراجه من التخلف والانغلاق، من خلال دعوة المريدين السعي إلى مسايرة العصر وعدم اقتصار جهودهم حول قبور شيوخهم لتلاوة الذكر وإشعال الشموع، بل كان يدعو إلى العمل والسعي في طلب الرزق والسير على وجه الأرض والاجتهاد واجتباء الخيرات. إذ وبمجرد توليه المشيخة أخذ يدعو مريديه إلى التماسي مع العصر وعدم الاقتصار على الاجتماع مثل العجائز حول قبر الشيخ البوزيدي لحرق العطور وتلاوة الأذكار و ترديد السماع دون مبالاة بالفتن الدائرة خارج جدران الزاوية. حيث يقول في هذا السياق "لا أعتقد أن سيدي حمو الشيخ البوزيدي حينما أورتنا من علمه أراد بذلك أن نحل مكانه بل على العكس علينا بإبلاغ ما لدينا وليس كتمه لأنه مفيد لإخواننا البشر"<sup>1</sup>

1- الحسنی ناصر الدین موهوب ،الشيخ مصطفى العلوي حياته ومآثره، مرجع سابق ،ص297

فكان يدعوا الإنسان المسلم لأن يكون ابن بيئته منسجما مع عصره شكلا ومحافظا على مضمون تدينه وإيمانه ونقاء فؤاده، وإلى التدين الحقيقي الذي يجمع بين صدق الشكل والمضمون وكون " الشعائر الدينية ليست غاية في ذاتها ولكنها أداة ووسيلة للتقرب إلى الله تعالى منبها وداعيا إلى الابتعاد عن الممارسات الميكانيكية للعبادات خوفا من أن تصبح هيكلًا بلا روح"1 ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تطوير الفكر عبر تعلم اللغات الأجنبية كونها لغة علم وحضارة واستغلال كل ما جادت به قريحة العلوم. ويتأكد هذا في قوله "لماذا تريدون منا نحن الذين نعاصر الحضارة الأوروبية ألا نهتم بهذه الحضارة الرائعة، من ناحيتي فإنه لا يمر يوم بدون أن أوصي أتباعي بإرسال أطفالهم إلى المدرسة لكي يتعلموا اللغة الفرنسية وعلى قيادة السيارة. ثم إن استيعاب الأعمال الرائعة لعلم الآلات لا يتعارض مع الدين ولا يمنع الإنسان من الوصول إلى أعلى القمم في العلم. لقد قيل لي أن العالم باستور كان رجلا متدينا ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقدم للإنسانية أكبر الخدمات عبر اكتشافاته الرائعة، ليس الدين إلا موجهها فقط. إنه يدعوا الإنسان ليكون أفضل ويدمر في نفس الوقت غرائزه السيئة، لو أراد الله أن يترك الإنسان لحاله لما أرسل إليه الرُّسل ومعهم التلمود والتوراة والإنجيل والقرآن...إنها تُوجه الإنسان إلى الصراط المستقيم، ما نقول به هو إحياء وتوطيد مبادئ إبراهيم وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" 2

ومن ذلك أنه كان يشجع المهاجرين على اكتساب خبرات ومهارات حديثة للمساهمة بها في ترقية وتطوير بلدهم الأصلي، فنجده يعتمد سياسة البعثات العلمية إلى الخارج من أفراد المجتمع الجزائري بهدف تطوير معارفهم ومهاراتهم وتنمية كفاءتهم المهنية من أجل توظيفها على المستوى المحلي.

1-الحسني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي المستغامي، مرجع سابق،ص218

2-الحسني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي المستغامي، نفس المرجع،ص218

وعلى ضرورة استخدام و استغلال كل ما يمكن أن يساعد الإنسان في الحصول على الرفاهية، كما كان يدعو إلى عدم إهمال العقلانية على حساب الروحانية و إلى عدم الانغلاق في تدين ميكانيكي جامد" 1 . كل هذا يجب أن يكون بعلاقة وطيدة مع البعد الباطني وفي توازن دائم بين متطلبات الحياة الدنيوية والقيم المقدسة السامية. إضافة إلى ذلك كان يدعو إلى الوسطية والاعتدال ونبذ الغلو في الدين و "إن أسوأ أعداء الدين أولئك الذين يتحدثون باسمه، بمن فيهم شيوخ الطرق الذين غلبهم طمع الدنيا، ذوي الشهية الشرهة التي تستغل سذاجة الشعب المغلوب على أمره والذين كانوا يذيعون وسط الأغلبية الأمية جرائم الشعوذة والخرافات" 2.

كما تجسدت رؤيته الإصلاحية وفكره المستنير في الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد والاستناد على العقل وتحرير الفكر من قيد التقليد وأن "الشيخ العلاوي بفضل بركته شارك بسعة فكره في انفتاح الغرب على الإسلام، ومهد بذلك بروز إسلام المعرفة والحكمة والمدنية بأوروبا. فأغلبية المعتنقين للإسلام الذين أحصاهم الغرب منذ عشرات السنين اسلموا بناءً على ما هو أساسي وجوهري من العبادة الروحية الكاملة التي يتمتع بها التصوف" 3 . والتشديد على أهمية اعتماد منهج الحوار مع الحضارات والأديان الأخرى، وعلى ضرورة السعي الدائم لتحقيق الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب كضرورة وجودية للمجتمعات الإسلامية، وأن الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المشروع الإصلاحي الإسلامي هو توحيد صفوف الأمة الإسلامية والتوفيق بين المدارس الفقهية. حيث نجده في مقدمة المصلحين الداعين إلى إخماد نار الفتنة بين أبناء الأمة الإسلامية ونبذ التعصب للمذهب. ومن ذلك كله يظهر جليا أن الشيخ بن عليوة بدعوته للتجديد وانتصاره للوسطية ونضاله من أجل توحيد الأمة الإسلامية، جعل من الطريقة العلوية حركة دينية

1-الحسني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي المستغانمي، مرجع سابق،ص295

2-الحسني ناصر الدين موهوب، الشيخ مصطفى العلوي حياته ومآثره، مرجع سابق، ص106

3-إيريك جوفروا يونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق،ص231

منفتحة على العالم، وأحد النماذج الصوفية المجسدة للإسلام المعتدل المرن القابل للتواصل والعيش مع المجتمعات الأخرى. ويعمل بالتالي على وضع حجر الأساس لإحياء الخطاب الديني المنفتح في بداية القرن العشرين.

#### 4-1-2 في المجال التربوي:

لقد أدركت الزاوية العلوية منذ نشأتها أهمية التربية والتعليم بمفهومها العام في تشكيل معالم النهضة الاجتماعية، ما جعلها تركز على تحديث برامج التعليم التي اعتمدها وجمعت فيها بين العلوم الشرعية والعلوم الحديثة. كما برز نهجها الحداثي عبر منهجها التعليمي الموجه إلى كل أفراد المجتمع دون استثناء، كما شمل اعتماد الزيارات الميدانية و الدروس التطبيقية. إضافة إلى التكوين المهني وتعليم المريدين الحرف عبر الورشات التي أنشئت داخل فضاء الزاوية لمساعدة المتعلمين على تعلم حرف تُحصنهم من شر الانحراف و التسول، حيث فتحت ورشات متخصصة للتكوين في مجال النجارة و الفلاحة و الحدادة وتربية النحل. كما عملت الزاوية في مرحلة معينة على التنسيق مع إدارة السجون للتكفل بالمساجين و تعليمهم حرف بهدف إعادة إدماجهم في المجتمع و تأهيلهم لسوق العمل وتسهيل تكيفهم من جديد بغية تعزيز ثقتهم في أنفسهم و في المجتمع. فكانت بذلك ترى أن التعليم وطلب المعرفة شرط لتكوين فرد واعي، عقلاني وعصري ولبناء عقل قادر على بلوغ أعلى المراتب، و أن اكتساب العلوم الحديثة ضرورة لتحقيق التنمية و التواصل مع المجتمعات الأخرى و وسيلة للتحديث الاجتماعي والاقتصادي ضمن إطار أخلاقي و روحي، فكانت المشاريع التعليمية لديها تجمع بين المعرفة العلمية العصرية و القيم الروحية، وعلى قدرة المشروعات التعليمية المتجددة غير التقليدية ومناهجها الحديثة في تعميق نشر المعارف الإسلامية وتنشئة الجيل الجديد تنشئة عصرية متأصلة، كما برزت الرؤية الاستشرافية للطريقة العلوية حول أهمية التعليم مما اعتمده من بناء للأقسام الدراسية داخل فضاء المساجد و كذا الاهتمام بالمراحل التعليمية الأولى عبر فتح أقسام تحضيرية ومراكز لروضة الأطفال

بههدف تأهيلهم ضمن أطر صحيحة لصناعة إنسان المستقبل وتنشئته تنشئة إسلامية روحية سليمة. فكانت تدعوا إلى الاهتمام بالتعليم و العلوم التقنية الحديثة ومسايرة مستجدات العصر وعدم تقوقع المسلمين في فضاء العلوم الشرعية وإهمال العلوم الأخرى، كما كانت تطالب برفض الوصاية الروحية على العقل المسلم ، و ظهر ذلك جليا من خلال تكريس جهودها لتمكين العلم و الحداثة عبر مشروعاتها التعليمية و التكوينية التي دأبت على ابتكارها وتشجيعها، كما اعتمدت الزاوية العلوية على توظيف وسائل عصرية في تحقيق أهدافها التربوية وغرس الوعي في نفوس المجتمع و استنهاض الهمم وإرشاد أبناء الأمة و هدايتهم لقيم الإسلام الصحيحة من خلال اعتماد تأليف الكتب الدينية والدعوية ،فقد ترك الشيخ احمد مصطفى العلوي العديد من الكتب والرسائل في العقيدة و الفقه و التصوف و الفلسفة و التفسير . وكذا اعتماد منابر النشاط الإعلامي الصحفي و إصدار العديد من الصحف المكتوبة والتي حاولت من خلالها غرس الوعي الفكري و المحافظة على القيم الإسلامية من الانحراف، حيث أصدرت صحيفة لسان الدين الأسبوعية عام 1923 ثم أصدرت جريدة البلاغ سنة 1926، كما أصدرت الزاوية عام 1936 جريدة لسان الدين الثانية، ثم مجلة المرشد عام 1946 ،ثم أصدرت مجلة أحباب الإسلام عام 1953.

إن اهتمام الزاوية بعالم الكتابة و النشر والتأليف كوسائل حديثة لنشر الثقافة الصوفية و الدفاع عن الإسلام و ثقافة المجتمع من الانحلال والاندثار في ظل الاستعمار الساعي إلى تدمير معالم الهوية الجزائرية الإسلامية جعلت الشيخ احمد مصطفى العلوي يُفكر في اقتناء مطبعة خاصة به ،فنجده وبمساعدة المريدين يقتني واحدة سنة 1924 ، إضافة إلى ذلك اعتمدت على تشكيل عديد الجمعيات الثقافية و الاجتماعية والتربوية و العلمية والكشفية ، كما اهتمت بتأسيس جمعيات مدنية تهتم بالبيئة الخضراء كأدوات تربوية للنشء وغرس القيم الإسلامية الصحيحة فيه. هذه الجمعيات التي كانت لا تخرج عن خطتها في بث العلم والتعليم و أن تسعى جهدها في سعادة أبناء الوطن وإخراجهم من سجن

الجهالة و الاختلاف إلى فضاء العلم وتسعى كل السعي في تحسين العلائق والروابط الودية بالوسائل التهذيبية الموافقة للشريعة الإسلامية مع مراعاة القوانين الدولية، وأول عمل تبتدئ به الجمعية تأسيس مجلة تحرر بالقلمين العربي والفرنسي ليتأتى لها أن تكون دائما في اتصال بينها وبين مشتركها ويكون الجميع على بصيرة من أعمال الجمعية الواقعة والمتوقعة، إذ لا غاية للجمعية من جميع أعمالها الا بث الراحة في الفكر والشعور مع الجد و الاجتهاد فيما يناسب أبناء الوطن من التعليم والتهذيب والترقية في أنواع الصناعة<sup>1</sup>. فمن الجمعيات التي شكلها شيوخ الزاوية على امتدادها نذكر "الجمعية العلمية" والتي كانت تهدف لنشر العلم و المعرفة، و جمعية "الشبان العلويين" والتي كانت تسعى إلى مواجهة التخريب الفكري والعقائدي، وجمعية "التنوير" ، وجمعية "أحباب السلام" كجمعية إسلامية تعليمية خيرية كانت تهدف إلى نشر وغرس ثقافة الحوار بين الحضارات و الشعوب، كما أسست جمعية "الوعظ و الإرشاد" التي عملت على الدعوة والتعليم والإصلاح الاجتماعي. كما أنشأت الزاوية العلوية جمعية "الشيخ العلوي للثقافة والتراث الصوفي" عام 1990 ذات الطابع الاجتماعي التضامني الثقافي. كما عملت على نشر الثقافة الإسلامية و الصوفية لدى الجالية المسلمة في أوروبا من خلال جمعية "أرض أوروبا" وفرع للكشافة الإسلامية بهدف إرساء مبادئ التراث الصوفي في فرنسا إلى جانب اهتمامها بالمرح والنوادي الرياضية. إضافة إلى الكثير من المساهمات الفكرية والعلمية بالإشراف و المساهمة في تنظيم المعارض والملتقيات الدولية والوطنية والأيام الدراسية والمنتديات العلمية والمحاضرات التي تناقش قضايا فكرية تنموية في المجالات والمحاور العلمية المختلفة المتعلقة بشؤون التنمية والاقتصاد والفكر والبيئة والزراعة والتعليم وشؤون المرأة وغيرها من المجالات. كما عملت على المشاركة في إنشاء فرق بحثية بالتنسيق مع مخابر بحث جامعية ، وصولا إلى الاهتمام بالقضايا الدولية عبر منابر الهيئات العالمية و المساهمة

1-بن تونس عدة، الروضة السنية في المآثر العلوية، المطبعة العلوية، ط1، مستغانم، الجزائر، 1936، ص117

من خلال الشيخ الحالي للطريقة خالد بن تونس ضمن مشروع السلام العالمي ودورها في الاعتراف باليوم العالمي للعيش معا في سلام والذي اعترفت به هيئة الأمم المتحدة والمصادف للسادس عشر من شهر ماي، فاستطاعت بفضل هذه الآليات والنشاطات المحافظة على مقومات الهوية الدينية الإسلامية، وأضحى لها صوتا كونها مؤسسة دينية عصرية مكّنت من التلاؤم وضرورات المرحلة.

كما جسّدت المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة "جنة العارف" صورة واضحة وجليّة تحمل دلالات حضارية جديدة للفكر الصوفي من خلال الأدوار التربوية التي أضحت تنفرد بها ، فأصبحت منبرا حضاريا وفضاء يجمع بين أصالة المكان المشرقة ومعاصرة عالم المعرفة والحداثة بما تحتويه من معالم حضارية ورمزية تاريخية وقيم حداثيّة تقع في وسط مدينة مستغانم ، اسمها يحوي دلالة عصرية عالمية يجمع بين الامتداد الجغرافي للجزائر كدولة متوسطة ، وبين بعدها الهادف إلى تحقيق التنمية المستدامة "المؤسسة المتوسطة للتنمية المستدامة " تابعة للزاوية ومنبرها الأصلي . بداخلها مشتلة وقاعة محاضرات مجهزة بكل الوسائل التعليمية الضرورية لكل أنواع الاجتماعات واللقاءات العلمية وهيكل للاستقبال والإقامة. ومطبخ به مطعم ومركزا للأرشيف مجهز بأحدث التقنيات للمحافظة على التراث الثقافي الجزائري وحمايته، ومكتبة تتوفر على آلاف الكتب والمخطوطات والمجلات يُشرف عليها طاقم من المختصين في إدارة المكتبات والأرشيف ، والتي صارت مرجعا فريدا تستقبل مختصين وباحثين وطلبة من جميع أنحاء الجزائر و من الخارج للاستفادة من المعلومات المتاحة في المكتبة و الأرشيف .كما تصيّرت جنة العارف مزارا للبعثات العلمية و الدبلوماسية العالمية بهدف الاطلاع و اكتشاف معالم الإسلام الحضارية في أرقى صورها .بالإضافة إلى ذلك تبرز مؤسسة "ألف للإعلام الآلي" كنموذج تحديثي حاولت من خلاله الزاوية منذ ثمانينيات القرن الماضي استعمال وتوظيف الوسائل الحديثة و الرقمية في نشر التراث الإسلامي عبر تصميم بنك عالمي للمعطيات الإسلامية و التراث الروحي بواسطة استخدام تكنولوجيات الإعلام الرقمي ، و بوضع برمجية لنظام الإعلام الآلي يحوي اللغات

العربية و الفرنسية. فتمكّنت بإمكاناتها الخاصة ومساهمة المرّيدين أن تبتكر برامج رقمية عصرية جعلت من الزاوية العلوية كمؤسسة صوفية تقليدية تدرك أهمية التحكم في التكنولوجيات الحديثة كقناة أساسية لاكتساب المعرفة من جهة وفي توظيف هذه الوسائل لنشر المعارف الإسلامية والمحافظة عليها والمساهمة في تشكيل فرد مسلم يجمع بين أصالة دينه ومتطلبات العصر الحديث ضمن إطار الانفتاح المنضبط لمجتمع كان ولا زال تقليديا في جميع مناحي الحياة ومنها طرق التعليم والدعوة إلى الدين. وجعلت من مشروع "ألف" ومن بعده مشروع "أحد" مبادرات علمية من حركة دينية تقليدية ذات نهج صوفي جسّدت مشروعها بفضل جهود وإمكانات القائمين عليها وقوة إيمانهم وصدق طموح ورؤية مبتكر الفكرة الأول الشيخ خالد بن تونس لإدخال معالم التكنولوجيات الحديثة لمجتمع كان تقليديا في وسائله وبسيطا في طرق نشر المعارف الدينية والدعوة إليها.

لقد أكّد كل من مشروع ألف وجنة العارف على أن النظم الإسلامية عامة والصوفية خاصة لا يمكن أن تكون مناقضة للتحديث الإيجابي، إضافة إلى هذا كانت الزاوية العلوية السبّاقة خلال السنوات الأخيرة في امتلاكها للعديد من المواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي والعناوين الرقمية على شبكة الانترنت والتي ساهمت في نشر القيم الصوفية والتعريف بها عبر كل بقاع العالم.

#### 4-1-3 المجال الاقتصادي

أما في الجانب الاقتصادي فتبنّت الزاوية العلوية العمل على استصلاح الأراضي وغرس الأشجار وتوفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل وإطعام الطعام، كما تبنت فلسفة المقابلة الاجتماعية أو الاقتصاد التضامني كبديل تنموي حديث يسعى لإيجاد حلول مبتكرة لمشاكل مطروحة وفق رؤية خلاقة قائمة على المبادرات الفردية و الابتكارات الجماعية و تلقين الأفراد الحرف و المهن لاكتساب فن الحياة ومواجهة التحديات عبر اكتساب قيم حب العمل و إتقانه والاعتماد على الذات في تدبير الشؤون الخاصة بعيدا عن روح الاتكال ، كما تبنت المساهمة في العديد من المشاريع الخيرية التضامنية في إطار مقاربة تشاركية

تطوعية للمساهمين وضمن نشاط جمعي مهيكّل "إذ شغلت فكرة تزكية الروح لدى الفرد ليكون اجتماعيا فكر المدرسة العلوية، كما سعت إلى بناء شبكة من النظام الاجتماعي و المعرفي تتسجم وطبيعة و خصوصية المكان و الزمان حيث المرید يستفتح يومه بالطاعة كسلوك تعبدي وبالتحضير المادي والمعنوي لليوم الجديد وما فيه من أعمال ومسؤوليات يشارك فيها غيره من أفراد المجتمع في عملية البناء الحضاري بمختلف أقسامه الاقتصادي و الاجتماعي"<sup>1</sup>.

إذ ما ميّز النشاط الاقتصادي والاجتماعي لدى الزاوية هو المزج بين المسعى الاجتماعي والهدف التعليمي والقالب الاقتصادي في تجربة إبداعية مؤسساتية مهيكلة نموذجية فريدة أحدثت تحولا في منهجها الفكري وفلسفتها الاجتماعية التضامنية من العمل التطوعي والتضامني القائم على استقبال الصدقات وتوزيعها في إطار النشاطات الخيرية إلى اعتماد مقارنة تقوم على استثمار وتوظيف مواردها المختلفة مثل الحبوس والوقف والصدقات في طابع اقتصادي منظم لتحقيق أرباح تستثمر جزءا منها في استثمارية أعمالها الاجتماعية.

1- بن عزوز عبد القادر، الاقتصاد الاجتماعي، أسسه ونتائجه، دراسة عن الزاوية العلوية، مركز البحث في الاقتصاد المطبق، العدد 93،

## 4-1-4 المجال الاجتماعي

لقد تبنت الزاوية العلوية منذ نشأتها فلسفة الإصلاح الاجتماعي كمدخل لتحقيق التجديد داخل الفضاء السوسولوجي المحلي على الرغم من وفائها لنهجها وجذورها الممتدة عبر التاريخ الصوفي، حيث اعترف كل من عرف وعاش الشيخ الأول للطريقة مصطفى العلوي أنه كان مجددا في فكره وخطابه.

كما تجسدت ملامح التحديث عند الزاوية العلوية في تركيز جهودها على المجال الاجتماعي خاصة في ظل الظروف الصعبة التي كان يعيش فيها الفرد الجزائري مسلوب الحرية والقرار كونه كان تحت رحمة المستعمر يعاني التهميش والحرمان والتشرد والأمية والجهل والفقر وانتشار كل أنواع الانحراف داخل المجتمع الفقير. وهنا برز النهج الريادي والإصلاحي للشيخ احمد مصطفى العلوي كمصلح اجتماعي ساعي إلى إرشاد أبناء مجتمعه بالدعوة إلى المحافظة على الدين والاتحاد من أجل الخروج من ويلات الاستعمار. فنجدته دائم الدعوة إلى محاربة التنصير والإدماج في المجتمع الأوروبي والمحافظة على الكيان والهوية الجزائرية، كما كان يسعى لمحاربة الآفات الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية المنتشرة في المجتمع الجزائري على اختلاف أنواعها، وأنها وسيلة استعمارية لتدمير العقول وتشتيت انتباهها نحو السعي لتحقيق الاستقلال. كل ذلك جعل مؤسسة الزاوية العلوية تعمل على التنسيق مع إدارة السجون وفتح ورشات لتكوين الشباب حرف تساعد على الاندماج في المجتمع واكتساب حرفة تقيهم شر الفقر والفراغ. وجعل من الزاوية العلوية مؤسسة دينية وتنظيم اجتماعي عابر للحدود المحلية عبر انتشارها في العديد من الدول العربية والإفريقية والأوروبية. فأصبحت نموذجا لمؤسسة دينية صوفية عصرية نظير ما بادرت به من مشروعات حديثة تشرف عليها وتُساهم في تمويلها من الأملاك الخاصة للزاوية وتبرعات المحسنين وعبر توظيفها لقدراتها الاجتماعية وطاقاتها الروحية وقوتها الرمزية لخدمة مشاريعها الإصلاحية التجديدية في إطار مقارنة العمل التشاركي التضامني، واستثمارها لموارد الثقافة الإسلامية التي تأسست

على فكرة العطاء والإيثار المتجذرة في قيم المجتمع المحلي لتوفر من خلالها حافزا للإلهام والتأطير لأفراد المجتمع في تعزيز المشروعات الخيرية التي سعت إلى الإشراف عليها. وهو ما جعلها تسعى منذ نشأتها إلى التميز عن المؤسسات الصوفية الأخرى والاندماج في العالم الحديث عبر التوفيق بين الأفكار العصرية والقيم الروحية، وبالتأكيد على أن التراث الإسلامي يحمل مشروعا حداثيا وجب استغلاله لتحقيق تنمية شاملة، و"كون أن شعار الصوفي في الحياة هو أن يكون ابن اللحظة او ابن عصره، كما يعتبر نفسه صدق للإيحاء القرآني الذي يقول كل يوم هو في شأن وبالتالي فكونه ابن اللحظة يتطلب منه جاهزية كاملة لاستقبال التجليات المتواصلة"<sup>1</sup>. وأن هذه المبادرات والاجتهادات أكدت على أن النظم الإسلامية عامة والصوفية خاصة لا يمكن أن تكون مناقضة للتحديث والتجديد الايجابي والعقلانية المنتجة، بل إنها تؤسس لفكرة أن التدين الصوفي نموذج للاعتدال والحداثة، وأنه قابل لمسيرة مستجدات العلوم، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اعتماد وسائل عصرية وآليات متجددة لتكوين العقل المسلم وهو ما تطلبت له الزاوية بشكل فعال. وأن الزاوية العلوية كمؤسسة روحية تحمل رسالة إنسانية ورؤية إصلاحية تسعى إلى تقديم قيمة اجتماعية، ثقافية وعلمية مضافة لخلق منتج إسلامي عصري بطريقة مبدعة وخدمة نوعية لتكون في متناول الجميع، فكانت رسالتها دائما تقوم على فكرة أنه للخروج من مأزق التخلف والاستعمار والتبعية للآخر يجب تحقيق تواصل حضاري وعلمي من خلال اعتماد الوسائل التقنية الحديثة والأخذ بالمنجزات الصناعية بما يصب في مصلحة الناس وتنمية حياتهم. كل ذلك جعلها تمثل نموذجا حداثيا لمؤسسة صوفية تحمل مشروعا نهضويا وخطابا تجديديا وفكرا إصلاحيا يجمع بين أصالة الإنسان المسلم ومسيرة مستجدات الواقع في تناغم وتناسق دائم. تعكس في مجملها انتقال الزاوية العلوية كمؤسسة تحمل منهج الفكر الصوفي من الشكل التقليدي والنمطي للطرق

1- إيريك جوفروا يونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق، ص173

الصوفية إلى شكل جديد أكثر انفتاحا على المجتمعات الأخرى. وهي معطيات تُؤسس على أن التصوف الإسلامي الحقيقي بإمكانه أن يكون بديلا لمشروع حضاري يحقق أهداف المجتمع وفكرا قابلا للاندماج والتجديد واستيعاب متطلبات الحداثة. فتصوف الطريقة العلوية بذلك لم يكن تصوفا سلبيا يركن فيه صاحبه ويدعو إلى التواكل والتكاسل والعزلة عن المجتمع والانقطاع عن المشاركة في الحياة العملية، بل كان تصوفا إيجابيا مبدعا يدعو إلى العلم والعمل والسعي والمشاركة في غرس فن صناعة الحياة في عقول مرديها حتى سمي شيخها الأول بالشيخ المجدد لما حمله من فكر تجديدي وعقل تنويري.

## خلاصة الفصل الأول

شكل التصوف منذ نشأته محور اهتمام الدراسات السوسولوجيا والدينية لما تضمنه من قيم خلقية وبنية سلوكية ومنظومة اجتماعية وقوة رمزية أطرتها مؤسسات الزوايا والمساجد التي شكلت حاضنة شعبية لما ساهمت به من خدمات في مجالات الحياة المختلفة بتوجيه من شيوخها وسعيهم الدائم نحو ابتكار أفكار وخدمات جديدة بهدف إشباع حاجات الناس بشكل تضامني تطوعي تجسيدا للمنظومة الفكرية للتربية الصوفية القائمة على فكرة العطاء الاجتماعي ضمن مفاهيم أخلاقية وروحية تقوم على المحبة والثقة كقوة محفزة نحو الاهتمام بشؤون الخلق. حيث تعد الزاوية العلوية بمستغانم نموذجا للطرق الصوفية التي سعت منذ نشأتها للمزج بين التراث الحضاري الإسلامي المُشرق ومتطلبات التحديث الفكري والسلوكي عبر النماذج التنموية المحلية العديدة التي سعت إلى ابتكارها ضمن إطار الاقتصاد الاجتماعي التضامني، والتي جعلت من شيوخها ربابيين حقيقيين، ولعل مشروع ألف للإعلام الآلي من أهم المشاريع التي جسدت مقاربة الفكر النهضوي الحداثي للزاوية العلوية.

# الفصل الثاني

المقاولة الاجتماعية قيم ثقافية وبدائل تنموية

المبحث الأول

1-المقاولة بين التعدد في المفاهيم والتداخل في العوامل

2-خصائص المقاولة

3-دوافع وحوافز الفعل المقاولة

4-أسس مميزات ومبادئ المقاولة الاجتماعية

5-المقاولة الاجتماعية مقارنة انثروبولوجية

6-المقاولة الاجتماعية في الجزائر

7-المقاولة الاجتماعية مقارنة تنموية

8-نماذج عالمية لمقاولة اجتماعية

المبحث الثاني

1-الثقافة والمقاولة الاجتماعية

2-الدين والمقاولة الاجتماعية

3-المقاولة الاجتماعية في الفكر الصوفي

خلاصة الفصل الأول

## تمهيد

يُعد موضوع المقاولة الاجتماعية مصطلحا حديثا في الحقل السوسولوجي يتضمن تعددا مفاهيميا يجمع بين مفهوم المقاولة المتداول في الحقل الاقتصادي، والهدف الاجتماعي الذي يعكس البعد التضامني والإنساني. تعكس نشاطات ومبادرات موجهة نحو اكتشاف الفرص والسعي لاستثمارها بقصد تحقيق قيمة مضافة وتغيير إيجابي ومواجهة المشاكل الاجتماعية بطريقة إبداعية تتسم بالإبداع والكفاءة والابتكار والتميز، توفر حولا غير معهودة و تسعى نحو سد التباين بين الأفراد بتنفيذ مبادرات ومشاريع يشكلها أشخاص او مؤسسات مميزين يتلمسون ويستشعرون الحاجات ويستشرفون المستقبل بطريقة مبدعة ، تدخل نشاطاتها ضمن سياق قيم التكافل والتضامن والتقليد الاجتماعي الساعي لجعل الإنسان في قلب التنمية وفي صلب اهتماماتها بعيدا عن الغايات الربحية والأهداف الاقتصادية . تقوم على خلق وابتكار نماذج لإحداث التغيير من خلال تنفيذ مشروعات جديدة أو تأسيس مؤسسات تحقق أرباح من أجل أهداف تنموية تضامنية. ارتبط نشاطها بالوجود الإنساني والتفاعل الاجتماعي بصيغ ووسائل وآليات متجددة باستمرار. كما ارتبطت بمحددات ودوافع ذات مصادر مختلفة منها المحددات السوسيو ثقافية في إطار مفهوم الرأس المال بجوانبه المتعددة وبمفهومه الشمولي ومن ضمنه الدين كقوة رمزية روحية و إطار موجه ومحفز للمبادرات بأشكالها المختلفة ، ومن هنا سنحاول من خلال هذا الفصل أن نؤسس لمفهوم المقاولة الاجتماعية من خلال تتبع تاريخ تبلور المفهوم وتطوره ، وأهم التحولات التي عرفها من خلال طرح مقارنة أنثروبولوجيا لواقع المقاولة الاجتماعية في المجتمع الإنساني عامة والجزائري خاصة ، وكيف أن المؤسسات التقليدية ممثلة في الزوايا وشيوخها كانت لهم مساهمات في مجال ابتكار الكثير من النماذج الاجتماعية التضامنية ، وكيف أن المقاولة الاجتماعية وبمختلف أشكالها لها مرجعيات وأصول ثقافية . حيث سنركز على المجال الديني ممثلا في التدين الصوفي كعنصر من العناصر الثقافية الفاعلة في المجتمع التقليدي الجزائري والبحث عن مدى تجسيد التدين الصوفي ممثلا في الزاوية العلوية

بمستغانم عبر مؤسسة "ألف" لأبعاد المقاولة الاجتماعية. كما نحاول تقديم بعض النماذج لمؤسسات عالمية والتي سعت إلى تجسيد ملامح وأبعاد المقالة الاجتماعية وتُفسر حدود العلاقة بين الثقافة في مفهومها الشمولي والمقاولة الاجتماعية كأحد البدائل التنموية المطروحة، ثم البحث ضمن الأدبيات الصوفية عن مظهرات لمفاهيم المقاولة الاجتماعية داخل أطر الثقافة الصوفية.

## المبحث الأول: المقاولة بين التعدد في المفاهيم والتداخل في العوامل

## أولاً: في تحديد المفهوم

شهد المجتمع الإنساني الكثير من مظاهر التحول في المجالات المختلفة وُلدت أزمتان اقتصادية وتحديات اجتماعية فرضت البحث عن آليات تنموية جديدة تجمع بين التنمية الاجتماعية و المنفعة الاقتصادية، تقوم باستغلال الموروث الثقافي والتاريخ الاجتماعي في إطار استغلال الرأس المال الثقافي والرمزي المحلي والموارد والإمكانات المتوفرة كحواجز لتشكيل بدائل تنموية تركز على اجتهادات فردية أو جماعية تقوم على ابتكار وتطوير خدمات جديدة يصطلح عليها بالمقاولاتية ، والتي أثبتت تميزها و نجعتها كآلية في المساهمة والرفع من مستويات الإنتاج وتجديد النسيج الاقتصادي والتنموي وتشجيع الابتكار، ظهرت كنتيجة حتمية لتداخل عديد العوامل والتحويلات السوسولوجية، الفكرية، الثقافية والاقتصادية. تعددت مفاهيمها وتنوعت مجالات اهتمامها وميادينها، كما تعددت التخصصات العلمية التي تهتم بفهمها وتحليلها، كما تعددت المقاربات النظرية والاتجاهات الفكرية المفسرة للسلوك المقاولاتي وكيفية اكتسابه، إذ "تجد من يرجعها لصفات وخصائص الما قول، فيما هناك من يجعل منها موقفا قابلا للتعلّم والاكتساب. في حين يتجه فريق آخر إلى اعتبار الاتجاه نحو المقاولة يعد جزءا من الموروث الثقافي الذي يكتسبه الفرد ضمن العادات والتقاليد والتراكمات الثقافية الموروثة من المجتمع"1. ما جعل منها ظاهرة تنظيمية تُؤسس لتجسيد فكرة إبداعية من خلال مشروع واستغلال فرص وإنشاء مؤسسات لتقديم خدمات ومنتجات جديدة تمثل " منظومة ذات بنية اقتصادية واجتماعية وهيكل قانوني تجمع بين الموارد البشرية والمادية والمعنوية بطريقة منظمة لتوفير سلع وخدمات في بنية تنافسية أو غير تنافسية، لتشكل بناءً اجتماعيا ومكونا ثقافيا ومحركا اقتصاديا بطريقة منظمة"2.

1- غيتي نسرين، مرافقة الشباب في إنشاء مؤسسة إنتاجية صغيرة، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009، ص36

2- بن عثمان التويجري عبد العزيز، المقاولات الثقافية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية، الرباط، المغرب، 2012، ص16

تقوم هذه المنظومة على إنشاء مؤسسة واستغلال فرص متاحة يقوم بها أشخاص يتمتعون بخصائص وسمات بهدف تجسيد فكرة ميدانية تحمل مخاطرة تميزها عن النشاطات التضامنية والخيرية الأخرى. ترتكز في شكلها الشمولي على كونها عملية إنشاء لشيء جديد تتطلب تخصيص وقت وجهد. تقوم على ثقافة تستمد مبادئها الفكرية باستثمار الموارد المختلفة ضمن عملية التفاعل والتنشئة الاجتماعية ، ما يجعل منها عملية تنظيمية عقلية وتقنية تتطلب توظيف كفاءات تتبلور تدريجيا تحت تأثير عديد العوامل والدوافع والمحددات ذات المصادر المختلفة منها ما يرتبط بالعوامل الشخصية والاستعدادات الذاتية، ومنها ما يرتبط بعوامل المحيط الثقافي والاجتماعي ، ومنها ما هو مرتبط بالجانب الاقتصادي لتحقيق أرباح و استثمار فرص وموارد، تتجسد عبر القدرة على أخذ المبادرة والعزيمة على تجريب وتجسيد أشياء جديدة وإنجاز الأعمال بطريقة جديدة غير معهودة ، تقوم على تفاعل عناصر أساسية تشمل فكرة المشروع في إطار محيط معين بواسطة فرد مبدع ومخطط، تعددت مفاهيمها حسب السياق النظري والاطار الثقافي للمجتمع .

يعرفها Alain Fayol على أنها حالة خاصة يتم من خلالها خلق ثروات اقتصادية واجتماعية لها خصائص تتصف بعدم اليقين وتواجد المخاطر، يقوم بها أفراد يتصفون بسلوكات تتميز بتقبل التغيير والأخذ بالمبادرة"1.

أما Bernard Mottez فيرى "أنها من الناحية الاجتماعية هي وحدة اجتماعية هادفة تتكون من عناصر بشرية ومادية ومعنوية ، تُمارس نشاطا منظما ومبرمجا قائما على تصميم وتنظيم وإدارة بشرية لتحقيق غرض صناعي أو تجاري أو خدماتي" 2

1-Alain Fayol, entrepreneuriat apprendre a entreprendre ,dunod ,paris,2004,page102

2-Bernard Mottez :la sociologie industrielle,presseuniversitaire de France,1975,p56

في حين المقاول هو الشخص الفاعل الرئيسي الذي يبادر بإنشاء مؤسسة بهدف تقديم سلع وخدمات تستجيب لحاجات الناس حيث يبتكر طرقا وخدمات ويُدع أساليب ويقدم عروضاً وحلولاً لمشكلات مطروحة وتلبية رغبات وإشباع حاجات لم تستطع القطاعات الأخرى تحقيقها، يسعى لتحقيق النجاح وتخفيض التكاليف وتحمل المخاطرة، تكون له القدرة على تنظيم وإدارة مؤسسة باستخدام مهاراته القيادية، الإدارية والتنظيمية والتقنية، يتميز بخصائص شخصية وسمات انفعالية وقدرة معرفية تؤهله لقيادة التنظيم.

عرفه جوزيف شومبيتر (Joseph Schumpeter) 1942 على أنه "الشخص الذي لديه الإرادة لتحويل فكرة جديدة أو اختراع جديد إلى ابتكار ناجح"1.

وهو ما يجعل من المقاول شخصا يمتلك أفقا وتصورا ولديه رؤية وقدرة على ابتكار أفكار جديدة وتجسيدها ضمن مشروع، ما يجعل منه "شخص محب للأفكار الجديدة مفكر ومخطط يحسن التصرف ويقتنص الفرص بطريقة إبداعية غير عاطفية"2.

وكلها وظائف ومهام تتطلب من المقاول أن يتميز بمجموعة سمات وخصائص تؤهله على تحقيق مشاريعه المقاولاتية، منها المميزات الشخصية كالطاقة والحركة والقدرة على احتواء المواقف وحل المشكلات الطارئة وتقبل الفشل وتحمل المخاطرة، بالإضافة إلى التجديد والإبداع والثقة بالنفس والاندفاع وقوة الالتزام والرغبة في النجاح. إضافة إلى الخصائص السلوكية والمهارات التفاعلية الانفعالية والاجتماعية، كما ينبغي منه التميز بمؤهلات إدارية ومهارات تحليلية وإدارية تقنية.

1- الزغيبي علي فلاح ، العوامل المؤثرة على الإبداع كمدخل ريادي في ظل اقتصاد المعرفة، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية ، العدد العاشر، ديسمبر، 2011، ص178

2-Alain Fayol, entrepreneuriat apprendre a entreprendre, dunod, paris, 2004, p213

**ثانياً: خصائص المقاوالاتية**

تعتبر المقاولة ظاهرة متعددة المداخل والسياقات، فهي بنية اقتصادية وظاهرة اجتماعية ومنظومة قانونية

تتفاعل فيما بينها في إطار ثقافي وفكري وتقني تتميز بمجموعة من الخصائص أبرزها: 1

1-المقاولة حقيقة ثقافية: المقاولة بكل مجالاتها واهتماماتها غير منفصلة عن الثقافة كونها لا تستطيع أن

تتبلور وتتطور بدون أن يكون لها ثقافة ذاتية وفي إطار مناخ ثقافي يسمح بتماسك عناصرها لتشكل نسقا

تتفاعل عناصره لتكوين بنية مقاوالاتية، كما لا تستمر دون توفر مرجعية فكرية ثقافية تستند عليها.

2-المقاولة حقيقة إنسانية: تظل المقاولة مؤسسة إنسانية وكائنا شبه بشري يخدم جوانب إنسانية، كونها

كيانا يضم موارد بشرية وطاقات إنسانية، تقوم على نظام من العلاقات والتفاعلات توحى على مستوى

الثقافة السائدة.

3-المقاولة حقيقة اجتماعية: ينظر للمقاولة على أنها كيان وبنية اقتصادية واجتماعية وثقافية تعبر عن

طموحات الأفراد. تنشأ عبرها قيم تربط بين المقاولة والمجتمع الذي يحتضنها وبينها وبين المجتمعات التي

تستفيد من خدماتها وصناعتها.

4-المقاولة حقيقة تنظيمية: تعد المقاولة منظومة إدارية تشريعية وتنظيمية هيكلية تقوم على أسس الإدارة

والمناجمت تتشكل عبر تفاعل البناء الاجتماعي والمكون الثقافي والمحرك الاقتصادي.

1- بن عثمان التويجري عبد العزيز ، المقاوالات الثقافية، مرجع سابق ،ص31-

### ثالثا: دوافع ومحفزات الفعل المقاولاتي

يعد الدافع نحو امتلاك ثقافة مقاولاتية كمقدمة لممارسة المقاولة من المواضيع التي تعددت حولها الآراء والاتجاهات ما جعل منه موضوعا متعدد المداخل الفكرية بوجود اتجاه يعزو الحوافز نحو المقاولاتية إلى تأثير العوامل الثقافية بمكوناتها المختلفة في غرس قيم ومعايير تعزز لدى الفرد قدرات الإبداع والتطوير والابتكار وإنشاء المؤسسات، في حين يرى اتجاه ثان بتأثير العوامل الشخصية والخصائص الذاتية والمميزات الفردية والسمات النفسية التي يتميز بها الفرد في الدفع نحو ممارسة هذه الأدوار. فيما يتجه فريق ثالث إلى التأكيد على أثر التنشئة الاجتماعية وطبيعة التفاعل بين الأفراد في اكتساب هذه الاتجاهات، في حين يرى آخرون بأهمية العوامل المادية في التشجيع نحو ممارسة النشاط المقاولاتي

#### 3-1 الحوافز الثقافية

تُعد العوامل الثقافية بأبعادها المختلفة من عادات وتقاليد ومخزون المعرفة والمهارات والأنماط التربوية والأسرية المحيطة وكل التراكمات المجتمعية عاملا مركزيا في بلورة وتشكيل الوعي المقاولاتي القائم على المبادرة الإبداعية، فتصبح الثقافة بشكلها الكلي من المحددات الرئيسية لنمط النشاط الإنساني بأشكاله لتشكل بهذا دافعا ومحفزا للمبادرات وخلق الفرص. والبحث في المقاربة الثقافية يقتضي الإشارة إلى أبحاث الكثير من العلماء الذين حاولوا تحليل وفهم تلك العلاقة بين المقاولة كممارسة تقوم على تحويل فكرة إلى إبداع والثقافة بمكوناتها المختلفة. فنجد "ماكس فيبر 1905" (Max weber) من الأوائل الذين حاولوا تحليل العلاقة بين العوامل الثقافية في جانبها الديني وبما تحمله من قواعد أخلاقية وبما ترسمه من سلوك ضمن إطار ثقافي عام ودورها في بروز الرأسمالية، وهنا نجد "أن البعد الثقافي بمكوناته المختلفة يعد الوعاء الذي تصب فيه العادات المقاولاتية فنشاط المقاولين في مجتمع ما محفز وموجه بالثقافة السائدة فيه"1.

1-ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي عقل، مركز الإنهاء القومي، لبنان، 1905، ص39

كما ترى "بريجيت بيرجر (Brigitte Berger) 1995" في أن العوامل السوسيو ثقافية المميزة لمجتمع ما تعتبر من المحددات الأساسية في نجاح أو فشل الممارسة المقاولاتية لكون المتغيرات الاجتماعية والثقافية والقيمية والأخلاقية وبما يحمله المجتمع من قيم ثقافية تتفاعل لتشكيل السلوك الإنساني والذي يشكل الفرد من خلاله حالة ذهنية وروح مقاولاتية ، وتضيف بيرجر " أن اكتساب المقاول لصفة المنظم وروح المبادرة والمخاطرة ليست مرهونة بنوعية التعليم فقط وإنما مرهونة بعوامل أخرى تتمثل في الخبرة العملية المكتسبة وفي النظام الاجتماعي العام المشجع أو المقيد للنشاط والمبادرات ، وفي قيم ومعايير اكتساب المكانة الاجتماعية في المجتمع الكامنة في ثقافة المجتمع ذاته المشجعة أو غير المشجعة للإنجاز"1. وهو ما يؤكد على الطابع الثقافي لفكرة المقاولة، وأن تكوين وبلورة تصور مفاهيمي وبناء اتجاهات إيجابية وميولات ذات قبول نحو فكرة المقاولة تتشكل بطريقة تدريجية بالنظر للنمو السوسيو معرفي للفرد وتحت تأثير مختلف الفضاءات والموارد التي تنمو وتتشكل فيها معالم شخصية الفرد عبر تفاعلاته المختلفة في إطار عملية تنشئته الاجتماعية وأثناء تشكل الأنا الذاتي والتي تبلور لديه ما يمكن تشبيهه بمجموعة رساميل متفاعلة لتصبح تشكل موارد وتراكمات تساهم في بروز فكرة المشاريع المهنية والحياتية ومنها المشروع المقاولاتي.

### 3-2 الحوافز النفسية

تُعد العوامل النفسية والذاتية للفرد من أهم الدوافع والحوافز التي تُؤسس لبلورة النشاطات المختلفة للإنسان بحيث تساهم في بناء تدريجي لرغباته واتجاهاته وميولاته ومفهومه نحو ذاته وكذا طموحاته وتصوراتهِ للحياة ومنها الاتجاه نحو المشروع المقاولاتي والذي ينمو ويتطور بالتناسق مع نمو الأبعاد الشخصية والقدرات العقلية الذهنية والمعرفية والوجدانية الانفعالية الأخرى، حيث تصبح العوامل النفسية كموجه للفرد

1-بريجيت بيرجر، ثقافة تنظيم العمل، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، 1995، ص 8

لإشباع الحاجات الأساسية مثل الحاجة إلى تحقيق الذات وإثباتها وتحقيق النجاح والحاجة إلى الإنجاز وتحقيق مكانة وإحداث تغييرات إيجابية والرغبة في الاستقلالية المادية والمعنوية كلها حوافز وخصائص تساهم في الدفع للمخاطرة نحو الإبداع والابتكار.

### 3-3 الحوافز الاجتماعية

يعيش الفرد داخل الفضاء المجتمعي والمكون من الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وقنوات الاتصال والتواصل المختلفة، حيث تساهم هذه القنوات في تشكيل الأنا الذاتي للفرد وعبرها يتشكل ضميره الجمعي، فالأسرة كونها الخلية الأولى في تشكل شخصية الفرد تساهم في تشكيل وبلورة ميولات ورغبات الفرد وقيمه واتجاهاته المهنية والدراسية المختلفة. ما يجعل منها الحاضنة الأولى للمقاول تزوده بالقيم والمؤهلات المعنوية والفنية المرتبطة بكيفية إنشاء المؤسسات وسبل النجاح فيها فتجعل منه يعيش حالة من القرب والألفة والانسجام مع هذه المهن. كما تعد البرامج الدراسية الرسمية عاملا محوريا في صقل وتشكيل معالم الفرد في اتجاهاته ورغباته المهنية إذ "يلعب التكوين دورا في التحضير لإنشاء المؤسسة كونه يسمح للمقاول امتلاك معارف نظرية وتقنية ومنهجية تسهل عليه التسيير وامتلاك مهارات تحقيق الأهداف وضمان استمرار مؤسسته" 1. كما تساهم جماعات التفاعل الخارجي كالأقران وقنوات الاتصال في رسم معالم شخصية الفرد من خلال تثمين لديه بعض الاتجاهات أو تقديم تصور سلبي نحوها يساهم في تشكيل تصورات الأفراد ومواقفهم نحو المهن والمشاريع المختلفة.

### 3-4 الحوافز الاقتصادية

إن للعوامل الاقتصادية دور في تشجيع أو كبح رغبات الفرد في ابتكار مشاريع كتحقيق الربح المادي وتحسين الوضعية المعيشية، واستغلال تحفيزات بنكية أو فرص لإنتاج خدمات وبيع، كما يعد توفر

1- Pendelieu, Guy, le profil du créateur d'entreprise, édition l'harmattan, Paris, 1997, p911

الموارد والوسائل ومصادر التمويل المختلفة وانفتاح الأسواق وتشجيع السياسات الاقتصادية الحكومية حوافز توجه الفرد نحو إنجاز مشاريع المقاولة.

وإذا كانت المقاولة في شكلها العام تقوم على تحويل فكرة إلى إبداع، فإنها بذلك ترتبط بابتكار خدمات وإشباع حاجات وتقديم قيمة مضافة لتحقيق غايات، تعددت مجالاتها كما تعددت الاتجاهات والمقاربات المهمة بتحليلها وتفسيرها. كما توسعت اهتماماتها لتشمل الجوانب البيئية، الصحية، التعليمية الثقافية والاجتماعية وغيرها من المجالات.

#### رابعاً: أسس ومميزات ومبادئ المقاولة الاجتماعية

يعد مفهوم المقاولة الاجتماعية حديث في العلوم الاجتماعية له ممارسات قديمة ارتبطت بالوجود الإنساني، تدور فكرتها الأساسية حول تلمس حاجات المجتمع وإيجاد حلولاً مبتكرة وغير اعتيادية لها. تُمثل نشاطات موجّهة لاكتشاف الفرص والسعي لاستثمارها بقصد تحقيق قيمة مضافة وتغيّر إيجابي ومواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية لتحقيق التنمية بطريقة إبداعية مبتكرة، تتضمن حلول جديدة غير تقليدية بهدف سد الفجوة بين الأفراد، تستند على تنفيذ مبادرات ومشاريع تدخل ضمن سياق قيم التكافل والتضامن الساعي لجعل الإنسان في صلب اهتمام التنمية. ارتبط ظهورها بالتفاعل الإنساني ضمن مفاهيم وأطر ومحددات اختلفت بتطور القيم والثقافات ما جعل منها موقفاً إنسانياً، وظاهرة تاريخية، ووحدة اجتماعية وبنية اقتصادية ومنظومة فكرية وثقافية تهدف إلى تحقيق غايات وإشباع حاجات. تُعد شكلاً من أشكال التراث المحلي مورست بأشكال وأدوات ومفاهيم متعددة عبر كل المجتمعات ومنها المجتمع الجزائري في إطار العمل الاجتماعي التضامني غير الربحي، وبأشكال انسجمت وطبيعة المجتمع التقليدي الجزائري تحت تأطير المؤسسات الدينية خاصة كونها تحمل بعداً أخلاقياً يرتبط بعمل الخير والتضامن، الأمر الذي أعطاه بعداً قيمياً ثقافياً تحكمه متغيرات الثقافة والأعراف والتقاليد والمعتقدات الدينية التي تعكس تراكمات الرأس المال الاجتماعي والثقافي بمفهومه الشمولي. كما عرفت

تحولات جوهرية في مفهومها وأهدافها، تجاوزت به الطرح القائم على فكرة العمل الخيري الإنساني القائم على استقبال الصدقات وتوجيهها نحو أعمال الخير إلى كونه رافدا أساسيا من روافد التنمية العالمية وأحد البدائل المتاحة في ظل الأزمات الاقتصادية المتتالية. تقوم على المزج بين المجال الاقتصادي بهدف تحقيق غايات وأهداف اجتماعية تضامنية.

#### 4-1 المفهوم الأسس والمميزات

يُعد مفهوم المقاولة الاجتماعية نموذجا مبتكرا للاقتصاد البديل يقوم على مقارنة تشاركية وضمن ثقافة الابتكار وتشجيع المشاريع الجماعية في إطار اتجاه تعاوني وتشاركي يقوم على المبادرات الخاصة التي تُساهم في تحقيق ديناميكية فاعلة داخل النسيج الاجتماعي والاقتصادي. تعكس المبادرات الفردية والجماعية الخاصة أو العامة القائمة على تحويل فكرة إلى إبداع بهدف إنساني غير ربحي وغير نفعي، و من خلال تقديم خدمات بمقابل معنوي يتجسد في قيم الإيثار والتضامن والمساهمة في نشر خدمات المعرفة والتعليم وتعميم الخدمات المختلفة و تفعيل مبدأ المساواة في إشباع الحاجات بهدف تحقيق الإدماج الاجتماعي وتقوية الروابط الإنسانية وتفعيل أنظمة إنتاجية جماعية تعاونية كمبادئ بديلة عن المقاربة التنافسية.

يُشير المفهوم اللغوي العام للمقاولة الاجتماعية حسب معجم " لاروس الفرنسي" بأنها "مجموعة الأنشطة التي تتقاطع مع القطاعين العام والخاص، وتتطور وفقا لمنطق الاقتصاد الاجتماعي الذي يشمل الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعاونية والتضامنية"<sup>1</sup>.

1- سعيد بلعباس عبد الرزاق، مفهوم القطاع الثالث والإشكالات المعرفية، اقتصاديات العمل الخيري، معهد الاقتصاد الإسلامي، جدة، السعودية، 2017، ص 8

و هي مفهوم مركب من مصطلحين: المقاولة والتي "تُعد نوع من السلوك الساعي نحو الابتكار عبر استغلال موارد وحالات تحمل مخاطرة، ومسار يعمل على تحويل فكرة إلى إبداع" 1. في حين يشير مصطلح الاجتماعية إلى سمة إنسانية فطرية تقوم على التفاعل والتعايش بين الأفراد والاختلاط فيما بينهم والمشاركة في كل نشاط يهتم بشؤون الناس وقضاياهم، وعبر التزام المستطيع على مساعدة الضعيف. ما يجعل منها كل جهد فردي أو جماعي يسعى لرفع التهميش والغبن وتقليص الفوارق دون التركيز لتحقيق الربح، تقوم على الرغبة الحرة والدافع الذاتي بما يعود بالنفع على المجتمع. لتمثل بالتالي مجالاً معرفياً يهتم بدراسة كيفية ابتكار أفكار وتحويلها إلى إبداع عبر تقديم خدمات وإشباع حاجات وتحقيق غايات للإنسان والمجتمع عن طريق أنواع التضامن الذي ينشأ بين مختلف وحدات المجتمع "تحتضن رؤية جماعية ثقافية للاقتصاد كساحة مركبة من العلاقات الاجتماعية، ينتج فيها الأفراد والمجتمعات والمنظمات سبل معيشتهم عبر وسائل متعددة وبدوافع وطموحات مختلفة وليس فقط تعظيم المكسب المادي الفردي" 2.

تعرفها أمل خيربي على أنها "عبارة عن فكرة خلاقة ومبدعة قابلة للتطبيق لحل مشكلة أصيلة باستخدام الموارد المختلفة (ثقافية روحية وغيرها). وهي اجتماعية لأنها تعبر عن العطاء وإيثار الآخرين عن الذات بدافع أخلاقي نابع من الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية للقائد أو الرائد الاجتماعي" 3

1- فوجيل محمد، محاضرات في المقاولة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017، ص4

2- إيثن ميلر اقتصاديات أخرى، محور إدارة واقتصاد، مجلة الحوار المتمدن، المغرب، العدد 1752، بتاريخ 2-12-2006

3- خيربي أمل، تجارب في الريادة الاجتماعية، منشورات كاي، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، ط2، مصر، 2019، ص26

كما ورد في دراسة لإحسان دهش جلاب بعنوان العلاقة بين التوجه الريادي والريادة المستدامة 2013 بالعراق جملة من التعاريف للمقاولة الاجتماعية أبرزها

تعريف John Williams، wheeling 2005 المقاولة الاجتماعية على أنها عملية تحقيق المنافع الاجتماعية بدلا من الاكتفاء بتعظيم المنافع الشخصية.

في حين يرى Johanna Mair، Ignasi Marti 2006 أن المقاولة الاجتماعية هي عملية تتضمن استعمال ومزج إبداعي للموارد بقصد تعقب الفرص لإحداث تغييرات اجتماعية أو تلبية الاحتياجات الاجتماعية

أما Miguel Angel gal indo 2008 فيرى أن مفهوم المقاولة الاجتماعية يعني عملية تحقيق التكامل بين المنظور الريادي والمنظور الإبداعي لتحقيق الرفاهية الاجتماعية.

أما Rita marge -Miguel Alves martins 2012 فالمقاولة الاجتماعية حسبها تعد مدخلا إبداعيا لحل المشكلات الاجتماعية 1

وهي حسب البنك الدولي "مجموعة كبيرة من المنظمات المستقلة إلى حد كبير عن الحكومات تتسم بصورة رئيسية بأن لها أهداف إنسانية أو تعاونية أكثر من كونها أهداف تجارية، تسعى بصورة عامة إلى تخفيف المعاناة أو تعزيز مصالح الفقراء والفئات المستضعفة الأخرى أو حماية البيئة أو توفير الخدمات الاجتماعية الأساسية أو الاضطلاع بتنمية المجتمعات المحلية" 2 .

1-جلاب دهش إحسان، العلاقة بين التوجه الريادي والريادة المستدامة، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد 16، العدد 2، العراق، 2014، ص30

2-الهيبي نوزاد عبد الرحمن، الدور التنموي للمنظمات غير الحكومية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط1، ابو ظبي، الإمارات العربية، 2011، ص15

ما يجعل منها فكرة مبتكرة تعالج قضايا اجتماعية ضمن مشروع ريادي، تحمل مقاربة تتأسس على تدبير حلول لمشاكل مطروحة من أجل تحقيق أثر إيجابي وتنمية مستدامة، ووفق آلية تقوم على المبادرات الفردية والجماعية الخاصة بهدف إشباع حاجات وابتكار أنظمة إنتاجية تشاركية جماعية وتعاونية بديلة عن الأنظمة التنافسية القائمة على المنفعة العامة عبر استثمارها لقيم التراكم الثقافي والرمزي للمجتمع، وضمن ما تحمله المجتمعات من قوة لرأس مالها الاجتماعي والثقافي. تنتظم في شكل مؤسسات أو مجموعة أشخاص تسعى من أجل المصلحة العامة ورفع التهميش وتقليص الفوارق، تخضع لتدبير مستقل وفق تسيير ديمقراطي تشاركي تُمثل "جهداً أو خدمة يقوم بها شخص معين أو مجموعة من الأفراد بهدف تقديم مساعدات وخدمات للمجتمع دون توقع مقابل لهذه الجهود المبذولة"<sup>1</sup>. تنتظم في شكل وحدات وأبنية منظمة ومستقلة مثل الجمعيات، التعاونيات والنوادي، وتتأسس على علاقات التضامن عوض المصلحة الفردية أو الكسب المادي. كما لا يكون هدفها الحصول على عائد استثماري أو لمصلحة خاصة، تؤمن بأولوية العمل الإنساني على الكسب المادي، وتُدار بشكل ديمقراطي وتقوم على المشاركة الطوعية والرغبة الذاتية.

وهي حسب منظمة الأمم المتحدة كل "جهد إنساني يُبذل من أفراد المجتمع بصورة فردية أو جماعية يقوم بصفة أساسية على الرغبة والدافع الذاتي بهدف اكتساب شعور الانتماء إلى المجتمع وتحمل المسؤوليات التي تساهم في تلبية احتياجات ملحة أو خدمة قضية من القضايا التي يعاني منها المجتمع"<sup>2</sup>

1- أبو النصر مدحت، ممارسة تنظيم المجتمع في إحدى الجمعيات الأهلية، المؤتمر العلمي الثالث، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، نصر، 2000، ص 98  
2- جبريل جحشان حسين يحي، العمل التطوعي الفلسطيني، هيئة العمل التطوعي الفلسطيني، رام الله فلسطين، تقرير حالة التطوع في العالم، الأمم المتحدة، 2011، ص 15

لتمثل بالتالي العملية التي يمكن من خلالها مواجهة التحديات المختلفة بطريقة تتسم بالكفاءة والإبداع وتتضمن حلولاً غير تقليدية ومستدامة. وهي بذلك "مجموع المبادرات ذات الهدف الاجتماعي التي تساهم في إنشاء طريقة عيش وتفكير جديدين عبر عشرات الآلاف من المشاريع في بلدان الشمال والجنوب. والتضامن في الاقتصاد يعتمد مشروعاً اقتصادياً وفي نفس الوقت هو سياسي واجتماعي تنتج عنه وضعية جديدة لممارسة السياسة وإقامة علاقات إنسانية على قاعدة من التوافق والتصرف كمواطن فعلي"1.

و هي في النهاية "مجموعة من المنظمات ذات الطبيعة المؤسسية والمنفصلة عن الحكومة والتي لا توزع أرباح والحاكمة لنفسها وتقوم على التطوع"2. ما يجعلها مبادرات خاصة لا تهدف إلى تحقيق منافع اقتصادية بل لخدمة الصالح العام، لتصبح بذلك تحمل بعداً أخلاقياً والتزاماً إنسانياً وقيمة اجتماعية قيمية. ومفهوم المقاولة الاجتماعية مفهوم متعدد يجمع بين مفاهيم ذات طابع ديني كالتطوع والعمل الخيري التضامني، وأخرى ذات طابع سوسولوجي مثل الريادة والمسؤولية الاجتماعية، وأخرى ذات بعد تشريعي مثل مؤسسات النفع العام والمؤسسات غير الهادفة للربح. و على اختلاف مفاهيمها فإنها تتفق على فكرة تقديم الخدمات وإشباع الحاجات وتحقيق المنافع بهدف إنساني غير ربحي تتضمن استعمال وتوظيف الموارد وتعقب الفرص واستثمارها بطريقة إبداعية ومبتكرة.

1- دليل المؤسسات غير الربحية في نظام الحسابات القومية، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، السلسلة واو العدد 91 ، نيويورك 2011، ص 11

2- منصور كمال ، المنظمات غير الحكومية و دورها في عولمة النشاط الخيري و التطوعي، مجلة العلوم الإنسانية الإلكترونية ، السعودية، العدد 30 ، سبتمبر 2006

تعددت الاصطلاحات الدالة عليها منذ القديم كمنظمات المجتمع المدني والمؤسسات غير الحكومية وغير الهادفة للربح، القطاع الثالث والاقتصاد غير الربحي والاقتصاد الاجتماعي والتضامني، ومنظمات العمل التطوعي، ومنظمات العمل الاجتماعي والاقتصاد الشعبي، إضافة لمفهوم الريادة الاجتماعية، والابتكار الاجتماعي، والتدبير الاجتماعي والعطاء الاجتماعي، وصولاً لمفهوم المقاولة الاجتماعية وغيرها من المفاهيم والتي تستند على مبادرات متجددة تنشأ عن حاجات اجتماعية محلية تقترح حلولاً مبتكرة غير اعتيادية تتميز بالإبداع والابتكار والتجديد والمخاطرة.

هذا التعدد المفاهيمي للمصطلح مرده بالأساس إلى تعدد زوايا الرؤية نحو هذا القطاع. فمن ينظر للقطاع من خلال المنظور الاقتصادي يركز أكثر على مصادر تمويله حيث تتضوي تحت هذا المنظور كل منظمة تستقبل أغلب مواردها من أشخاص مستقلين وليس من الحكومات ولا من القطاع الخاص. في حين يرى أصحاب المنظور القانوني للمنظمة من خلال تنظيمها القانوني المنسجم مع الإطار القانوني السائد. أما من زاوية الأهداف التي ترمي إليها فإنها تنتمي لمنظمات المجتمع المدني التي تعمل على ترقية المصلحة العامة وتشجيع المشاركة من أجل البحث عن الحلول الجذرية لمشاكل الفقر والتخلف والجهل. وهذا كله بهدف "اقتراح حلول وأفكار مبدعة وجديدة للمشاكل الاجتماعية القادرة على إحداث تغييرات على أعلى مستوى" 1

وبالخلاصة يمكن القول إن المقاولة الاجتماعية هي مجمل النشاطات والعمليات التي تسعى إلى اكتشاف فرص واستثمارها لتعزيز الثروة الاجتماعية عبر إيجاد مشاريع جديدة بطريقة مبدعة تحقق التكامل بين المنافع الاقتصادية والقيمة الاجتماعية والغاية الانسانية.

1- شعوف إسماعيل، بحث تطبيقي دراسة أثار زرع فكر المقاولة الاجتماعية بالمؤسسات التعليمية. المركز الجهوي للتربية مراكش المغرب 2001،

سوسيولوجيا تُعرف المقاولة الاجتماعية بكونها تنظيماً اجتماعياً يتكون من أفراد بهدف تحقيق مصالح لا تتعارض مع قوانين وتقاليد وقيم المجتمع بغرض المساهمة في مواجهة احتياجات ومشكلات اجتماعية. وفي الجانب القانوني فقد أشار المُشرع الجزائري من خلال القانون رقم 90-31 المؤرخ بتاريخ 04 سبتمبر 1990 المتعلق بالجمعيات الخيرية إلى النشاطات التضامنية ذات الطابع الخيري على "أنها تعتبر اتفاقية تجمع بين أشخاص طبيعيين أو معنويين على أساس تعاقدية للقيام بنشاطات غير مربحة، ويشترط أن تحدد هدف الجمعية وأن تخضع للقوانين المعمول بها ويشترك الأشخاص القانونيين والمعنويين أو الطبيعيين المؤسسين في تسخير معارفهم ووسائلهم لمدة محدودة من أجل ترقية الأنشطة ذات الطابع المهني أو الاجتماعي والعلمي وكذا الديني والثقافي والرياضي . فالجمعية هي عبارة عن اتفاقية يبرمها أشخاص طبيعيين أو معنويين بحرية تامة ويهدفون من وراء ذلك إلى تحقيق غرض مشترك يشمل مجالات الحياة"<sup>1</sup>

كل ذلك يجعل بالتالي من المقاولة الاجتماعية بنية اجتماعية من خلال إشاعة مبدأ التضامن بين الأفراد وتقوية التماسك وتعزيز العلاقات الإنسانية والتخفيف من آثار أنماط الصراع و الفردانية والمنفعة الخاصة السائدة ، مما يضمن الاستقرار الاجتماعي ويزيد من الترابط والتكامل بين أفراد المجتمع الواحد تحقيقاً لمبدأ الوحدة الإنسانية وتجسيدها لفكرة الجسد الواحد والمنفعة العامة . كما تعد حالة نفسية لما تقدمه من ارتياح نفسي ووجداني والشعور الجماعي الايجابي وزيادة مساحة التعاون والتراحم والتعاطف بين الناس، وبما تحققه من تكامل نفسي وتوافق اجتماعي وإتاحة الفرصة لتحقيق الولاء للمجتمع . كما تعد منظومة اقتصادية من خلال السعي إلى تقديم بدائل تنموية للمجتمع المحلي وتقليص مساحة التباين بين الأفراد بما توفره من خدمات صحية وبيئية وتعليمية ومعالجة الاختلالات الاقتصادية وتوفير لمناصب الشغل

1- القانون رقم 90-31 المؤرخ بتاريخ 04 سبتمبر 1990 المتعلق بتنظيم الجمعيات، الصادر بالجريدة الرسمية العدد 53 سنة 1990

وزيادة الرفاه الاجتماعي وتنمية مهارات الأفراد في إطار تنظيمات تسهل عملية المشاركة التضامنية<sup>1</sup>. وكيان ثقافي عبر غرس قيم التضامن والتآزر الإنساني ضمن استثمار التراكم الثقافي في إطار تفاعل لمجموعة رساميل. وهيكلي تشريعي من خلال التنظيم الهيكلي القائم ضمن أطر المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات وعبر نشاط جمعي خيري غير هادف للربح بواسطة جمعيات وتعاونيات.

و على اختلاف مفاهيمها وتنوعها فإن المقاولة الاجتماعية تتفق على فكرة السعي إلى تقديم خدمات بهدف إنساني غير ربحي وتحقيق المنافع الاجتماعية بدلا من الاكتفاء بتعظيم المنافع الخاصة. تتضمن حلول متجددة، ارتبطت بالوجود الإنساني ومورست بأشكال وأدوات ومفاهيم متعددة عبر كل المجتمعات في إطار العمل الاجتماعي التضامني الخيري غير الربحي وبأشكال انسجمت وطبيعة المجتمعات وظروفها، تحكمها متغيرات الثقافة والأعراف والتقاليد والمعتقدات الدينية. عرفت تحولات جوهرية في مفهومها وأهدافها ووسائلها تجاوزت به الطرح القائم على فكرة العمل الخيري الإنساني المرتكز على الصدقة وأعمال الخير إلى كونها رافدا أساسيا من روافد التنمية عبر استثمار وتوظيف لرأس مال بغية تحقيق أرباح وتخصيص جزء منها للجانب الاجتماعي. كما عرفت تحولا فكريا ومنهجيا من كونها جهدا فرديا إلى عمل مهيكلي ضمن مؤسسات ووفق رؤية تنظيمية محترفة.

فانتقلت بذلك المقاولة الاجتماعية من فكرة تقديم المساعدات العينية المؤطرة تحت مبدأ عمل الخير والصدقات والعمل الصالح لسد حاجات آنية إلى آلية تنموية ممتدة، كما انتقلت من تقديم الخدمات المطلوبة كالمأكل والملبس إلى الخدمات التعليمية، الثقافية، التكنولوجية، البيئية وغيرها. لتصبح ممارستها تقوم على أسس علمية ومقاربات فنية لها قواعد وأسس، كما لها هيئات علمية تختص بتدريسها

1-مجلة الاقتصاد الاجتماعي التضامني أداة لتحقيق العدالة الاجتماعية، العدد4، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، سلسلة السياسة العامة، هيئة الأمم المتحدة، 2014، ص1

والبحث فيها، حتى أصبحت علما له أصوله وقواعده وضوابطه الإدارية والقانونية والمهنية ولتصبح شريكا مهما للقطاعين العام والخاص في عملية التنمية بما يملكه من مراكز بحثية ومؤسسات استثمارية، ولعل ما أعطى لنشاطاتها صبغة عالمية هو إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 20 ديسمبر من كل عام يوم عالمي للتضامن الإنساني إيماننا منها لتعزيز ثقافة روح التأزر نظرا لدوره المحوري في محاربة الفقر والتهميش بكل أشكاله. كما قررت الجامعة العربية اعتبار يوم 15 جويلية من كل عام يوما للعمل الوطني بالدول العربية بغرض الترويج للأعمال الاجتماعية باعتبارها مجالا حيويا لأنشطة اجتماعية، اقتصادية وثقافية بالغة الأهمية، وأحد أهم الآليات القادرة على سد الفجوة بين المجتمع والدولة من جهة وبين الفرد والحياة الاجتماعية العامة من جهة أخرى في جو من التعاون والتنسيق بينه وبين الدولة. تعمل على تقديم حلول مبتكرة من أجل حلّ المشاكل المختلفة تتميز بكونها:

- تفكير غير تقليدي: تعبر عن محاولة إحداث تحول ثوري لمواجهة التحديات الاجتماعية

- تقديم حلول مستدامة: تتطوي على استراتيجية تقديم حلول دائمة لمشكلات متصلة في المجتمع، ولا تكون مجرد حلول وقتية أو ذات أثر هامشي محدود.

- تحقيق الأثر الاجتماعي الإيجابي: من خلال إحداث أثر إيجابي ملحوظ للمجتمعات التي عانت التهميش

والحرمان. وانطلاقا من هذه المميزات تتضمن نشاطات المقاولات الاجتماعية مجموعة

من الخصائص أبرزها:

1- أنها منظمات تطوعية تتطلب توافر قدر من المشاركة التطوعية سواء في إدارة المنظمة أو في

نشاطاتها.

2- أن يتوفر للمنظمة هيكل رسمي منظم له سمة الاستمرارية.

3- أن تكون المنظمة غير حكومية بمعنى غير مرتبطة هيكلية بالحكومات لكنها يمكن أن تحصل على الدعم أو المساندة المالية والفنية منها.

4- أن تكون المنظمة غير سياسية بمعنى أنها لا تباشر نشاطا سياسيا ولا تكون خاضعة او مرتبطة بالأحزاب السياسية<sup>1</sup>. وهو ما يجعل منها:

-بنية منظمة تضم مجموعة من الأفراد لهم أهداف وغايات مشتركة ويوزعون المهام فيما بينهم

-مستقلة وليست جهازا من أجهزة الحكومة.

-تدار بشكل ذاتي يكون للقائمين على المنظمة صلاحية إدارة شؤونها الداخلية واتخاذ ما يروونه مناسبا من قرارات تخدم أهدافها دون أي توجيه من طرف خارجي، ودون أن يعني ذلك عدم التنسيق مع باقي الأطراف الأخرى بحثا عن تآزر الجهود وتكاملها.

- تقوم على المبادرة الفردية والجماعية لمشاريع من شأنها تحسين المحيط الاجتماعي وتوفير تغطية للخدمات المختلفة.

-لا يتحرك هذا النشاط بدافع الربح أو بأوامر فوقية بقدر ما يسعى لإشباع الحاجات التنموية والمنفعة الاجتماعية.

-يتمركز حول مفاهيم مثل تحقيق المساواة ومجاوبة التهميش الاجتماعي واللامساواة والعدالة والعمل التشاركي.

-تمارس أنشطة اقتصادية واجتماعية تستجيب لحاجيات و مصالح مشتركة ومجتمعية دون أن تكون غايتها الأساسية توزيع الأرباح.

1- سعيد بلعباس عبد الرزاق، مفهوم القطاع الثالث والإشكالات المعرفية، اقتصاديات العمل الخيري، مرجع سابق، ص10

-تقوم على مبادئ أولوية الإنسان وقيمة العمل على رأس المال والمصلحة المشتركة على المصلحة

الفردية و مدنية الدولة والمواطنة و الاندماج.

كما تتأسس نشاطات المقاولة الاجتماعية على قواعد وأسس أبرزها 1

-أولوية المواطن والموضوع الاجتماعي على رأس المال

-حرية الانخراط

-التسيير الجماعي الديمقراطي من طرف الأعضاء

-تجانس مصالح الأعضاء مع المصلحة العامة

-الاستقلال عن السلطات العمومية

---

1-مجلة الاقتصاد الاجتماعي التضامني أداة لتحقيق العدالة الاجتماعية، العدد4، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ، سلسلة السياسة العامة، هيئة الأمم المتحدة، 2014، ص1

وحسب منظمة الأمم المتحدة تقوم المقاولة الاجتماعية على مجموعة من المبادئ:

<p>- الحكم الديمقراطي من القيم الأساسية للاقتصاد الاجتماعي والتضامني.</p> <p>- مشاركة المعنيين بهذا النشاط من مستخدمين ومستفيدين في صنع القرار.</p> <p>-المسؤولية المشتركة والمساواة بين الناس في إبداء الرأي والتصويت</p> <p>- تمكين المستفيدين من خلال طرق العمل القائمة على المشاركة.</p>	<p>1-المشاركة</p>
<p>-بديل ابتكاري عن النماذج الاقتصادية التقليدية.</p> <p>-من الاقتصاديات الشاملة التي تعود بالفائدة على المجموعات الأكثر حرمانا وتهميشا وفقراء، ما يصعب تحقيقه في إطار الخطط الاقتصادية العادية وبرامج المساعدة والتنمية التقليدية.</p> <p>-الحاجة إلى المرونة والابتكار لتوجيه الموارد و الفوائد إلى المستفيدين والمساهمين</p>	<p>2-التضامن والابتكار</p>
<p>-المشاركة طوعا في مؤسسات النشاط الاجتماعي و التضامني.</p> <p>- نهج الانطلاق من القاعدة، إنشاء المؤسسات بناء على الاحتياجات الاجتماعية.</p> <p>-اقتصاد مستقل بطبيعته.</p> <p>- إعطاء فرص للمجتمعات لإنشاء المشاريع والحصول على مهارات وموارد وفرص عمل وفوائد يتعذر تحقيقها من خلال اقتصاديات السوق.</p>	<p>3-المشاركة الطوعية والاستقلالية</p>
<p>-تعزيز ثقافة مجتمعية قائمة على التعاون والدعم المتبادل.</p> <p>-المشاركة في المسؤوليات.</p> <p>-الهدف الرئيسي هو النمو و الرفاه للجميع دون الانتقاص من رفاه الأفراد ضمن المجموعة.</p>	<p>4 - المصلحة العامة</p>

1-مجلة الاقتصاد الاجتماعي التضامني أداة لتحقيق العدالة الاجتماعية، العدد4، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، سلسلة السياسات

## خامسا: المقاولة الاجتماعية مقارنة انثروبولوجية

تميزت الحياة الاجتماعية في بدايتها ببساطة العيش تعتمد بشكل أساسي على النشاط الزراعي والرعي لتوفير ضروريات الحياة ضمن إطار أسري ثم قبلي متمركز على الذات في إطار محلي، ومع مرور الوقت عرف المجتمع الانساني الكثير من التحولات التدريجية في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية والبنى التنظيمية ووسائل الحياة والتي انتقلت من العلاقات البسيطة إلى حياة مركبة تتسجم مع ظروف الحياة الجديدة، كما انتقلت من العلاقات المتمركزة داخل الأسرة إلى علاقات قبلية عشائرية أفرزت العديد من المشكلات الاجتماعية والمعيشية، فرضت على الإنسان التفكير في ابتكار حلول لمواجهة المشاكل فكان التضامن من البدائل المبتكرة لمواجهة الصعوبات والتحديات للمحافظة على بقائه. وهنا بدأت تتبلور الملامح الأولى للابتكار التضامني والتدبير الاجتماعي تحت تأثير الظروف القاسية والمشاكل المستعصية التي صادفت الإنسان في حياته وهددت وجوده. ما جعل من تاريخ النشاط التعاوني الاجتماعي والتضامني في شكله العام يرتبط بتاريخ تفاعل الوجود البشري، حيث انتظم الأفراد و القبائل من أجل المنفعة المتبادلة في بنيات تعاونية وعلاقات تشاركية تكافلية مع بروز فكرة تقسيم العمل والوظائف وتخصيص الموارد بين أفرادها بغية تحسين ظروف العيش المشترك في المجتمع. إذ تشكل العمل التضامني منذ بدايته متأثرا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية للمجتمع المحلي في مساره التاريخي نتيجة تداخل العديد من العوامل التي كان لها تأثير واضح على توجهات وأهداف وحجم العمل في المراحل التاريخية المختلفة، حيث أرخت بدايات الإنسانية لأعمال ومبادرات يُمكن حصرها ضمن مفهوم المبادرات الاجتماعية والابتكارات التضامنية والعمل غير المأجور. نشأت وازدهرت كشكل من أشكال المشاركة الاجتماعية خاصة في مرحلة غياب المؤسسات الرسمية، حيث استمدت قوتها وأهميتها من صلب الحاجات المحلية ومن روح القيم الدينية والثقافة الاجتماعية السائدة، فعملت الأديان السماوية على ترسيخ مفاهيم ومناهج وقيم السعي و التكافل والتضامن والعمل التطوعي وشكلت إطارا أخلاقيا

ورمزياً وقواعد إنسانية جمعت بين الناس على اختلافهم لتحقيق الحاجات الإنسانية، ما يؤكد أن "العمل التطوعي التضامني متأصل في الذهنية الفكرية برز منذ القديم في إطار الخدمة الاجتماعية لرعاية الفئات المحتاجة في صورة تعاون اقتضته ظروف الحياة بصورة الإلزام والواجب أو الإحساس بالمسؤولية من قبل الجماعة القربانية والقبلية ، وبحكم التطور الاجتماعي والفكري جسدت الديانات السماوية مفاهيم الإحسان والصدقة والزكاة"<sup>1</sup>. إذ عرفت الحضارات المتعاقبة أشكالاً متنوعة من الابتكارات التضامنية و المبادرات الإنسانية التطوعية " لكون العمل التطوعي في المجال الاجتماعي نشأ بنشأة الإنسان في كل مجتمع إنساني ، وفي كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات أو ديانة من الديانات وتطور بتطور المجتمعات الإنسانية ، فقد عرفه قدماء المصريين والرومان والإغريق " 2 ، فنجد أن كل الأديان ركزت على فكرة الإبداع التضامني والاجتماعي والسعي نحو البحث عن حلول ضمن مفاهيم مختلفة كالتطوع ، العمل الخيري ، الأمر بالمعروف والبر والإحسان لتقوية الروابط والعلاقات الإنسانية بين البشر والذي أطرته الكنائس والدير كما تجسد في المساجد والزوايا ،إذ" حنّت الديانات السماوية على العمل التطوعي والتضامن الذي تمثل في تقديم المساعدة للفقراء والفئات المحتاجة ، وقد ارتبط العمل التطوعي في الدواعي الدينية بعمل الخير بشكل مطلق حتى يمكن القول أن الخير والعطاء جزء من العبادات " 3 . فقد دعت المسيحية واليهودية إلى ضرورة السعي للأعمال الاجتماعية فنجد نصوص العهد القديم عند اليهود تُشير إلى بعض الأعمال الخيرية والرعاية الاجتماعية " وهو ما تُدلل عليه الوصايا العشرة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام في الكتاب المقدس ومنها طوبى لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب. وقوله افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك. وقوله من يرحم الفقير يقرب الرب

1- حطب زهير العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية مؤتمر دولي حول العمل الأمني التطوعي ،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ،السعودية سبتمبر 2000

2- النعيم عبد الله العلي، العمل الاجتماعي التطوعي، مؤتمر العمل التطوعي والأمن، الرياض،السعودية،2004 ص25

3-الخطيب عبد الله ، العمل الجماعي التطوعي الشركة العربية للتوثيق، القاهرة ،مصر ، 2010، ص1

وعن معروفة يُجازية . وقوله من الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطّر، وقوله لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين"1، وتظهر ملامح المقاولة الاجتماعية عند النصارى عبر الدعوة للإحسان ورعاية المحتاجين والتفكير في حلول لمشاكلهم " وقد ظهر ذلك جليا في الكثير من نصوص العهد الجديد للإنجيل ومن أهم أصول الرعاية والحماية الاجتماعية ومن ذلك قوله من سألك أعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. وقوله الله سبحانه وتعالى يكافئ من يشبع الفقير . وقوله بالصدقة يقبل الصوم، وقوله كل أنواع الهبات مرغوب فيها "2. كما تجسّدت قيم المقاولة الاجتماعية في الدين الإسلامي عبر الكثير من النصوص الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتاريخ الصحابة والتابعين. كون تاريخ المجتمع الإسلامي هو تاريخ تضامني واجتماعي بامتياز، إذ تأسست حضارته الأولى وتطورت من خلال حياة مليئة بصور الابتكار التضامني والمشاريع الاجتماعية لكونه يسعى في مغزاه لتحقيق المشاركة الوجدانية وكون "حضارتنا الإسلامية تعد حركة ريادية واسعة على مستوى الحركة والفعل قبل اشتقاق المفهوم وبلورته في الدراسات الأكاديمية... كما أن جوهر الريادة الاجتماعية يكمن في روح المبادرة، والمتأمل في الأديان والحضارات المختلفة سيجد أنه ما من دين اهتم بإيقاظ الهمم والحث على المبادرة مثل ما فعل الإسلام"3. إذ تميزت التعاليم الدينية الإسلامية بتوجيهات إلهية وإرشادات نبوية تحث على العمل الإنساني التضامني، فوردت الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تدل على العمل والسعي إلى فعل الخير بشكل صريح للكلمة أو بمرادفاتها على شكل البر، الإيثار، الأمر بالمعروف، التعاون، التكافل، التطوع، التراحم، السعي والإحسان، الرحمة، الصدقة، تفريغ الكربة وإغاثة الملهوف وغيرها.

1-فاضل العبدلاوي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 20-22-2008، ص7

2-فاضل العبدلاوي فاتحة العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، نفس المرجع، ص8

3-خيري أمل، تجارب في الريادة الاجتماعية، مرجع سابق، ص129

كما جاءت الدلالة عليها بصيغ الأمر به والترغيب فيه أو المدح لفاعله والثناء عليه وذكر فضائله. والإسلام بكونه دين يمزج بين البعد العقائدي والتعبدي والتنشيعي ينظر للمجتمع الإنساني كالجسد الواحد أو البنيان المرصوص الذي يشدّ بعضه بعضاً، هذا البنيان الذي لا يمكنه الاستمرار إلا عن طريق التكافل. لذلك فالمبادرات الاجتماعية في نظر الإسلام هي نظام متكامل يربط بين الحاجات المادية والنفسية بهدف تنمية روح الفرد لتربية توجه تشاركي للإنسان يقوي علاقاته الاجتماعية كما يُساهم في تحقيق التماسك الإنساني.

فقد رغب الله سبحانه وتعالى على الفعل التضامني والسعي إليه وجعله من المقاصد الأصلية في الإسلام وعدّد من المفاهيم الدالة عليه، كما ربط الإسلام العمل الخيري والتضامني بحوافز دنيوية وأخرى مرتبطة بالآخرة، حيث تنوعت في الإسلام صيغ الترغيب على الممارسة التضامنية الاجتماعية بمفاهيم مختلفة. كما دعت الشريعة الإسلامية إلى ممارسة العمل غير الربحي من خلال كل مجالات الحياة المعيشية الاجتماعية، التربوية والبيئية الصحية وغيرها تحقيقاً لفكرة الاستحلاف في الأرض. كما تأصل السعي إلى العمل التضامني في الإسلام انطلاقاً بما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وشواهد تُعزز من قيمة العمل الاجتماعي والسعي إليه. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى "وافعلوا الخير لعلمكم تفعلون" سورة الحج الآية 77. وقوله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" سورة المائدة الآية 02. وقوله تعالى "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" سورة الحشر الآية 09. كما تأكّد ذلك في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة منها أن الرسول صلى الله عليه وسلم صوّر المجتمع بالجسد الواحد وذلك في قوله "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، وقال في حديث آخر "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة". كما جاء في قوله "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". وكلها إشارات قطعية وصريحة على أن المبادرات الفردية أو الجماعية ذات البعد التضامني والاجتماعي

جزء من حياة المسلمين تتخذ أشكالاً وأحجاماً وأنواعاً متعددة، بل أن من عوامل نجاح المبادرات الاجتماعية والابتكارات التضامنية استثمارها للتشريعات والقيم الروحية الدينية والمواقف الرائعة كدوافع ومحفزات وضوابط للعطاء. إذ أن " الوجود الاجتماعي في الإسلام عرف أشكالاً من التنظيم المهني والاجتماعي داخل المدينة الإسلامية، كما أنه عرف نظاماً متميزاً من الخدمات العلمية الاجتماعية وشكلاً من أشكال التضامن والتكافل على نحو تمثله الأوقاف وأصنافها العديدة" 1.

إن البحث في تأصيل تاريخ ممارسة المقاولة الاجتماعية يستدعي تصنيفاً زمنياً للحقب التاريخية ابتداءً من الحضارات القديمة إلى مرحلة ما قبل الإسلام مروراً بفترة الحضارة الإسلامية ووصولاً للحضارة الغربية المعاصرة. ففي الحضارات القديمة ركز السعي نحو ابتكار العمل الاجتماعي في المجتمعات البدائية على التطوع من خلال المبادرات الفردية والأسرية ضمن علاقات اجتماعية بسيطة ونظام اقتصادي محلي "حيث تشير بعض الكتابات إلى أن النشاط التضامني والاجتماعي عُرف في فترة حمورابي (1792-1750 ق م) فكان هناك اهتمام بالتأمينات الاجتماعية ضد المرض والعجز والشيخوخة فظهرت حينها مؤسسات تعاونية خيرية تقدم المعونة المعاشية لأعضائها عند الحاجة والظروف الطارئة كان يتكون رأس مالها من اشتراكات الأعضاء ومساهمات المحسنين" 2. كما عُثر في الحضارة الصينية على "جذور للتضامن الاجتماعي من خلال أفكار (كونفوشيوس 551-479 ق م) و التي دعت إلى الرخاء الاقتصادي وإقامة العدالة الاجتماعية والتأمينات ضد الشيخوخة والعجز حفاظاً على النظام الاجتماعي" 4.

1-الهرماسي عبد الباقي ، المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2،بيروت،لبنان 2001 ،ص18

2-ويس رزوقي منذر ، النظام القانوني لحق الضمان الاجتماعي من منظور دستوري ومالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة تكريت، كلية الحقوق ، العراق ، 2014 ، ص

4-عبد الرحمن إبراهيم محمد، الطبيعة القانونية لاشتراكات الضمان الاجتماعي دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت، كلية الحقوق، العراق ، 2012 ، ص9.

أما في الحضارة المصرية القديمة وما تميّزت به من نهضة علمية في المجالات المختلفة فقد ظهرت ملامح الفعل التضامني و الاجتماعي من خلال الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي تمنع استغلال الفقراء ورد المظالم عنهم ، وفي شؤون الأسرة والرقيق وغيرها "حيث دلّت الصور والرسوم الموجودة على جدران معابد قدماء المصريين وقبورهم على أن العمل الاجتماعي التطوعي المتمثل في مساعدة الفقراء كان موجوداً خاصة في حفلات الأسر الملكية، وكان المواطنون العاديون يقدمون تبرعاتهم للمحتاجين فكانت المعابد تتلقى المساعدات والتبرعات من محاصيل الأرض ومنتجات المواشي لتوزيعها على الفقراء بمعرفة الكهنة، كما عرف القدماء المصريون الكثير من أعمال التطوع الاجتماعي في مجال البر و الإحسان"2.

في حين عرفت الحضارة الإغريقية قفزة نوعية في العلوم المختلفة وخاصة الفلسفة حيث اهتم أغنياء اليونان برعاية أبناء السبيل وتوفير الطعام والمأوى للغرباء وتقديم المساعدات للمحتاجين " حيث دلّت الكثير من المصنفات التاريخية والفلسفية أن خزينة الدولة اليونانية كانت هي نفسها تقوم بالرعاية الاجتماعية"3.

4- عبد الرحمن إبراهيم محمد، الطبيعة القانونية لاشتراكات الضمان الاجتماعي دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تكريت، كلية الحقوق، العراق، 2012 ، ص9.

2- النعيم عبد الله العلي، العمل الاجتماعي التطوعي، مؤتمر العمل التطوعي والأمن، نفس المرجع ،ص331

3- فاضل العبدلوي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، مرجع سابق ،ص6

كما اهتم الحكام اليونانيون بسلامة ورعاية الأطفال والمحافظة عليهم بهدف استمرارية الدولة والمحافظة عليها كونهم يمثلون القوة الأساسية التي يمكن أن تحافظ على قوة الدولة "كما ظهرت بعض الأعمال الاجتماعية التي تقدم المساعدات في حالات الكوارث والزلازل والحرائق، وأقيمت الملاجئ والمؤسسات لإيواء الفقراء وتعليم أيتام الحروب"<sup>1</sup>، كون المعتقد اليوناني كان ينطلق من فكرة "أن إيواء الفقراء وإعانتهم ومساعدتهم تُعد من الفضائل الكبيرة"<sup>2</sup>.

أما الحضارة الرومانية فقد عرفت الاهتمام بالعمل الاجتماعي والتطوعي والخيري والإغاثي "عند طبقة الحكام والتي كانت تهتم بمساعدة الطبقات الفقيرة نظير المشاكل الاجتماعية التي عرفت الإمبراطورية بفعل الحروب التي ميزت المرحلة والتي خلفت الكثير من اليتامى والمشردين والفقراء والأرامل حيث كانت طبقة النبلاء تهتم بتوزيع القمح على الفقراء عندما يشتد القحط"<sup>3</sup>.

وفي مرحلة ما قبل الإسلام كان للمعتقدات الاجتماعية السائدة دورٌ كبير في تنمية العمل التضامني والاجتماعي بين القبائل، ففي العصر الجاهلي وبالرغم مما تميز به من فساد وظلم ورذائل إلا أن صفة الكرم والجود و إعانة المحتاج وإغاثة الملهوف كانت من الصفات المميزة لهم ، فكانوا يمتازون بالكرم والجود والشجاعة والنخوة والشرف ، حيث اتصف العرب بنصرة المظلوم ومساعدة المحتاج وطالبي النجدة ولعل العقد المبرم بين بعض عشائر قريش لنصرة المظلوم يمثل صورة حية للعمل الاجتماعي التطوعي في ذلك العصر وهي بمثابة جمعية تقدم خدمات لمساعدة المظلوم من القوم ، كما اتصف العرب بسقاية الحجاج و أسسوا ما يُعرف بدار الندوة قرب الكعبة المشرفة لحل مشاكل الناس بالحسنى، وكلها أشكال

1-خفاجي حسن علي، الخدمة الاجتماعية، شركة المدينة للطباعة والنشر، ط2، جدة، السعودية، 1982، ص56  
 2-عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، الاتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية، برنامج دبلوم القيادات الإنسانية، مركز التطوير والتدريب، الكويت، 2013، ص 25  
 3-الشهراني معلوي بن عبد الله، العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية، السعودية، 2006، ص30

و نماذج تجسد فكرة الابتكار التضامني وتقديم الخدمات المختلفة. وبعد مجيء الإسلام التزم الناس على القيام بأعمال التضامن والتكافل في إطار البر والإحسان والأمر بالمعروف، إذ انتشرت المؤسسات الخيرية وشملت جميع ميادين الخير في المجتمع الإسلامي، ومن أبرزها عمارة المساجد والمدارس والمعاهد العلمية والمستشفيات وبناء بيوت للحجاج في مكة وحفر الآبار.

كما نظم الإسلام أعمال البر وفق قواعد ومبادئ إلهية ثابتة، حيث أعطى للتضامن بعداً أخلاقياً تعبدياً إلزامياً كما وضعه في إطاره القيمي والديني. فوردت العديد من الآيات الكريمة التي تؤسس للمفهوم وبمصطلحات مختلفة فنشأت الكثير من المواقف في إطار مفهوم الخير والإحسان وفي ضوء هذه القيم الدينية، كما أدت المساجد دوراً هاماً في تجسيد فكرة المقاولة الاجتماعية "كونها كانت مؤسسة تعليمية وثقافية و اجتماعية وقضائية من خلال الدور الذي كان يؤديه مجموعة من المتطوعين من العلماء والمحاسبين ، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك دواوين خاصة للعطاء وتقديم المعاشات للمستحقين، كما كان هناك اهتمام خاص بالضعفاء وفق احتياجاتهم وظروفهم الشخصية، فكان يُخصص للكفيف والعاجز والمريض والمسن من يقوم برعايته وكانت نفقتهم على بيت المال" 1. ما جعل من أشكال التضامن المختلفة سمة مميزة للمجتمع الإسلامي مؤطرة من خلال التعاليم الإلهية وسيرة سيد الخلق، فكان الصحابة عليهم الرضوان يتنافسون على تقديم الخدمات ومساعدة الفقراء في السر والعلن. ما يؤكد على أن تاريخ الحضارة الإسلامية أسس للكثير من الصور التي تجسد الممارسة التضامنية في أشكالها المختلفة ولكون تاريخ الدولة في الإسلام هو تاريخ تضامني كان فيه القضاة ورجال الدين ومشايخ الطوائف هم القائمين على تأطير المبادرات والأعمال الاجتماعية لما يمتلكونه من صورة ذهنية وقبول شعبي وقوة تأثيرية. وهي مؤشرات وشواهد تاريخية تؤكد " أن المجتمع العربي وفي ظل الإجماع

1-محمود حسن، مقدمة الخدمة الاجتماعية دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص105

الإسلامي أنتج مؤسسات للنفع العام والخدمات الاجتماعية من طبابة وتعليم ومستشفيات ومساكن... وكل هذه الخدمات قامت على المبادرة أو الالتزام بفريضة الصدقة"1.

أما في الفترة التي سبقت الثورة الصناعية وفي العهد الإقطاعي والتي تميزت بسلطة الكنيسة " فقد سيطرت فكرة الإحسان على المسيحيين حيث كان الدافع الأول للإحسان هو الرغبة في الحصول على رضا الرب واجتلاب رحمته وتقديم الأعمال الصالحة والاستعداد للحياة الأخرى. حيث زادت مظاهر البر والإحسان للفقراء والمحتاجين بشدة في أوروبا مع قوة الكنيسة وسطوتها وعلو كلمة رجال الدين، فباتت هناك مؤسسات لرعاية الفقراء ملحقة بالكنائس والأديرة وبات نظام جمع الصدقات نظاماً يُحترم في أوروبا بأكملها يشجعه المبشرون والقساوسة والمحاربون"2.

ومع حلول الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر وما شهدته الحضارة الغربية من تحولات اقتصادية، اجتماعية، فكرية و ثقافية انعكست على حياة الأفراد والمؤسسات وأفرزت ظواهر اجتماعية جديدة ولدت بروز قيم فلسفية فكرية ثقافية جديدة ساهمت في بروز آليات تنموية تجمع بين الغاية الاقتصادية والهدف الاجتماعي، فظهرت مقاربات نظرية وكتابات غربية حول موضوع العمل الاجتماعي والمبادرات التضامنية كآلية تنموية مبتكرة نذكر منها الانجليزي روبرت أوين (Robert Owen) (1771-1858) مؤسس الحركة التعاونية بإنجلترا. والفرنسي شارل فوريه (Charles Fourier) (1772-1837) صاحب فكرة أن العمل والتعاون الاجتماعي بين الناس هو أساس النجاح في المستوى التنموي، وهي أفكار ساهمت في انتشار الجمعيات والمؤسسات الخيرية في مختلف أنحاء العالم اقتصر نشاطاتها على تقديم المساعدات المالية والعينية، لكن سرعان ما تطورت فتشعبت مجالات المساعدة وتعددت

1- كوثراني وجيه، المجتمع المدني والدولة في التاريخ العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية حول المجتمع المدني ودوره في تحقيق الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان 2001، ص 127

2- عبد المحسن عبد الله الجار الله الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، مرجع سابق، ص 25.

الخدمات وتباينت نتيجة لظهور مفهوم الخدمة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية للمؤسسات.

أما في العصر الحديث فقد شهد تبلور مفهوم المقاولة الاجتماعية في أدبيات الإدارة وعلم الاجتماع بشكل متكامل حيث انتشر في الثمانينيات وأصبح رائج الاستخدام مع بداية القرن الواحد والعشرون خاصة مع بروز نماذج لمؤسسات عالمية أسست لبروز نوع جديد من الآليات التنموية القائمة على محددات ثقافية ذات طابع أخلاقي وروحي وأهداف وغايات تتقاطع مع مفاهيم التطوع والعمل الخيري والخدمة الاجتماعية في الأهداف والغايات وتختلف معها في الوسائل والآليات. ومن أبرز النماذج نذكر الأمريكي بيل درايتون (1943 Bill Drayton) صاحب شركة أشوكا للإبداع الاجتماعي، الاقتصادي البلغاشي محمد يونس (1940) صاحب بنك الفقراء، حركة الخدمة للتركي فتح الله غلن (1941)، والإنجليزي تشالزليد بيتر (1934 Charles Lead beater) صاحب المدرسة كمجتمع إبداعي، والفرنسي هنري دونانت Henri Dunant (1829-1910) صاحب النواة الأولى لتأسيس الصليب الأحمر الدولي، إضافة إلى الإنجليزي بادن باول (1851-1941) مؤسس الحركة الكشفية، والمصري أحمد عبد العزيز النجار (1932) صاحب بنوك الادخار المحلية، إضافة إلى الهندي بانكر روي (1945 Bunker Roy) صاحب مشروع التعلّم من حركة حافي القدمين . ومع حجم التحولات التي عرفتھا المجتمعات ومع الأزمات الاقتصادية المتكررة برزت مفاهيم جديدة تعكس فكرة المقاولة الاجتماعية مثل الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، القطاع الثالث، الريادة الاجتماعية، كما شهدت تحولا في أهداف ووسائل ومجال اهتمام هذا الاتجاه الاجتماعي الاقتصادي التنموي من كونها مبادرات فردية بهدف تقديم خدمات ومساعدات عينية تحولت إلى آليات تنموية تقوم على التخطيط والبرمجة ضمن أسس علمية ومؤسسات مهيكلة بغرض تنموي. حيث نمت وتطورت مؤسسات المقاولات الاجتماعية و انتشرت عبر العالم كما وسّعت من اهتماماتها لمجالات تنموية أخرى، حيث انتقلت من الوضع المحلي إلى الوضع الوطني ومن الوضع التقليدي الفردي إلى الوضع القانوني المؤسس و المهيكل "وعلى الرغم من أن الجهود التطوعية ليست

بالأمر الجديد إلا أنها لم تظهر بصورة منظمة من خلال مؤسسات تطوعية إلا في العقود الأخيرة ، وكان هدفها عند بدء إنشائها مقتصرًا على الجانب الخيري وتقديم الرعاية الاجتماعية للفئات المحتاجة ومع مرور الوقت تطورت هذه المؤسسات و اكتسبت أشكالاً وهياكل تنظيمية متنوعة، ولم تقف هذه التغيرات عند حدود الزيادات الكمية أو التنوع في الأنماط، بل أثرت أيضا تأثيراً جذرياً على مفاهيم تلك المؤسسات حيث تم التحول من مفاهيم العمل الخيري والرعاية الاجتماعية إلى مفهوم التنمية ومشاركة المجتمعات المحلية كمنهجين أساسيين قادرين على تنظيم دور تلك المؤسسات<sup>1</sup>.

كما ارتبط نشاطها في السنوات الأخيرة بمؤسسات عالمية شكلت الوعاء الرئيسي لتمويل المشاريع الخيرية، إذ أصبحت النشاطات الاجتماعية تدخل ضمن استراتيجياتها والتزامها الأخلاقي وضمن مسؤولياتها الاجتماعية في المساهمة بأنشطة اجتماعية وحل الكثير من المشكلات ،حيث برزت نماذج لمؤسسات عالمية جسدت أصول المقاولة الاجتماعية فوجد تجربة بنك الفقراء لمحمد يونس صاحب جائزة نوبل 2006، وجماعة الخدمة بتركيا لفتح الله كولن، وتجربة مؤسسة أشوكا لبيل درايتون (Drayton Bill) وغيرها لتصبح تمثل بدائل تنموية في ظل الأزمات المتتالية نظير ما تتميز به من قوة مواردها "ما جعل منها مثل أية شركة تقليدية أخرى تُنشأ وتُدار في إطار الأصول المهنية المتخصصة"<sup>2</sup>. كما أضحت في المدة الأخيرة مركز اهتمام من المنظمات العالمية كمنظمة الأمم المتحدة واليونسكو وكذا اليونيسيف والتي تدعمها مالياً وسياسياً في المجالات المرتبطة بالتعليم والصحة ومساعدة اللاجئين نظراً لإدراكها لأهميتها في تحقيق التنمية والرفاه الاجتماعي وكونها أحد الأنماط التنموية البديلة.

1-قنديل أماني، المجتمع المدني في العالم العربي، مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية، القاهرة، مصر ،1994، ص10

2-يونس محمد، عالم بلا فقر المشروعات الاجتماعية ومستقبل الرأسمالية، ترجمة ريم عبد الحليم مكتبة الشروق الدولية، مصر ،2009، ص13

وبشكل عام يمكن القول إن الإرهاصات الأولى للمقاولة الاجتماعية كمارسة ارتبطت بالوجود الإنساني منذ الحضارات الإنسانية القديمة، حيث انسجمت مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي والفكري والثقافي وحتى الديني ومستوى الوعي لمختلف المجتمعات وفي سياق مفاهيم وأهداف وغايات ووسائل متجددة وصولاً لمفهوم المقاولة الاجتماعية.

## سادسا: المقاولة الاجتماعية في المجتمع الجزائري

تُشير الوقائع التاريخية على أن الممارسة التضامنية و التدبير الاجتماعي والسعي في البحث على حلول للمشاكل المطروحة في المجتمع الجزائري تمتد عبر جذور تاريخية قديمة، فالطبيعة الزراعية للمجتمع جعلت منه يعيش ضمن تجمعات عائلية كبيرة وممتدة قائمة في جوهرها على العمل في اطار العائلة الممتدة ومنها برزت المبادرات التضامنية بين العائلات المحلية في مواسم البذر والحصاد وعند الكوارث، ما جعل من نظام التآزر ومساعدة الناس لبعضهم البعض جزءا لا يتجزأ من حياتهم اليومية العادية ومن ثقافتهم المتراكمة بالتجربة والممارسة، كما كانت الحياة القبلية قائمة على التضامن في توفير الأمن ومتطلبات الحياة من مأكّل ومشرب خاصة في أوقات الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والكوارث. ومع ظهور الإسلام تدعّمت الروح التضامنية والاجتماعية من خلال الدعوة القرآنية إلى التكافل والتراحم بين الناس وزادت هذه القيم بظهور نظام الوقف والزكاة وبيت المال الذي يقوم الأغنياء بتخصيص جزء من ثرواتهم وممتلكاتهم لخدمة الأغراض الخيرية ودوره الاجتماعي والاقتصادي سواء على مستوى الرعاية الاجتماعية أو صيانة المرافق العامة وترميمها وتسيير ممتلكات القُصر والعجزة وغير ذلك من شؤون الحياة.

كما كان للطرق الصوفية دور في تثبيت قيم السعي نحو العمل التضامني والاجتماعي من خلال الخدمات والمبادرات التي قامت بها طوال تاريخها، حيث سعت لتقديم خدماتها لأعضائها وللفقراء والمحتجين وعابري السبيل والمحتاجين من خلال فتح الزوايا والمساجد كمراكز للتعليم والقراءة ونشر العلم والثقافة والمحافظة على الدين، كما عملت الزوايا على توفير المبيت والأكل وتقديم خدمات التقاضي وتنظيم الأمور الإدارية بين المواطنين كعقود الزواج وعقود البيع والشراء. ما جعل للزوايا الدينية بشيوخها وأئمتها ومصليها دورا بارزا في قيادة المجتمع وتوجيهه دينيا واجتماعيا وحتى اقتصاديا يحثُ الناس على العمل و التعاون. حيث كان السكان المحليين يلجؤون للولي الصالح عند الضيق والشدة لقضاء

الحوائج لشدة إيمانهم واعتقادهم بفكرة الوساطة والبركة والتوجه إليهم للدعاء وتحقيق الأمانى . كما ساهمت الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة المتدهورة على التفاف الناس حول شيوخ الزوايا والطرق الصوفية لما لقوا منهم من احتضان ومساعدة ولما قامت به من أدوار تعليمية تربوية توجيهية ودينية جعلت من الزوايا تُحظى بثقة السكان ، فأصبح شيوخها بمثابة الموجه والمرشد والرائد الاجتماعي بالمفهوم العصري نظير الخدمات المقدمة، ما ساهم في تشكيل روح جماعية أسست لتبلور نظام اجتماعي محلي يجسد قيم الروح التضامنية الاجتماعية ويعكس السلطة الرمزية لشيوخ الزوايا " فالقضاة ورجال الدين ومشايخ الطوائف هم من أطر المبادرات والأعمال الاجتماعية لما يمتلكونه من صورة ذهنية وقبول شعبي"1، كلها عوامل جعلت من المساجد والزوايا نماذج لمؤسسات جماعية تبنّت دور المقاولات الاجتماعية التضامنية لبّت و استجابت لحاجات السكان المحليين معتمدة في ذلك على إمكانياتها المادية وقوة تراثها الرمزي والروحي المؤثر يتوفر على سلطة كبيرة لتوجيه الناس. ما جعل من رجالها محل احترام وإعجاب الجميع بل كان هؤلاء يقدمون البركة ويعقدون القران ويتوسطون للصلح ويقومون الموائيق والعهود ، كما يحددون حقوق الورثة ويفصلون بين الحلال والحرام ويصادقون على البيع والشراء . كما يعلنون بداية ونهاية شهر رمضان ومواسم الأعياد وتحديد فترة البذر والحراث وجني المحصول و إخراج الزكاة الواجبة من مختلف المحاصيل، وينظمون العلاقات والمهام بين الأفراد ويقدمون الفتاوى . فتشكل بذلك نظاما اجتماعيا وتشريعيا يقتضي التنفيذ والاحترام، وتشكلت مع مرور الوقت روح جماعية أسست لتبلور نظام اجتماعي محلي يُجسد قيم الروح التضامنية الاجتماعية ويعكس السلطة الرمزية لشيوخ الزوايا، ويمرور الوقت برزت في المجتمع الجزائري نماذج وأشكال متعددة للتضامن والتعاون بين الأفراد لقضاء الحاجات المشتركة مثل التوزيع والمعونة كظاهرة وممارسة اجتماعية وميزة تضامنية امتدت في عمق المجتمع

1-كوثراني وجيه، المجتمع المدني والدولة في التاريخ العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية حول المجتمع المدني ودوره في تحقيق الديمقراطية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط2،بيروت،لبنان 2001،ص121

حتى أضحت سمة مميزة للمجتمع الجزائري حافظت على طابعها لتبقى موروثا يعكس روح التأزر والتآلف بين أفراد المجتمع الواحد تظهر خاصة خلال مواسم الحصاد والدرس وجني الثمار والبناء وتحضير الولائم والكوارث والمصائب وكل عمل يحتاج إلى جهد جماعي إذ "حينما احتاجت الأسرة لقوة عمل معين كانت تلجأ إلى مفهوم المعونة حيث يتطوع الأقارب والأصدقاء لمساعدة الأسرة في إنجاز العمل الذي غالبا ما يرتكز في موسم الحصاد أو عند بناء بيت" 1. فأصبح بذلك الابتكار التضامني والاجتماعي بين أفراد المجتمع الجزائري يُمارس في جميع المناسبات كمناسبات الأفراح والأتراح حيث يتقدم الفرد بالإسهام في أعمال الجماعة بشكل تطوعي غير ساعي لأهداف ذاتية ، كما تأخذ شكل المساهمة المادية كما هو الحال في حالات الزواج والوفاة حيث يقوم أصحاب القرية بالتعبير عن مشاركتهم الوجدانية في تقديم الهدايا والمساعدات بأشكالها المختلفة حيث تصل إلى درجة الواجب أو الإلزام الأخلاقي اتجاه بعضهم البعض، كما امتد مفهوم المعونة إلى كافة المناسبات أين يقدم الأفراد المساعدة في الجهد والعمل في كافة الأشكال والمناسبات التي تعيشها القرية وفي كل الفترات في شكل احتفالي يعبر عن الفرحة والرضا والمشاركة الوجدانية بما يقومون به ،كما تمتد هذه الممارسات إلى فترات الأزمات والكوارث الطبيعية حيث لا زال يتجلى ذلك بين أفراد القرى والأرياف من خلال إحضار كل فرد لجزء من نفس المادة المُتلفة في الكوارث كتعبير عن تضامنهم ومشاركتهم للألم، وهو نفس ما يلاحظ أثناء لحظة وفاة أحد الأفراد حيث يتشاركون في تحضير كل ما يحتاجه أهل الميت من مسكن وطعام وغيرها. كما تجسد التوزيع قيمة المقاولة الاجتماعية القائمة على العمل التشاركي والتضامن الاجتماعي إذ تمثل الجماعة الركيزة الأساسية للفعل التضامني الجماعي داخل القبيلة أو القرية يؤطرها ويديرها شيوخ القبائل من خلال توجيههم الناس إلى المبادرة لتقديم الخدمات ما يؤكد أن فكرة المشاركة الاجتماعية

1-جبريل جحشان، حسين يحي، العمل التطوعي الفلسطيني، هيئة العمل التطوعي الفلسطيني، رام الله فلسطين، المرجع نفسه، ص17

التضامنية والممارسات التعاونية متجذرة في الثقافة المحلية تستمد أسسها من القيم الثقافية التقليدية المتأصلة في المجتمع المحلي، وميزة لكل أفراد المجتمع باختلاف مستوياتهم ومواقعهم الاجتماعية والاقتصادية.

كما عرف التراث الجزائري نماذج لمؤسسات جماعية تقمصت دور المقاولات الاجتماعية التضامنية لبّت واستجابت لحاجات السكان المحليين معتمدة في ذلك على إمكانياتها المادية وتراثها الرمزي، فنجد الزوايا القرآنية والكتاتيب تسعى جاهدة في تعليم الجزائريين وتكوينهم ونجاحها في ذلك لكونها مقاولات تضامنية تربوية قدمت تعليماً منخفض التكلفة للفقراء واعتمدت تسييراً مرناً قائماً على التعاقد بين المعلم والجماعة المحلية، إذ برز دور الزوايا القرآنية والطرق الصوفية في التعليم والتكوين المهني للشباب من خلال تشجيع الأتباع على اكتساب الحرف ومرافقتهم وإدماجهم في الحياة العملية خاصة لدى الأجيال الشابة، حيث شجعت أتباعها الشباب على المبادرات وخلق مشاريع مستقلة لخدمة المجتمع المحلي، كما أحدث قادة هذه المؤسسات الطرقية نشاطات اقتصادية مستقلة يعمل فيها الأتباع بصفة طوعية أو بمقابل لتوفير تمويل ذاتي مستدام لمختلف أنشطتها الروحية والثقافية بعيداً عن كل وصاية. إضافة إلى مساهماتها في حل النزاعات الاجتماعية بتحويل مقراتها الاجتماعية (الزوايا) إلى محاكم، حيث كان النظام القضائي المطبق يتسم بالمرونة في الإجراءات وسرعة تنفيذ الأحكام وانخفاض التكاليف للمتقاضين. كما كان لممتلكات الوقف والحبوس دور أساسي في تنفيذ وتجسيد الكثير من المشاريع التضامنية الاجتماعية.

## سابعاً: المقاولة الاجتماعية مقارنة تنموية

تعتبر المقاولة الاجتماعية مشروعاً للتجديد وإعادة التأهيل الاجتماعي تقترح حلولاً بطابع مبتكر تجاوزت الغايات الاجتماعية المؤقتة القائمة على فكرة الصدقة وأعمال الخير إلى اعتبارها رافداً من روافد التنمية العالمية وإحدى البدائل المقترحة، حيث أكد الواقع الاقتصادي والتنموي اليوم على أنه لا يمكن التعويل فقط على المجهود الحكومي كمصدر وحيد لتحقيق التنمية ومواجهة المشاكل الاجتماعية المطروحة وكون الدولة تعد المصدر الوحيد لكل مشاريع التنمية، وهنا تظهر أهمية مشاريع المقاولات الاجتماعية كشريك اجتماعي مهم في تحقيق التنمية. وهو ما أكدته العديد من التجارب العالمية أبرزها تجربة بنك الفقراء لمؤسسه محمد يونس 1976 والذي مزج بين المجالين الاقتصادي والاجتماعي بهدف تحقيق غايات وأهداف اجتماعية تضامنية، وتجربة بيل درايتون ومؤسسة أشوكا وكذا جماعة الخدمة لفتح الله غولن وكلها نماذج عرفت تحولاً فكرياً ومنهجياً من كونها جهداً فردياً إلى عمل مؤسسي مهيكّل يتضمن بعداً تنظيمياً دخل عالم الاحترافية. فانتقلت بذلك من فكرة تقديم المساعدات العينية المؤطرة تحت مبدأ عمل الخير والصدقات والعمل الصالح لسد حاجات آنية إلى كونها آلية تنموية شريكة للقطاعين العام والخاص. حيث تؤكد المؤشرات الإحصائية المتوفرة عن واقع المقاولة الاجتماعية في العالم عن خروجها من إطار الاجتهادات والمبادرات الفردية والمحلية المؤقتة إلى البعد الجماعي المجتمعي المخطط المنهج وصولاً إلى مأسسة القطاع بما يحتويه من تنظيمات واستراتيجيات بعيدة المدى.

إذ وعلى الرغم من اختلاف رؤية دول العالم في تحديد مفهوم وغايات ومحددات ودوافع نشاط المقاولة الاجتماعية إلا أنها تشترك في تأكيد أهميتها التنموية، حيث أصبحت مؤسساتها المختلفة تُكمل الجهود الحكومية لتوفير السلع والخدمات وتوسيع نطاق الحماية الاجتماعية. حيث نما وتطور الاقتصاد الاجتماعي والتضامني على مدى العقود الماضية ليصبح عاملاً اقتصادياً محورياً في أجزاء كثيرة من العالم، كما بدأ الاعتراف بالمؤسسات الاجتماعية كأشكال قانونية في مختلف البلدان "فقد احتلت موارد

قطاع الاقتصاد الاجتماعي والتضامني سنة 2015 مثلا المرتبة العالمية السادسة بصفته قطاع مستقل ذاتي من حيث القيمة المضافة بعد الولايات المتحدة واليابان والصين وألمانيا وفرنسا، وبلغ رقم أعمال التعاونيات والمؤسسات التضامنية الأولى في العالم التي يبلغ عددها ثلاثمائة 2500 مليار دولار ، إذ تشكل هذه التعاونيات والمؤسسات نسبة 32% في القطاع الزراعي، و 39% في قطاع التأمينات، و 19% في مجال البيع بالجملة والبيع بالتجزئة، و 6% في مجال الخدمات المصرفية والمالية. كما وقر هذا القطاع ما لا يقل عن 250 مليون منصب شغل داخل بلدان مجموعة العشرين بلغ عددها 28 مليوناً في الاتحاد الأوروبي لوحده أي ما نسبته 12.9% من إجمالي العمالة<sup>1</sup>. كما أصبحت مؤسسات المقاوالات الاجتماعية تساهم في تقليص حجم الفقر ومعالجة الاختلالات التنموية عبر ما توفره من استحداث لمناصب الشغل الدائمة وزيادة الرفاه الاجتماعي "حيث أشارت المعطيات الإحصائية بأن المنظمات غير الربحية ساهمت في توفير ما يقارب من 2.7% في إجمالي اليد العاملة العالمية"<sup>2</sup>. إن المقاولة الاجتماعية وبما أصبحت تمتلكه من إمكانيات ومصادر أصبح لها دور محوري في تحقيق التنمية على المستوى المحلي والعالمي ، حيث تؤكد الكثير من المؤشرات و التجارب العالمية "أن الاقتصاد الاجتماعي والتضامني مكّن الكثير من الدول التغلّب على بعض الآثار السلبية التي خلفتها أزمة سنة 2008"<sup>3</sup>. كما أصبحت هذه النشاطات الاجتماعية التضامنية تمثل " ما يقارب 10% من الناتج المحلي الإجمالي لدول الاتحاد الأوروبي وتخضع مؤسسة من أصل أربعة يتم إنشاؤها لهذا النوع من الاقتصاد"<sup>4</sup>. إذ أشارت إحصائيات الاتحاد الأوروبي في تقديمها لنماذج القطاع الاقتصادي الاجتماعي في أوروبا "أن نشاطات المقاولة الاجتماعية ضمت في فرنسا سنة 2007 حوالي 10% من

1- منجي مقدم، الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، مركز الدراسات المتوسطة والدولية، وراقات سياسية، 2018،

2- هيام المفتاح، العمل التطوعي استثمار امني واقتصادي، جريدة الرياض، السعودية، العدد 14166 بتاريخ 7 افريل 2007

3- منجية هادفي، الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، سلسلة الاقتصاد البديل، روافد للنشر والتوزيع، 2012،

4- منجي مقدم، الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، نفس المرجع.

اليد العاملة خارج قطاع الزراعة، كما مثلت التعاونيات والجمعيات في الاتحاد الأوروبي عام 2002 حوالي 221325 شركة تضم ما يقارب 11.142.883 منصب عمل ما يعادل 6.7 إلى 25 % من الحجم الكلي في الاتحاد الأوروبي لليد العاملة، وهي مؤشرات تبين الدور التنموي للمقابلة الاجتماعية ذات الطابع المؤسس و المهيكلي في أوروبا" 1. كما أصبحت توفر مؤسسات القطاع التضامني الاجتماعي "فرص عمل ثلاث مرات أكثر من فرص القطاع الخاص التقليدي بعد الأزمة العالمية"2 فنجد أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر من أكثر الدول احتضاناً لمؤسسات المقاولات الاجتماعية والتضامنية منذ فترة زمنية بعيدة وهي سمة مميزة للمجتمع الأمريكي حسبما لاحظته وعبر عنه الباحث الفرنسي "الكسيس دي توكفيل" (1859-1805 Alexis Tocqueville) في كتابه الديمقراطية في أمريكا 1835 حينما زار أمريكا في منتصف القرن التاسع عشر ولاحظ أن الأمريكيين يشاركون في كثير من الجمعيات التي ينظمونها لخدمة أغراض مجتمعاتهم زراعية ومالية ودينية واجتماعية وجمعيات من كل نوع وكل اتجاه فعلق توكفيل على هذا معتبراً أن هذه الجمعيات تمثل خاصيتين جديدتين في المجتمع الأمريكي ستؤديان إلى تقدمه بسرعة متفوقاً بذلك على أوروبا التي كانت تسيطر على العالم في ذلك الوقت ، هاتان الخاصيتان هما فن التنظيم الاجتماعي والرغبة في العمل الجماعي الطوعي وغير الطوعي . وهنا يبرز "بيل غيتس" مؤسس شركة ميكروسوفت من أهم النماذج العالمية التي يمكن الاستشهاد بها والذي يذكر في كتابه "الطريق إلى الأمام" أن الفضل في ولعه بالكمبيوتر ترجع إلى جمعية تطوعية بمدرسة بمدينة سياتل بتحويل إيرادات مشروع خيرى لشراء أجهزة كمبيوتر للطلبة. حيث يتشكل القطاع التضامني الاجتماعي في أمريكا من مؤسسات خيرية ومنظمات غير حكومية تدعمها مؤسسات عالمية أصبحت تشكل نماذج في إرساء العمل التضامني التنموي ومؤشراً اقتصادياً تنموياً كبيراً بما تملكه

1- الجمعية الاقتصادية الاجتماعية الأوروبية، الاقتصاد الاجتماعي داخل الاتحاد الأوروبي 2007، مقال صادر نهاية 2007

2- زردومي فلة ، معالم الاقتصاد التضامني ،مجلة الشهاب ،المجلد 04 ،العدد 02، جوان 2018،ص 139

من جامعات ومراكز بحثية ومستشفيات ومؤسسات استثمارية. "إذ تشير التقديرات الإحصائية الحديثة أن القطاع الثالث أو المقاوله الاجتماعيه حسب مجله "النيوزويك" الأمريكية قد تحول إلى صناعة قوامها تريليون دولار، كما تنامت نسبة التوظيف فيه ثلاثة أضعاف معدل التوظيف في تسع دول متقدمة رئيسة خلال عقد التسعينات من القرن الماضي، ولم يتباطأ هذا النمو برغم الركود الاقتصادي العالمي حيث ارتفعت نسبة العمالة في القطاع غير الربحي في الولايات المتحدة بنسبة 4 % عام 2000، في الوقت الذي تقوم فيه الكثير من الصناعات الأخرى بتسريح أعداد كبيرة من موظفيها " 1 .

وهو ما قد أشار إليه الكاتب الأمريكي "كريستوفر جن " في كتابه "تنمية القطاع الثالث" إلى أهمية هذا القطاع في الجانب الاقتصادي بقوله " إن واحدا من أهم الأسباب لتوجيه الاهتمام نحو القطاع الثالث انه من أكبر القطاعات تناميا في الاقتصاد الأمريكي، فعلى المستوى الوطني يشكل 10% من مجمل النشاط الاقتصادي تقريبا ويمكن أن يكون أكثر من ذلك، إذ يوضح في دراسته أن المنظمات غير الربحية في عقد التسعينات كانت أكثر القطاعات نموا في مجال الوظائف وإسهاماتها تنصدر القطاع المالي وقطاع التأمين وقطاع العقارات"2.

1-السلومي محمد بن عبد الله ، القطاع الثالث والفرص السانحة، رؤية مستقبلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، السعودية، 2010 ،ص69

2- السلومي محمد بن عبد الله ، القطاع الثالث والفرص السانحة، رؤية مستقبلية، نفس المرجع،ص701

كما تشير الإحصائيات الرسمية الخاصة بسنة 2003 مثلا إلى " أن القطاع التضامني والخيري بشقيه الوقفي و التبرعي يضم في إطاره 1.514.972 منظمة وجمعية و 32000 مؤسسة ووقفية ويتم الترخيص يوميا لعدد 200 جمعية تعمل في القطاع الخيري ، وينتظم في هذا القطاع قرابة 11 مليون موظف بصفة دائمة ، بينما بلغت إيرادات القطاع الثالث (التبرعات ) حوالي 212 مليار دولار أمريكي إضافة إلى 90 مليون متطوع في جميع الأعمال الدينية والإغاثة والإنسانية بواقع خمس ساعات عمل أسبوعيا في التطوع في جميع التخصصات"1، كما أوضحت المؤشرات الإحصائية لسنة 2005 في مجال المقاولة الاجتماعية التعليمية "أن عدد المدارس غير الربحية بلغ في الولايات المتحدة الأمريكية بلغت 20580 مدرسة منها 14205 استفادت من التبرعات الخيرية بمقدار 238 مليار دولار وتستحوذ على أصول ثابتة بقيمة 441 مليار دولار" 2

وفي ذات السياق تشير التقارير السنوية الصادرة عن مركز دراسات العمل الخيري في أمريكا "أن عدد المنظمات والمؤسسات التضامنية والاجتماعية بلغت في عام 2006 ما يقارب من مليون و600 ألف منظمة وجمعية بزيادة سنوية بلغت 6 % 3 ، كما تبين مؤشرات سنة 2006 " أن القطاع التطوعي يوظف أكثر من 10.2 مليون شخص أي ما يعادل 6.9 % من حجم العمالة لأمريكا وحدها ، كما بلغ مجموع ما منحه المنظمات غير الربحية أكثر من 4.2 مليار دولار في نوفمبر 2006 ، كما يشار إلى أنه في 2006 بلغ المتوسط الحسابي للتطوع بما يقارب 18.77 دولار في كل ساعة"4.

1-بوجمعة بلال، دور القطاع الثالث في تجسيد الأنشطة التنموية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد7، العدد2 ، 2018،ص423

2-الهوراني ياسر، الغرب والتجربة التنموية، البحوث العلمية للمؤتمر الثاني للأوقاف، جامعة أم القرى ، السعودية، 2006 ص12-23

3-السلومي محمد بن عبد الله ، القطاع الثالث والفرص السانحة، رؤية مستقبلية، مرجع سابق، ص76

4-ساري سهام، دور القطاع الثالث في تحقيق التنمية المستدامة، مجلة الباحث الاقتصادي، العدد الأول،2014،ص179

في حين أشارت بيانات سنة 2007 إلى تطور القطاع التضامني ليضم أكثر من 1.6 مليون منظمة وبتبرعات سنوية فاقت 316 مليار دولار ما جعل من القطاع التضامني الاجتماعي يُشكل ما يعادل 10 % من مجمل النشاط الاقتصادي على المستوى الوطني<sup>1</sup>. إذ تُشير البيانات الإحصائية "أن عدد الجمعيات الخيرية في أمريكا في ازدياد مستمر بمعدل جمعية خيرية لكل 300 مواطن"<sup>2</sup>.

كما أشارت الإحصائيات إلى أن "قيمة الوقت الذي أنفقه المتطوعون لخدمة الأنشطة التنموية بلغ في عام 2014 نحو 179.2 بليون دولار، وبلغت قيمة وقت المتطوعين جنبا إلى جنب مع العطاء الخاص أكثر من نصف تريليون دولار (537.6) مليار دولار"<sup>3</sup>

أما في الفترة ما بين 2003 و2013 أظهرت الموارد المالية لمؤسسات القطاع الثالث تطورا وازدادت العائدات والأصول بوتيرة أسرع من الناتج المحلي الإجمالي لأمريكا، حيث ارتفعت الإيرادات بنسبة 30.7% ونمت الأصول بنسبة 32.7% مقابل نمو الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 14.3% . وفي عام 2010 شكلت مؤسسات القطاع الثالث نسبة 9.2% من جميع الأجور والمرتبات المدفوعة في الولايات المتحدة، وبلغت حصة مؤسسات القطاع الثالث من الناتج المحلي الإجمالي 5.3 بالمائة في عام 2014"<sup>4</sup>.

1-السلومي محمد بن عبد الله، القطاع الثالث والفرص السانحة، نفس المرجع، ص66

2-ريهام أحمد خفاجي، المؤسسات المانحة العالمية، بين الحرية الأمريكية والإدماج الألمانية، ملتقى الجهات المانحة تحت عنوان آفاق جديدة لمستقبل أفضل، المركز الدولي والأبحاث، السعودية، مداد4فيفري2013

3- بوجمعة بلال، دور القطاع الثالث في تجسيد الأنشطة التنموية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد7، العدد2 ، 2018، ص424

4-بوجمعة بلال، دور القطاع الثالث في تجسيد الأنشطة التنموية، نفس المرجع، ص426

وهي مؤشرات توضح حجم النمو الذي سجله نشاط قطاع المقاولة الاجتماعية في الولايات المتحدة غير متأثر بالوضع المالي والأزمة الاقتصادية التي عرفها العالم، وتعد الشركات العملاقة في أمريكا من أهم مصادر تمويل المؤسسات التضامنية ذات الطابع الاجتماعي، إضافة لمداخل هذه المؤسسات الخاصة عبر مواردها الخاصة، إذ أن معظم الشركات الاقتصادية الأمريكية لديها مكاتب خيرية داخلها مثل شركة "جنرال موتورز" وشركة صناعة الطيران "بيونغ" ومجموعة "سي تي بنك" وشركة "فورد" التي تملك مؤسسة خيرية مانحة يعمل بها أكثر من 500 موظف كما لها مكاتب في عدة دول و"جنرال الكتريك" وغيرها، حيث وضعت النشاط التضامني الاجتماعي ضمن أولوياتها.

أما في دول أمريكا اللاتينية فإن واقع المقاولة الاجتماعية فيه لا تختلف عن دول العالم الأخرى إذ يُنظر إلى الاقتصاد الاجتماعي على أنه آلية لاستيعاب الاقتصاد غير الرسمي، فتشير الإحصائيات إلى تواجد أكثر من 22000 مؤسسة تضامنية في البرازيل معظمها تعاونيات يعمل فيها أكثر من 1.7 مليون شخص، كما تساهم مؤسسات المقاولة الاجتماعية في معالجة عدم المساواة في توزيع المداخل وتوزيع الأصول وفرص العمل والعمل بأجر والمشاركة في صنع القرار، حيث تمكن 15% من سكان البرازيل ما يعادل خمسة وعشرون مليون مواطن من الخروج من عتبة الفقر. كما ساهمت منظمات ومؤسسات المقاولة الاجتماعية من الوصول العادل إلى الموارد العينية، فكان لها دور في تحقيق التنمية المستدامة عبر المساهمة في تقديم حلول بديلة للمشاكل البيئية من خلال إعادة التدوير والطاقة المتجددة مما ساهم في الحد من المخاطر البيئية 1 .

1- مؤتمر العمل العربي، دور الاقتصاد الاجتماعي التضامني في زيادة فرص التشغيل، الدورة 43، القاهرة، 2016، ص 6

أما في الهند تشكل التعاونيات المكون الأساسي لهذا الاقتصاد إذ يبلغ عددها ست مائة ألف تعاونية بعضوية يبلغ حجمها 250 مليون عضو بما يجعل منها الأكبر عالميا، ولديها شبكة واسعة وأصول وتغطية لنسبة 100% من 500 ألف قرية<sup>1</sup>، ما أهلها لتشغل حيزا واسعا في الاقتصاد الهندي خاصة في الزراعة والائتمان الريفي وتوزيع المدخلات الزراعية والتخزين وتسويق الأسمدة والإسكان والإقراض الصغير.

أما المنطقة العربية فقد عرفت المجتمعات العربية منذ القدم آليات تنمية لتدبير الشأن العام من خلال المبادرات الفردية وبتأطير من المؤسسات الدينية على شكل خاص. إذ وعلى الرغم من تأخر تشكّل وتنظيم قطاع المقاولة الاجتماعية في المجتمع العربي بشكله المعاصر إلى فترة زمنية متأخرة. إلا أنه مورس وعرف في المجتمع العربي منذ فترة زمنية بعيدة بأشكال وبمفاهيم مختلفة تتدرج ضمن قيم الإحسان والتكافل والتضامن والإنفاق والإيثار، ارتبطت بطبيعة وخصائص المجتمع العربي البدوي التقليدي من خلال تجسيد المشاريع والمبادرات الاجتماعية ضمن آليات تقليدية ومؤسسات شعبية تشرف على إدارة الأعمال الخيرية والتضامنية مثل الزوايا والمساجد ورجال الدين، إلا أنه تمكّن من البروز في السنوات الأخيرة كقطاع مهيكّل ضمن مؤسسات المجتمع المدني، ما يؤشر إلى تحوله من المبادرات الفردية غير المنتظمة إلى مرحلة الاحترافية في طريقة تسييره والإشراف عليه وفي منهجية توزيع الموارد والمداخل من خلال ابتكار آليات وطرق جديدة لعل أبرزها استثمار الوقف والحبوس وكذا صندوق الزكاة، ومع حجم التحولات والأزمات الكبيرة التي عرفها المجتمع العربي وبالنظر لتوسع المقاولة الاجتماعية كآلية تنمية في الدول الأوروبية لها أسسها ونظمها ومؤسساتها ومنظماتها فقد تطور عدد هذه المنظمات بنسب كبيرة في بعض الأقطار العربية مثل مصر واليمن وتونس والجزائر والمغرب حيث تقدر عدد مؤسسات القطاع

1-مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، الأمانة العربية، بيئة الأعمال للمشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، التحديات الراهنة والفرص،

التضامني وفقا إلى التقرير الذي أصدرته الشبكة العربية للمنظمات الأهلية عام 2003 ب 230 ألف منظمة في عام 2002 حيث تمكّن القطاع التضامني الاجتماعي في الوطن العربي من الإشراف على بناء ما يزيد من 127423 مسجدا بتكلفة 126 مليون دولار، والإشراف على بناء 3366 مشروع تعليمي بتكلفة 133 مليون دولار، وتجهيز 7869 مشروع مياه الشرب لتنمية الريف وكفالة ما يقارب 102686 يتيم<sup>1</sup> وهذا بالرغم من غياب التشريع القانوني المنظم لمثل هذه النشاطات والتأخر في سنّه.

### ثامنا: نماذج عالمية لمقاولات اجتماعية

لقد ارتبط نشاط المقاولة الاجتماعية في السنوات الأخيرة بمؤسسات عالمية شكلت نماذج في ابتكار وتمويل مشاريع خدماتية اجتماعية ، حيث أصبحت النشاطات الاجتماعية تدخل ضمن استراتيجياتها والتزامها الأخلاقي وضمن مسؤولياتها الاجتماعية في المساهمة بأنشطة قدمت حلولاً للكثير من المشكلات التنموية المطروحة. وهنا لا بد من الإشارة إلى مستوى التقاطع والتداخل في المفاهيم بين مؤسسات العمل الاجتماعي والعمل الخيري التطوعي والمؤسسات ذات المسؤولية الاجتماعية مع مؤسسات المقاولات الاجتماعية في الأهداف والغايات لكن تتباين معها في الرؤية والمنهجية المعتمدة. فإذا كانت النماذج الأخرى (مؤسسات العمل الاجتماعي الخيري التطوعي وذات المسؤولية الاجتماعية) ترصد أو تستقبل الموارد المالية من أجل توجيهها نحو الأغراض الخيرية والتضامنية التطوعية كحلقة وصل باستقبال الموارد وتوزيعها، فإن الثانية (مؤسسات المقاولات الاجتماعية) توظف وتستثمر الموارد المخصصة في ابتكار وإبداع وخلق مشاريع جديدة واكتشاف فرص واستثمارها لتعزيز الثروة الاجتماعية. ولعل من أبرز المؤسسات العالمية التي جسدت مبادئ وقيم المقاولات الاجتماعية في تحقيق التنمية نذكر:

1- منصور كمال، المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي، ملتقى التطوع العربي، دراسة متوفرة على شبكة الانترنت،

**8-1 بنك الفقراء محمد يونس**

تُعد تجربة محمد يونس 1974 في بنك الفقراء من أبرز النماذج المعاصرة تجسيدا لفكرة المقاولة الاجتماعية، حيث نجح الأستاذ محمد يونس في تطوير آلية عمل لمصرف جرامين الذي لا يسعى للربح بقدر ما يهدف إلى محاربة الفقر في واحدة من أقل اقتصاديات العالم فقرا ببنغلاديش. حيث لم ينحصر تنفيذ استراتيجيته في قطاع القروض الصغيرة عن طريق مصرف جرامين ، وإنما تعدته لتشمل سبعة عشرة منشأة تنموية غير ربحية تسعى في مجملها إلى محاربة الفقر في بنغلاديش وتحقيق التنمية المستدامة. إذ قام في عام 1974 وهي الفترة التي أصيبت فيها بنغلاديش بمجاعة قاسية بتقديم قروض لفقراء إحدى قرى بنغلادش من ماله الخاص. وفي عام 1976 بدأ مشروعاً بحثياً لاستكشاف تصميم نظام مصرفي يصلح للفقراء، إذ حقق المشروع نجاحاً في محافظة "شيتا جونج" ثم امتد المشروع إلى محافظات أخرى، بعدها تحول المشروع إلى مصرف مستقل باسم مصرف جرامين Grameen Bank، ساهمت الحكومة فيه بنسبة 60% من رأس المال المدفوع بينما كانت الـ 40% مملوكة للفقراء من المقترضين، وفي العام 2007 صارت النسبة 6% للحكومة و94% للمقترضين. حيث تميّز مصرف جرامين كونه مشروعاً اقتصادياً ذا أهداف اجتماعية وتجربة إبداعية تدعم الإبداع. إذ كان يؤكد محمد يونس على ضرورة أن تكون المسؤولية الاجتماعية هدفاً لأصحاب الأعمال واعتبارها مهمة بقدر الريح المادي، وأن هدفه الرئيس هو مساعدة الناس والنظر إلى الناحية الاجتماعية وليس المادية والاقتصادية.

**8-2 مؤسسة أشوكا بيل درايتون**

هي منظمة دولية غير حكومية أنشأها بيل درايتون عام 1980 تقوم على فكرة أن كل فرد هو صانع للتغيير. تسعى إلى تشجيع ودعم المبادرات الاجتماعية من المبدعين والرواد الاجتماعيين الحاملين لمشاريع ورؤية عبر دعم التعاون والتواصل المحلي والعالمي بينهم من أجل التعريف ونشر ابدعاهم. تنتشر على مستوى 89 بلداً. لقد كان درايتون منذ البداية يؤمن بقدرة المبدعين الاجتماعيين على مواجهة

التحديات الاجتماعية بإيجاد حلول مبدعة وخلاقة للمشاكل المختلفة "وكونهم أفرادا لديهم حلول مبتكرة لمشاكل المجتمع الأكثر إحاحا ذوو رؤى بعيدة وواقعيون يهتمون بالتنفيذ العملي لرؤيتهم"<sup>1</sup>. حيث تسعى مؤسسة أشوكا إلى تقديم خدمات الدعم المهني والتقني والاتصالات إلى الشبكة العالمية لرواد الأعمال الاجتماعية. كما تعمل المؤسسة على تعزيز مفهوم ريادة الأعمال الاجتماعية وودعم أصحاب المشاريع الاجتماعية وتزويدهم بالمساعدة التقنية، والاستشارات والأجور والموارد التي يحتاجونها لإحداث أثر إيجابي على المجتمع. وتحويل التركيز من الأشكال التقليدية للأعمال الخيرية إلى الاستثمار في مبادرات التنمية المستدامة من خلال تشجيع الشراكات بين القطاعات الاجتماعية والشركات.

### 8-3 بنك الادخار المحلي لأحمد عبد العزيز النجار

عمل الخبير الاقتصادي المصري أحمد النجار على تطبيق نظرياته الاقتصادية للنهوض بالأمة عبر تعبئة مدخراتها لتوظيفها في العملية الإنتاجية للمجتمع، استمرت تجربته من عام 1962 إلى سنة 1967 في محافظة الدهليقية بمصر. يعد أول بنك إسلامي للتنمية المحلية يقوم بتجميع المدخرات من صغار الفلاحين والعمال في أماكن تواجدهم في الريف وبمبالغ صغيرة وبطرق ووسائل تنسجم ومستوى وعيهم وثقافتهم واستثمارها في مشاريع داخل هذه القرى. وخلال السنوات الأربع التي نشط فيها شهدت تطورا ونموا وانتشارا متسارعا وتضاعف الادخار في البنك ليرتفع العدد من 40944 عام 1963 إلى 1328375 عام 1967 اذ بلغت فروع البنك 53 فرعا، ليتوقف عن النشاط لأسباب سياسية. قام البنك على عدم التعامل بالفوائد وركز نشاطه على التجارة من خلال شراء السلع وبيعها بسعر أقل من القطاع الخاص، وتقديم الخدمات الاجتماعية والمتمثلة في القروض الحسنة والتي كانت تركز خاصة على الإنفاق في سبيل مساعدة المحتاجين وصرف النفقات التي حكمت بها المحاكم لمستحقيها من الآباء

1-الشميري احمد بن عبد الرحمن، وفاء بنت ناصر المسيرك، ريادة الأعمال، مرجع سابق،ص57

والأمهات والزوجات وتحصيل الزكاة وتوزيعها على المستحقين 1.

تعد هذه التجربة مشابهة لتجربة محمد يونس حيث لقيت قبولا في المجتمع المصري كونها تبتعد عن الربا ولا تقدم الإقراض بفائدة. ما أعطى للمشروع أثرا إيجابيا كونه ساهم في تحويل الكثير من العاطلين عن العمل إلى منتجين وأصحاب أعمال وتحويلهم إلى أشخاص إيجابيين ومنتجين بدلا من أن يكون عالة على المجتمع. يتكون البنك من ثلاثة أنواع من الحسابات ونوعين من القروض أحدهما حساب الادخار حيث لا يدفع البنك فائدة عن الودائع في هذا الحساب، وآخر حساب الاستثمار حيث يشارك المودعون في هذا الحساب البنك في عائد استثماراته تبعا لحجم الوديعة ومدتها وصندوق الخدمة الاجتماعية. تتكون حصيلة هذا الصندوق من التبرعات التي يقدمها الأفراد طوعية للبنك حيث تستخدم حصيلة هذا الصندوق كتأمين ضد الكوارث التي قد تصيب المودعين.

في حين القروض تكون إما قروض غير استثمارية حيث يرد المقترض أصل المبلغ دون أي فوائد ويقدم البنك هذه القروض لاستخدامات المدخرين، أو قروض استثمارية وتسمى أيضا قروضا بالمشاركة وهي التي يشارك البنك المستثمر بها في رأس المال. وبشكل عام فإن الضمان الشخصي يكاد يكون هو الضمان الوحيد الذي يطلبه البنك للحصول على تلك الأنواع من القروض، ويشترط أن يكون استثمار الودائع في نفس المنطقة المحلية تحت سمع وبصر الأهالي. تقوم فلسفة البنك على خاصيتين أساسيتين: - أن أي نموذج تنموي لا بد أن يكون مستمدا من التركيب الأصلي للمجتمع ومشتقا منه، وأن يكون على بصيرة ووضوح في أهدافه ووعي عميق في نفس الوقت بخصائص الواقع، وأن تكون في يديه الأدوات التي يستطيع بها أن يحرك الواقع لصالحه بطريقة مجدية ومؤثرة في المجتمع.

1-هنداوي منير إبراهيم، إدارة الأسواق والمنشآت المالية، منشأة المصارف، مصر 1999، ص245

- أن الدين يعتبر عاملاً حاسماً ومحددًا للسلوك، ومن ثم لا ينبغي أن نغفل أثره بالنسبة لجميع أوجه النشاط والمشروعات، وأن النقود سلاح مهم وخطير في نفس الوقت في علاقته بالسلوك، فهي القنطرة الموصلة بين الحاجات والرغبات من ناحية، وبين السلع من ناحية أخرى، أو بين الحياة الكريمة ووسائلها<sup>1</sup>.

#### 8-4 حركة الخدمة فتح الله غولن

هي حركة مدنية إسلامية وطنية واجتماعية بقيادة الداعية التركي فتح الله غولن ظهرت في تركيا عام 1966 تنشط في مجال التربية والتعليم عبر إدارتها لمدارس وجامعات في أكثر من 180 دولة، يديرها أتباع الحركة والتي بلغت 3000 مدرسة و30 جامعة، كما تدير استثمارات في مجال الإعلام والأعمال والعيادات الطبية. كان يؤمن وينادي بفكرة خلق جسور بين العالم الإسلامي والغرب ومع دمج المبتكرات العلمية والتكنولوجية في المجتمع المسلم المعاصر. كما أكد على أهمية بناء الإنسان وإعداده تربوياً وفكرياً من خلال ثلاث غايات كبرى هي محاربة الفقر والجهل والصراع والتي تتحقق عبر ابتكار خدمات التعليم النوعي والإعلام الواعي من خلال الاهتمام بدور النشر والصحف والمجلات والمهرجانات الثقافية والأنشطة الاقتصادية ومن خلال تشجيع الناس ومساعدتهم على اكتساب خبرات، كما ركز على استقلالية هذه النشاطات واعتمادها على العطاء الذاتي والعمل التطوعي. وروّج إلى ضرورة تمويل المشروعات الخدمية بروح العطاء والخدمة، فبدأ منذ الأيام الأولى لحركته في حثّ الناس من مختلف طبقات المجتمع التركي على الخدمة التطوعية والمساهمة المالية من أجل تعليم الشباب تعليماً صحيحاً في مدارس عالية الجودة ما يخلق مجتمعاً أفضل. ومع بداية السبعينيات شرع محبو غولن في تشكيل جماعات تقوم على تعاليمه المستنبطة من فكر النورسي والتي شكلت حركة غولن وستكون تبرعاتها الممول الرئيسي للمشاريع

1- النجار الأحمد عبد العزيز، محمد سمير إبراهيم، 100 سؤال و100 جواب حول البنوك الإسلامية، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ط2، مصر

المستلهمة من أفكاره. حيث كان يشجّع على الاستثمار في المدارس الثانوية النخبوية والجمع بين الأخلاق الإسلامية والمعرفة الدنيوية، كما كان العاملون في تلك المدارس ينضمون إلى الشبكة التعليمية للفضيلة القائمة على الخدمة التطوعية التي دعا لها غولن . وفي مجال النشر والإعلام قامت مجموعة من المعلمين عام 1979 بتأسيس مؤسسة المعلمين وشرعت بنشر دورية شهرية باسم الينبوع والتي صارت الدورية الأعلى مبيعاً في تركيا. وفي عام 1996 أسس عدد من رجال الأعمال بدعم من كولن بنك آسيا وهو بنك بدون فوائد يُعد حالياً من أكبر البنوك التشاركية في تركيا.

#### 8-5 مؤسسة بيل وملندا كيتس: Bill Melinda Gates

نشأت عام 1997 بأمريكا مؤسسها "بيل ومليندا كيتس" و "ارين بفت" بأصول وقيمة بلغت 46.5 بليون دولار، عملت منذ نشأتها على السعي نحو تعزيز الرعاية الصحية والحد من الفقر وزيادة فرص التعليم ، كما تعمل على منح الدعم لمؤسسات تهتم بتطوير القطاع الاجتماعي والتعليم من خلال تمويل المنح الدراسية عبر العالم وتزويد المكتبات في الدول الفقيرة بأجهزة الكمبيوتر والإنترنت من خلال مبادرة المكتبة العالمية والذي يدعم تحول المكتبات كمحركات للتنمية ما جعلها تعتبر من أكبر المؤسسات العالمية الخيرية ذات الطابع الاستثماري التنموي.

إن ما يمكن استخلاصه من المؤشرات الإحصائية المتوفرة والنماذج الواقعية أن المقاولة الاجتماعية أصبحت قطاعاً تنموياً ورافداً مهماً من روافد التنمية الشاملة في المجالات المختلفة لما يتوفر عليه من موارد مالية وأرباح تساهم في استمراره وزيادة انتشاره، ليجعل من الفرد المستفيد فرداً منتجاً ومبدعاً ومساهماً في تحقيق التنمية الاجتماعية المحلية وفاعلاً في تحقيق الرفاه بعيداً عن روح الاتكال والتواكل وانتظار ما تجود به أياد السخاء والكرم. ولتصبح بذلك مؤسسات المقاولة الاجتماعية آلية لتحفيز الأفراد على الانضمام لمنظومة الإنتاج والمساهمة في تحقيق المصالح العامة للمجتمع ومحفزاً على الإبداع والسعي للبحث عن حلول للمشكلات الاجتماعية، ويجعل منها منظومة تربية تساعد في تكوين فرد

إيجابي يشارك في تحقيق قيمة مضافة وتغيّر ايجابي، كما تجعل منه عضوا نشيطا في قلب التنمية الاجتماعية. إذ وعلى الرغم مما أصبحت تمثله مؤسسات المقاولة الاجتماعية في اقتصاديات العالم وكونها شريكا تنمويا مهما، إلا أنها لا زالت تعاني من قصور في النظرة الاستشرافية وغياب رؤية تنموية في المجتمعات العربية لهذه المؤسسات، حيث لازالت تتدرج ضمن مفاهيم الإيثار و الإحسان والتضامن والإنفاق على شكل جمعيات خيرية بدافع عمل الخير والإحسان وغالبا ما تكون مرتبطة بظروف ومناسبات غير مهيكلة على عكس ما هو مسجل في المجتمعات الغربية حيث تتأسس على نظرة استشرافية تنموية. كما أضحت تقوم على برامج ومخططات ورؤية منهجية دقيقة وواضحة. هذا إضافة إلى مشاكل غياب التنظيم التشريعي والإداري المحفز، كون الأنظمة التشريعية في الوطن العربي غير مشجعة ومعرّقة أحيانا و بعيدة عن دعم مؤسسات الأعمال الاجتماعية التضامنية من حيث العراقيل الإدارية، ففي الوقت الذي يمكن إنشاء شركة ذات أهداف اجتماعية تضامنية في الولايات المتحدة في مدة لا تتجاوز اليوم الواحد، يستغرق الأمر في الدول العربية لمدة قد تتجاوز الأشهر ، هذا بالإضافة إلى رغبة السلطات في السيطرة على القطاع ومراقبته عبر التسيير الإداري لموضوع الهياكل التضامنية الاجتماعية وهو ما يزيد من تردد المستثمرين في دعم المشاريع الاجتماعية التضامنية الجديدة.

## المبحث الثاني: الثقافة والمقاولة الاجتماعية حقول متباينة وعلاقات متداخلة

## تمهيد

يحثل موضوع الثقافة في مفهومها وفي علاقاتها مع الحقول المعرفية الأخرى مساحة شاسعة من النقاش السوسيولوجي منذ فترة زمنية بعيدة، كونها تتمظهر وفق تشابكات وتفاعلات مختلفة مع بقية الأنساق الأخرى لتكوين بنية اجتماعية متكاملة. ما جعلها تُشكل مصدرا مهما لفهم الكثير من الاتجاهات السلوكية وتفسير العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية ومنها مجال المقاولانية في شقها التضامني الاجتماعي، وكونها (الثقافة) تعتبر أداة في تشكيل وتوجيه سلوك ومواقف أفراد المجتمع وفي بلورة وعيهم وتعزيز الشعور الاجتماعي والمشاركة في الحياة العامة ونقل الفرد من حالته الفردية إلى طابعه الاجتماعي من خلال مساعدتهم على اكتشاف قدراتهم و اتجاهاتهم واكتساب مهارات قيادية وتنظيمية في اكتشاف الفرص واستغلالها كما تعتبر دافعا ومحفزا محوريا نحو خلق الفرص والمبادرات بمختلف أشكالها وغاياتها . وهو ما سنحاول البحث فيه من خلال هذا المبحث عبر مناقشة العلاقة بين الثقافة في مفهومها الشمولي و المقاولانية في شكلها الاجتماعي كظاهرة سوسيو اقتصادية وفق مقارنة كلية، على أن نركز على الدين باعتباره ميدانا ثقافيا جزئيا "وشبكة متكاملة من النماذج الفكرية والمسلكية التي تؤطر حياة من ينطوي تحت لوائه،يمثل ثقافة بوصفه نمطا من المعرفة يفرض على المؤمنين به سلسلة من المعتقدات ذات الطابع الروحاني تلعب دور الموجه بالنسبة إلى أعمال الفرد في الإطار الاجتماعي والإنساني "1 على أن يتم التركيز على المنهج الصوفي بكونه يمثل أحد مستويات التدين التي تسعى إلى تجسيد معالم وقيم الدين الإسلامي.

1- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 2006، ص138

## الثقافة

تُعد الثقافة مصطلحا متعدد المفاهيم والدلالات، كما أنه متعددة المصادر والمكونات تنبثق من تفاعل الكثير من العناصر، نجدها تمثل عند إدوارد تايلور (Edward Taylor) "الكل المركب من المعارف والعقائد والفن والقانون والأخلاق والتقاليد والأعراف وكل ما أكتسبه الإنسان بوصفه عضوا من المجتمع ما"1 . وهي عند مالك بن نبي تمثل "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"2

## الثقافة المقاولانية :

يرتبط مفهوم ثقافة المقاولة بمفهوم المقاولة كونه مصطلحا "يشير إلى مجموعة القيم والمعتقدات والتوقعات المشتركة التي تعمل كدليل موجه للفرد ينتج من خلالها معايير تؤثر بشكل كبير على سلوك الأفراد بإيجاد أفكار مبتكرة وإبداع في مجال القطاعات ومحاولة تطبيقها في مجال الاستثمار في رؤوس الأموال"3. كما يُشير المفهوم إلى مجموعة القيم والرموز والمثل العليا والمعتقدات والافتراضات الموجهة والمشكلة للإدراك والتقدير والسلوك والمساعدة على التعامل مع مختلف الظواهر والمتغيرات تمثل روح المقاولة والسبب الرئيسي والفاعل في إنشائها، ما يجعل من الثقافة المقاولانية المحرك الرئيسي لإنشاء المؤسسة. تتعدد مصادر تشكيلها فمنها ما يرتبط بالمقومات الشخصية للفرد مثل الحاجة إلى الإنجاز، الثقة بالنفس والرؤيا المستقبلية وكذا التضحية والمثابرة إضافة إلى المهارات التفاعلية والإنسانية، والمهارات الفكرية والتحليلية والتقنية ومنها المقومات البيئية مثل المحيط الاجتماعي كالأُسرة، الدين، العادات والتقاليد والمؤسسات التعليمية.

1- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مرجع سابق، ص30

2- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر العربي، ط4، لبنان، 1974، ص95

3- بروس بن الدين، هدار لحسن، دور الثقافة التنظيمية في إدارة التغيير في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد01، جامعة بسكرة، جوان 2007، بسكرة ص55

## 2-1 الثقافة والمقاولة الاجتماعية

أصبح موضوع المقاولاتية بشكله العام يُثير الكثير من الجدل لكونها عملية معقدة قائمة على تفاعل وتداخل العديد من العوامل والمتغيرات ذات المصادر المختلفة، ومن المفاهيم الأكثر تداولاً في الحقل الاقتصادي إلا أن علماء الاجتماع حاولوا دراسة وتقديم مقاربات تتجاوز البعد التنظيمي الاقتصادي والبحث في مقاربات وبدائل نظرية للمقارنة القائمة التي تنطلق من فكرة أن المقاولة بنية اقتصادية إلى كونها ظاهرة اجتماعية تجسد الثقافة الاجتماعية وتعكسها. ما جعل من المقاولة ظاهرة سوسيو ثقافية اقتصادية معقدة، وموضوعاً متعدد المداخل والمقاربات والمجالات العلمية المتخصصة ومنها مجال علم الاجتماع، لكون قيم واتجاهات وأفكار الفرد المنشئ للمؤسسة هو نتاج لمؤثرات متعلقة بالوسط الذي ينتمي إليه، ومقومات بيئته الفعلية التي يتشكل فيها كالمحيط الاجتماعي الأسري والثقافي والقيم والعادات والمعتقدات الدينية التي يتبناها، وأن ممارسة الأنشطة المختلفة يعد انعكاساً للمرجعية الثقافية بأبعادها وتأثيراتها التي تطبع أنماط التفكير والممارسة لأفراد المجتمع لتشكل لدى الأفراد نوعاً من التآلف مع نشاط معين عبر تأثير عوامل الثقافة المختلفة ما يجعل من "ثقافة ريادة الأعمال لا تأتي من فراغ ولكن تتبع من المجتمع الذي تنشأ فيه" 1

إن الكثير من الأدبيات السوسولوجية المهمة بموضوع المقاولة تؤكد على أهمية المحددات والدوافع والمحفزات ذات المصدر السوسيو ثقافي في تشكيل السلوك المقاولاتي، ما يؤسس إلى أن معالجة موضوع المقاولة لا يمكن اختزاله وفق مقارنة ومدخل وحيد أو اعتماد تصور يتمركز حول البعد الاقتصادي

1-الشميري احمد بن عبد الرحمن، وفاء بنت ناصر المسيرك، ريادة الأعمال، نشر وتوزيع شركة العبيكان، ط1 الرياض، 2019، ص54

المادي بل يجب الخوض في معالجة المقاولة عبر المداخل والمقاربات الأخرى ومنها المقاربة الثقافية التي تعد من أحدث النظريات المفسرة للسلوك المقاولاتي خاصة بعد عجز المقاربات الأخرى في تفسير العوامل الحقيقية في نهوض وتطور المجتمع الياباني على مثيلاتها الأوروبية والأمريكية كونها حققت نهضتها على أسس ثقافية. هذا العجز في المقاربة الاقتصادية كان نتيجة تجاهل أو عدم إدراك الكثير من العناصر أو المداخل المساهمة في تفسير وفهم السلوك المقاولاتي وفي تحفيز النشاط المبدع وتشكيل تراكمات تؤسس لتصورات تتعلق بالمبادرة لإنشاء مشاريع وابتكارها. منها المدخل الثقافي بمفهومه الشمولي لكونها الإطار المرجعي لكل مظاهر السلوك ونمط معيشة الناس، وأن الثقافة بما تتوفر عليه من مؤثرات ذات قوة رمزية في تشكيل تراكم وتجربة إنسانية تمثل رأسمال يساهم في تشكيل قوى دافعة ومحفزة لبناء ميولات واهتمامات ومشاريع مهنية معينة منها الاتجاه نحو المقاولالية. حيث تبرز استعدادات الفرد وميولاته واتجاهاته المقاولالية نتيجة تأثرها بالمحيط الاجتماعي الثقافي الذي نشأ فيه الفرد. ما يشكل لديه نوعا من التراكم المعرفي يؤسس لنوع من الثقافة الفرعية يجعل من الفرد يشعر بنوع من القرب والميل العاطفي نحو نشاط معين ومنه النشاط المقاولاتي "حيث تؤدي الثقافة بمجموع مكوناتها دورا مهما وحاسما في نمو ريادة الأعمال، كما أن سيادة مفهوم الثقافة الريادية يعد اتجاها اجتماعيا إيجابيا نحو المغامرة الشخصية ويساعد النشاط الريادي وبدعمه وهو ما يؤكد عليه Batman1997 في أن الاقتصاديات التي شهدت نموا وازدهارا في أواخر القرن العشرين تشترك في تمتعها بثقافة الأعمال، وهي الثقافة التي يمكن أن توصف بالثقافة الريادية والتي تعد من العوامل التي تحدد اتجاهات الأفراد نحو مبادرات ريادة الأعمال"<sup>1</sup>

1-الشميري احمد بن عبد الرحمن، وفاء بنت ناصر المسيرك، ريادة الأعمال، مرجع سابق،ص56

إن التصور الثقافي بأبعاده المختلفة يرتكز على مركزية البعد القيمي والأخلاقي إضافة إلى ما تحمله الثقافة من أبعاد وعادات وتقاليد وأنماط تربوية أسرية محيطية في بلورة وتشكيل الوعي المقاولاتي القائم على المبادرة الإبداعية "إذ تتسع العلاقة بين الثقافة والمبادرة لتشمل ثنائية افتراضية تؤكد أن الثقافة هي المحدد الرئيسي لنمط النشاط البشري سواء كان هذا النشاط اقتصاديا اجتماعيا وغيره"<sup>1</sup>. والثقافة بتشابك أبعادها المختلفة من العادات، التقاليد، الأعراف، القيم، المواقف والاتجاهات، الرموز والإيديولوجيات والنظم الاجتماعية وكذا التراث بأنواعه والشعائر، الطقوس، اللغة والطرائق الشعبية وغيرها من المنتجات العقلية وكل ما يصنعه الإنسان وبما يحمله من تراكمات فكرية ومعرفية وأفكار وشبكة التفاعلات المجتمعية المساهمة في تنشئة الفرد داخل وسط اجتماعي معين، والتي تشكل تجربة شخصية أو رأسمال يساهم في تشكيل قوى دافعة ومحفزة لبناء ميولات واهتمامات ومشاريع معينة في مختلف مجالات الحياة. تتشكل وتتبلور لدى الفرد تدريجيا في إطار نموه الاجتماعي والمعرفي والنفسي ضمن تفاعله في المواقف الاجتماعية المختلفة لترتبط بنمط الحياة الكلي للمجتمع تشكل بهذا دافع ومحفز للمبادرات وخلق الفرص كونه " لا يمكن أن يُقام بناء اجتماعي مستقر ومؤسسات اجتماعية فاعلة دونما الأخذ بعين الاعتبار للعادات الإيجابية والتقاليد والأخلاق الداعمة للمبادرة "<sup>2</sup>. وأن ثقافة السعي والمبادرة بالتالي تعكس مجموعة من الخصائص الذاتية والمجتمعية يتعلمها الفرد من وسائط المجتمع المختلفة. كل ذلك جعل من العوامل الثقافية باعتبارها وليدة الظروف والخصائص والسياق المجتمعي من المنظور السوسولوجي بمثابة موجّهات عامة للسلوك الفردي والجماعي يتأثر بها الأفراد على نحو مباشر وضمني، وفي تكوين شخصية الفرد وفي ما يكتسبه من معارف وفي تحديد اتجاهات وقيم الأفراد.

1- الدويبي بشير عبد السلام، ثقافة المبادرة توجهات اجتماعية سلوكية، المؤتمر السعودي الدولي لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض، السعودية، سبتمبر، 2014

2- فرانسيس فوكوياما، الثقة، ترجمة معين الإمام، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، قطر، 2015، ص112

إن البحث في المقاربة الثقافية للمقاولة يحيلنا إلى الإشارة لأبحاث الكثير من العلماء الذين حاولوا تحليل تلك العلاقة بين المقاولة كممارسة وإبداع والثقافة بمكوناتها المختلفة. فنجد ماكس فيبر مثلاً حاول تحليل العلاقة بين العوامل الدينية وبما تحمله من قواعد أخلاقية قيمية وبما ترسمه من سلوك ضمن إطار ثقافي ودورها في بروز الرأسمالية، كون القيم الدينية البروتستانتية تحمل قيماً أخلاقية تدعو إلى العمل والجد والتعشق وغيرها من السلوكات والمواصفات التي تحقق التطور والتنمية ، إذ أسس لفكرته انطلاقاً من دلائل ومقارنات ومؤشرات إحصائية تفسر تلك المساحات الموجودة بين المجتمعات الأوروبية انطلاقاً من التباينات العقائدية بينها ليستخلص في النهاية أن المقاولة والإبداع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتأثير القيم الثقافية الدينية كموارد ودوافع أو محفزات ذاتية في تكوين الاتجاه السلوكي نحو المقاولة لدى الفرد المنشأ والمبدع لفكرة جديدة بما تحمله من مخاطرة . وهنا نجد "إن البعد الثقافي بمكوناته المختلفة يعد الوعاء الذي تصب فيه العادات المقاولة، فنشاط المقاولين في مجتمع ما محفز وموجه بالثقافة السائدة فيه" 1 .و أن نجاح الفكرة المقاولة ذات الطابع الإبداعي حسب فيبر يتطلب شخصية كاريزمية فاعلة ذات تأثير ما يدل على أن فكرة الإبداع والمبادرة تعد فكرة محورية في فهم السلوك أو الميل المقاولة. وهو ما يجعل حقل المقاولة من أهم القطاعات التي تتأثر بالواقع الاجتماعي وتتمظهر فيه المؤشرات السوسولوجية لمجتمع معين كونها "عبارة عن وسط اجتماعي يتأثر بما يجري في محيطه من أحداث ووقائع، و يتغير بتغير المعطيات التي تدخل في صميمه ككيان فريد ومتميز .و يكفي للاقتناع بذلك أن ننظر إلى ما يحدث عندما تنتقل ملكية المقاولة من صاحبها إلى ابنه الأكبر أو إلى ورثته، كما هو الحال بالنسبة للعديد من الشركات، حيث تظهر حقائق جديدة في واقع المقاولة"2

1-ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي عقلة، مرجع سابق، ص39

2-احمد عبادة مديحة، علم الاجتماع الصناعي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2010، ص7

وهو نفس ما توصلت إليه "بريجيت بيرجر" (Brigitte Berger) في أن العوامل السوسيو ثقافية المميزة لمجتمع ما تعتبر المحددات الأساسية في نجاح أو فشل الممارسة المقاولائية لكون المتغيرات الاجتماعية والثقافية والقيمية والأخلاقية وبما يحمله المجتمع من قيم ثقافية تتفاعل لتشكيل السلوك الإنساني والذي يشكل الفرد من خلاله حالة ذهنية وروحا مقاولائية. وتضيف بيرجر " إن اكتساب المقاول لصفة المنظم وروح المبادرة والمخاطرة ليست مرهونة بنوعية التعليم فقط وإنما مرهونة بعوامل أخرى تتمثل في الخبرة العملية المكتسبة وفي النظام الاجتماعي العام المشجع أو المقيد للنشاط والمبادرات، وفي قيم ومعايير اكتساب المكانة الاجتماعية في المجتمع الكامنة في ثقافة المجتمع ذاته المشجعة أو غير المشجعة

للإنجاز" 1

كما يعد "جيرت هوفستيد" (Hofstede Geert) من الباحثين الذين بحثوا عن العوامل الجديدة والمؤثرة في التطور التي أغفلتها الدراسات السابقة، وهي العلاقة بين الثقافة والقيم أو المعايير والمعتقدات من جهة والمقاولة كتنظيم من جهة ثانية، والكشف عن الدور الذي تشغله القيم والعادات في سلوك الأطر التابعة لشركة IBM ذات الفروع المنتشرة في العالم، مؤكدا في نهاية المطاف أن الثقافة الكونية للمقاولة غير قادرة على إلغاء مقومات الثقافة الوطنية، بل مطالبة بإدماجها وتوظيفها لتحسين مستوى الأداء والارتقاء بمناخ الشغل.

وفي نفس الاتجاه توصل كل من (Assala 2007 و Tounès) في دراسة لهما حول العوامل الثقافية المؤثرة في المقاولين الجزائريين إلى أن البيئة الثقافية كان لها دور في فهم السلوك المقاولائي في الجزائر وأن ظهور المقاولين هو مصبوغ بالتأثير الثقافي الخاص بالمجتمع الجزائري، وأن هناك قيما ثقافية قوية تصنع السلوكات التسييرية للمقاول الجزائري.

1- بريجيت بيرجير، ثقافة تنظيم العمل، ترجمة محمد مصطفى غنيم، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، 1995، ص 8

كما توصل (بورقبيبة 2007) في دراسة له إلى تأكيد العلاقة بين الثقافة الوطنية والرغبة في الاتجاه نحو المقاولة، ومدى تأثير العوامل الثقافية على السلوك والروح المقاولة. ما يؤكد أن عملية إنشاء وإبتكار مؤسسة جديدة عملية مركبة ومعقدة تتداخل في فهمها تفاعل العديد من العوامل والدوافع والمصادر والحوافز ذات المرجعيات المختلفة. وأن "عملية إنشاء مؤسسة جديدة هي ظاهرة تتشكل عبر التأثير والتفاعل المتبادل للعديد من العوامل المختلفة منها الأفكار المستنبطة من القيم الدينية الثقافية والتقاليد وغيرها"<sup>1</sup>

إن الكثير من الدراسات (Wiklund-Davidsson 1997)، (Shapiro A et Sokol 1982)، (Jackson J et Reynolds G 1994)، (HERNANDEZ, 1995)، (Hayton, George, Zahra 2002)، (Émile-Michel (Olid Piriou 2006) (محمد بشير 2007)، (Tounès و Assala 2007)، (بورقبيبة 2007)، (ماكس فيبر 1922) (Brigitte Berger 1995) (renard sain Saulieu 1990)، (HOFSTEDE GEERT 1994)، (Gary TRIBOU 1995)، (Régie moreau 2004)، (بدرابي سفيان 2014)، (أحمد هني 1993)، (DRUKER peter 1985)، (PHILIPPE D'IRIBARNE 1997)، أكدت على الطابع الثقافي لفكرة المقاولة بمختلف أشكالها، وأن تكوين وبلورة تصور مفاهيمي وبناء اتجاهات وميول ذات قبول وإيجابية نحو فكرة المقاولة تتشكل بطريقة تدريجية بالنظر للنمو السوسيوولوجي والمعرفي للفرد وتحت تأثير مختلف الفضاءات أو المصادر التي تنمو وتتشكل فيها معالم شخصية الفرد عبر تفاعلاته المختلفة أثناء تنشئته الاجتماعية وأثناء تكوين أناه الذاتي والتي تشكل لديه ما يمكن

1 -Alain Fayolle, Entrepreneuriat, Dunod, Paris, 2004, p 29.

تسميته برأس المال والذي يصبح يشكل لديه موارد وتراكمات ذات مصادر ومحددات مختلفة تساهم في بروز فكرة المشروع المقاولاتي. وأن المقاولاتية بأشكالها المختلفة موقف يرتبط في اساسه بالمجتمع وظاهرة لا يمكن فهمها بمعزل عن التشابكات الاجتماعية والثقافية المختلفة لكونها "حدثا اجتماعيا بحثا " على حد تعبير الأنثروبولوجي الفرنسي Marcel mauss. حيث أن " الثقافة التي تشجع السلوكات الريادية تساعد على الترويج لإمكانية حدوث تغيرات و ابتكارات جذرية في المجتمع وفي المقابل فان الثقافات التي تدعم مفاهيم التقليد والانصياع والرقابة والسيطرة على الأحداث المستقبلية لا نتوقع أن تنتشر منها سلوكات التحمل والمخاطرة والإبداع، وبوضوح أكثر تتطلب الثقافة الريادية تشجيع ممارسة ريادة الأعمال وتحفيز المجتمع عبر تعلم مبادئ ريادة الأعمال" 1 .

ما يؤسس على أن تكوين وبناء تصور مفاهيمي فكري وحتى قيمي أخلاقي لفكرة المقاولة تتشكل تدريجيا تحت تأثير مختلف الفضاءات أو المصادر المختلفة .و أن موضوع المقاولة أضحى يشكل مادة للنقاش وموضوعا للكثير من الدراسات التي تناولته من مقاربات واتجاهات نظرية عديدة ذات مداخل اقتصادية سوسيولوجية وثقافية بل وحتى ببيكولوجية بهدف تحليل وفهم وتفسير هذه الظاهرة المعقدة ،كونها لم تعد ذات بعد اقتصادي مادي هيكلية وتنظيمي بل صارت تستمد مرجعيتها عبر تفاعل مجموعة عوامل منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو سوسيو ثقافي كطبيعة التقاليد والاتجاهات والقيم الثقافية والدينية الاجتماعية السائدة، لكون المقاول المبدع للفكرة هو في النهاية كائن اجتماعي يتفاعل يؤثر ويتأثر بمعطيات مجتمعه. وأن ما يمكن استخلاصه مما سبق أن الابتكار والمبادرة بكل أشكالها عملية معقدة ومركبة تتداخل فيها الكثير من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية كمنطلق لتأسيس الكثير من التشابكات والترابطات

1-الشميري احمد بن عبد الرحمن، وفاء بنت ناصر المسيرك، ريادة الأعمال، مرجع سابق،ص57

والجهود التي تسعى لإشباع الحاجات البشرية "ذلك لأن كثيرا من تصرفاتنا اليومية تستظل وتستهدى بمعايير ثقافية هذا ما نلاحظه في سياق تفاعلاتنا الاجتماعية اليومية"<sup>1</sup>. حيث لا يخلو أي عمل أو نشاط من مرجعيات ثقافية واجتماعية.

إن الدراسة الدقيقة لموضوع المقاولة تكشف عن تعدد في مفاهيمها، كما يكشف عن تعدد مجالاتها وأهدافها وغاياتها وحتى وسائلها وآلياتها. إذ ظهرت مفاهيم وأشكال متعددة للمقاولة تستند على الممارسة المادية، كما برزت أشكالا أخرى من المقاولة تستند على البعد الإنساني والتضامني ضمن فضاء ثقافي اجتماعي وكمارسة عرفتها المجتمعات التقليدية منذ القديم كالمقاولة الاجتماعية والتي تعد شكلا من أشكال المقاولة لا يمكن فهمها بعيدا عن المقاربة الثقافية ضمن تفاعل للكثير من الرساميل الاجتماعي، الثقافي، الرمزي والروحي وغيرها.

إن المقاولة الاجتماعية كآلية تنموية وضمن سياق انثروبولوجي ثقافي أصبحت تشكل اهتماما متزايدا في أدبيات العديد من التخصصات العلمية والمقاربات النظرية. إذ ينظر علماء الاجتماع للبنيات الأهلية والمنظمات غير الهادفة للربح في اطار التطور والتغير الاجتماعي وضمن مفهوم رأس المال بأشكاله المختلفة ( الاجتماعي، الثقافي، الديني، الروحي، الرمزي، اضافة الى التقاليد والأعراف والطقوس وغيرها) ودوره في تحقيق تحولات اجتماعية (روبرت بوتنام، بيير بورديو، فرانسيس فوكوياما، صمويل هنتغتون، الكسيس دي توكفيل، جيمس كولمان، باتريك كيللي)، في حين يشير علماء الاقتصاد لأهمية العمل الاجتماعي التضامني في تحقيق التنمية كونه قطاعا صاعدا وأحد البدائل التنموية المتوفرة أصبح يسمى

القطاع الثالث إضافة للقطاعين العام والخاص (Harold wolozin 1985)، (الينور براون Eleanor

1997 Braun)، (كاكولي روي Kako li Roy وسوزان زيميك Suzan zymic 2000) (Jeremy rifikin 1995)

1- غدنز أنتوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، 2005، ص84

كما يشير علماء الدين إلى البعد الديني لموضوع المقاولة الاجتماعية في إطار البر والإحسان والأمر بالمعروف وعمل الخير والسعي إليه.

في حين ينظر المختصون في الأنثروبولوجيا للموضوع بكونه ممارسة إنسانية ارتبطت بالوجود الإنساني عبر الحضارات القديمة شهدت بمرور الوقت تحولات كبيرة في المفهوم والغايات والوسائل. والمقاولة الاجتماعية بهذا الشكل أضحت مفهوماً يشمل كل ميادين الحياة التعليمية، الثقافية، الاجتماعية، الصحية والبيئية وغيرها. ما يؤسس للقول إلى أن كل فكرة تقوم على إبداع قيم مضافة داخل النسق الاجتماعي يمكن أن يصطلح عليها مقاولاة والتي تسعى من أجل بناء شكل جديد للتنمية يرتكز على التاريخ الإنساني للمبادرات والنشاطات غير الربحية التي مورست في المجتمعات ومنها المجتمع الجزائري الذي مارسها عبر العديد من النماذج البسيطة الهادفة إلى تقديم إضافة وحل مشاكل وإشباع حاجات، ولعل نموذج التوزيعة مثلاً كهيئة تمارس نشاطات تنظيمية لشؤون القرية الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وكذا نظام الكتاتيب الخاص بتعليم الأطفال اللغة العربية والقرآن والحديث مع التكفل بطالبي العلم في جوانب الإعاشة وتخصيص نصيب من المال لهؤلاء. كما جسدت أراضي الوقف والحبوس نموذجاً للمقاولة الاجتماعية وكيف كانت تستغل في توزيع مداخنها على الفقراء والمساكين، إضافة إلى المحاكم القضائية التي كانت تقدم خدمات قضائية بالمجان وبأخف الإجراءات، وكلها نماذج أسست لمقاولة ذات طابع اجتماعي قدمت خدمات للسكان المحليين ضمن سياق اجتماعي محلي ثقافي، ومع حجم التحولات التي عرفها المجتمع الإنساني برزت مقاولات اجتماعية بشكل جديد تساهم في التغيير المجتمعي تهتم بقضايا ترتبط بالبيئة والتعليم والتكنولوجيا وغيرها.

كما أن البحث في المقاربة الثقافية للمقاولة الاجتماعية تؤكد الكثير من الدراسات والأبحاث التي حاولت تحليل وفهم وتفسير تلك العلاقة، والتي ترى أن المقاولة الاجتماعية بأشكالها ومفاهيمها المختلفة تعد مؤشراً من مؤشرات رأس المال الاجتماعي والذي يتضمن مجموعة من التراكمات الثقافية ومعايير المجتمع

وقيمه، وعلى دوره المحوري في تعزيز الثقة واحترام التقاليد بين الأفراد وعلى تهيئة البيئة الصالحة لتحقيق مأسسة العمل الجمعي عبر إحياء الشبكات الاجتماعية المدنية، ومن أبرز هذه الدراسات نشير إلى دراسة كل من روبرت بوتنام ، فرانسيس فوكوياما و دي توكفيل.

حيث توصل روبرت بوتنام في دراسة له عند المقارنة بين شمال وجنوب إيطاليا 1993 "إلى أن من بين العوامل التي جعلت الشمال الإيطالي يتفوق سياسيا واقتصاديا على الجنوب هو امتلاكه لتقاليد عريقة من حيث المشاركة المدنية والتي تجسدت في المستويات العالية من المشاركة في النوادي والجمعيات التطوعية وأنماط التعاون بين افراد المجتمع، و التي ساهمت في تكوين وتبلور مجموعة من القيم الإيجابية على غرار تشجيع الأفراد على المشاركة والسعي نحو شؤون المجتمع والتي شكلت تدريجيا رأس المال الاجتماعي والذي صنفه إلى صنفين أحدهما يتكون بين مجموعة تشترك في رابطة دينية أو عرقية واجتماعية حيث يؤدي هذا النوع إلى شيوع عدم الثقة بين أعضائها وباقي المجتمع ، في حين يتكون النوع الثاني من جماعات اجتماعية قوية تتميز بعلاقاتها بالتعقيد والتشعب حيث الانضمام الطوعي فيها لمؤسسات المجتمع المدني يولد نوعا من الثقة المجتمعية تدفع هؤلاء إلى المشاركة في الحياة العامة"<sup>1</sup>.

وهو نفس ما توصل إليه في الدراسة الثانية عن الديمقراطية في أمريكا 2000 والتي حاول من خلالها معرفة سبب انخفاض مؤشرات الديمقراطية والعضوية في التنظيمات المدنية في الولايات المتحدة وتوصل إلى "أن السبب وراء ذلك يعود إلى تراجع معدلات الثقة المجتمعية وهي جوهر رأس المال الاجتماعي الذي يشير حسبه إلى مجموعة العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنمو ضمن شبكة اجتماعية التي تحكمها مجموعة القيم والمعايير والأعراف والمبادئ والتراكمات الثقافية و يتشكل ضمن التفاعلات الأسرية والتشئة الاجتماعية والتنظيمات الجموعية والأبنية الاجتماعية والقيم الدينية التي تضمنت

1-محمد عبد الحميد انجي , دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي - دراسة حالة للجمعيات الأهلية في مصر- سلسلة أبحاث ودراسات, العدد الأول, القاهرة, المركز المصري للحقوق الاقتصادي والاجتماعي 2010م , ص12

فكرة التكافل الاجتماعي، وكلها قيم تمثل موارد تساهم في تكوين الفضائل المدنية بين أعضاء الجماعة ومجموعة من المبادئ المتعلقة بالعمل المشترك والتي تدفع الأفراد للعمل معا" 1

في حين يرى "فرانسيس فوكو ياما" أن رأس المال الاجتماعي بمكوناته المختلفة يساهم في تكوين قيم العمل المشترك بين الأفراد في إطار المجتمع المدني والتي تصبح تشكل فضائل اجتماعية تنتقل ضمن التفاعلات الثقافية بين الأجيال عبر قنوات التنشئة الاجتماعية على شكل تدريجي. وهنا يرى أن الولايات المتحدة امتلكت العديد من البنى الاجتماعية القوية التي ساهمت في تطور وديناميكية المجتمع المدني الأمريكي. كما يؤكد على "أن وجود رأس مال اجتماعي غني ومستوى كبير من الثقة بين الأفراد يوحد ميولا قوية نحو وجود الانتماء إلى المؤسسات الطوعية وإلى نوع من التلاحم والتماسك والتضامن وهو ما يفسر تأسيس وانتماء الأمريكيين بشكل عفوي مندفع لمنظمات اجتماعية تطوعية ذات طابع تكافلي و في مختلف المجالات الاجتماعية" 2، حيث يساهم الأمريكيون بمبالغ كبيرة لصالح المؤسسات الخيرية، ما يعني أن المجتمع المدني ارتبط برأس المال الاجتماعي ونهض بواسطته. وتتمثل أهمية رأس المال الاجتماعي حسب فوكو ياما أنه "يزود البناء الاجتماعي بمفاهيم العمل الجماعي وتطوير الهويات الجماعية ودمج التشكيلات الاجتماعية وتزويد الجماعات بمفاهيم تروج للعمل المدني، كما يمنح الأفراد رصيда من الثقة المتبادلة " 3.

1-محمد عبد الحميد انجي، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي، مرجع سابق، ص 15

1-محمد عبد الحميد انجي، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي، نفس المرجع، ص 19

3-لورانس هاريزون، صمويل هنتغتون، ترجمة شوقي جلال، الثقافات وقيم التقدم، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، مصر، 2009، ص195

باختصار يرى أن حجم ومستوى الانتماء للمنظمات المدنية والتطوعية يرتبط بمستوى الثقة القائمة بين الأفراد والعلاقات والأعراف الاجتماعية التي تشكل في مجملها رأس المال الاجتماعي.

وفي نفس الاتجاه يرى اليكسيس دي توكفيل في كتابه الديمقراطية في الولايات المتحدة (1835) إلى أن الترابط الاجتماعي وميل المواطنين نحو المشاركة في الحياة العامة والتنظيمات الاجتماعية يعود في الأساس إلى قيم رأس المال الاجتماعي التي يحملها الفرد الأمريكي. إذ ربط بين الانضمام للجمعيات التطوعية والبعد الأخلاقي والفكري للشعب الأمريكي وعاداته وقيمه الثقافية تعتبر دوافع ومحفزات للأفراد للانضمام والمشاركة في العمل الجمعي والتطوعي وهو ما يفسر انتشار الجمعيات المدنية التطوعية في الولايات المتحدة بشكل كبير.

إن ما يمكن استخلاصه من خلال هذه الدراسات وغيرها أن المقاولة الاجتماعية كممارسة إنسانية تحمل طابع العمل التطوعي الاجتماعي غير الهادف للربح تعكس قوة وتراكم الرأس المال في شكله الكلي للمجتمع "حيث أن غياب أو عدم ممارسة أنواع العمل الاجتماعي الإنساني يؤدي إلى غياب أو تآكل رأس المال الاجتماعي ليحل محله الاتجاه الفردي والبحث عن المصالح الذاتية. وأن الثقة الاجتماعية والعلاقة التي تتجاوز حدود حساب المصلحة الذاتية هي نواة الرأس المال الاجتماعي ، لكون قوة رأس المال الاجتماعي تولد مجتمعاً مدنياً كثيفاً"<sup>1</sup>. حيث تتجسد مكانة الرساميل كمخزون معرفي ونفسي وتراكم لتجارب مختلفة في قدرتها على تهيئة وتدعيم وتعبئة المناخ الاجتماعي النفسي والوجداني والقيمي للفرد تدريجياً في الانتماء لمثل هذه المنظمات الاجتماعية ذات الطابع التضامني، وكونها (الرساميل) تمثل الإطار الفكري والمنطلق الأخلاقي في تحفيز ودعم الاتجاه نحو الابتكار الاجتماعي.

1- أبو زاهر نادية، رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني، الحوار المتمدن، المحور المجتمع المدني ، العدد 2242، بتاريخ

ومن هنا يمكن القول أن الابتكار والمبادرة الاجتماعية والسعي بكل أشكالها عملية معقدة ومركبة تتداخل فيها الكثير من العوامل البيئية الاجتماعية الثقافية والدينية والأخلاقية كمنطلق رمزي لتأسيس الكثير من التشابكات والترابطات والجهود التي تسعى لإشباع الحاجات البشرية. وأن الدين وبما يتضمنه من قيم رمزية وثقافية وسلطة وروحية وبما يحمله من بعد رمزي وقيم و نظام متكامل من المعتقدات والمعاملات التي تشكل قاعدة لأسلوب الحياة يساهم في تكوين رأسمال على مستوى الأفراد والجماعات، كما يتجسد عبر أنماط سلوكية يتضمن ثقافة وشعائر يعتمدها الفرد فيما يرتبط بمجالات الحياة المختلفة ومنها مجال الأعمال التضامنية.

وهو ما يدل على أن للمعاني والقيم الدينية القدرة على دفع الانسان نحو السعي لإشباع الحاجات المادية والمعنوية وكونها كأحد المصادر والمحفزات الأساسية للمبادرات والمشاريع التضامنية الاجتماعية، وأن غياب القيم الروحية عن الحضارة الإنسانية من الممكن أن يشكل عامل من عوامل سقوط للحضارة الانسانية كما أكده فرانسيس فوكو ياما في نهاية التاريخ. ما يؤسس للقول إن القيم الدينية لها القدرة على تنظيم وتوجيه وتحفيز العمل التضامني الاجتماعي وصبغه بصبغة رمزية وروحية عبر استغلال تراكمات حضارية ثقافية رمزية روحية وحتى قدسية متجذرة في المجتمعات على شكل طابع إلزامي وأخلاقي لا يمكن تجاوزه لتمثل بنية لرساميل متعددة تدفع نحو مثل هذه المبادرات الساعية إلى خدمة أغراض التنمية.

## 2-2 الدين والمقاولة الاجتماعية

يُعد مفهوم المقاولة الاجتماعية مفهوما حديثا في قاموس العلوم الاجتماعية كونها شكلا جديدا للمقاولة القائمة على تحويل الفكرة إلى إبداع مع تحمل للمخاطر، تستند على مبادرات لإضافة قيمة جديدة وخدمة أغراض تنموية مختلفة. فهي بالتالي تنطلق من حاجات محلية لتبتكر حولا جديدة تجعل من المصلحة الإنسانية منطلقا لها ، كما تعد ظاهرة اجتماعية ارتبطت ومورست بوجود المجتمعات الإنسانية وتفاعلها ، تتخذ وبمختلف مفاهيمها ودلالاتها من القيم الروحية والدينية مرجعية فكرية ودافعية لها ، كما تجعل من

المخزون الرمزي للأديان بعدا قيميا محفزا ودافعا للانخراط فيها. إذ تتفق جميع الأديان السماوية على أهمية السعي نحو التضامن الإنساني والاجتماعي الذي أطرته الكنيسة والدير، كما تتجسد في المساجد والزوايا لكونه سلوكا يرتبط بالتفاعل الإنساني منذ بداية الوجود " و أن فكرة مساعدة الآخرين والسعي نحو تلبية حاجاتهم تعتبر عند الجنس البشري فكرة أصيلة وقديمة منذ وجود الإنسان على الأرض ترجع دوافع هذه الخاصية إلى وازع إنساني داخلي يغذيه وينميه الوازع الديني الذي ينبثق من قيم الرحمة التي وضعها الله تعالى في الأرض" 1 . حيث تشكلت فكرة الجمعيات الخيرية التضامنية في الدول الأوروبية منذ فترة زمنية بعيدة في إطار المفاهيم الإنسانية المستمدة أصولها من القيم الدينية المسيحية لارتباطها بالكنيسة. أما في البلدان العربية فقد ارتبط النشاط التضامني الانساني بقيم اجتماعية ثقافية ارتبطت بوجود الإنسان العربي وقيمه منذ القدم ، وبعد مجيء الإسلام انتظمت هذه النشاطات في إطار أعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبر والإحسان والإيثار، ما جعل من تاريخ المجتمع الإسلامي تاريخ اجتماعي تضامني بامتياز، إذ تأسست حضارته الأولى وتطورت من خلال حياة مليئة بصور التكافل والتعاون والتضامن ،حيث تؤكد الكثير من النصوص الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الصحابة أن المجتمع الإسلامي يقوم على مبدأ التضامن الاجتماعي لكونه يسعى في مغزاه لتحقيق المشاركة الوجدانية. إذ تميزت التعاليم الدينية بتوجيهات إلهية وإرشادات نبوية تحث على العمل الإنساني التضامني والسعي نحو قضاء حاجات الناس، فوردت الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة التي تدل على السعي نحو الابتكار الاجتماعي والعمل الخيري التضامني بشكل صريح للكلمة أو بمرادفاتها على شكل البر، الإيثار، الأمر بالمعروف، التعاون، التكافل، التطوع، التراحم، السعي والإحسان، والرحمة، والصدقة، وتفريج الكربة، وإغاثة الملهوف وغيرها. كما جاءت

1- عبد الله الجار الله الخرافي عبد المحسن ،مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، مرجع سابق،ص18

الدلالة عليها بصيغ الأمر به والترغيب فيه أو المدح لفاعله والثناء عليه وذكر فضائله. والإسلام بكونه دين يمزج بين البعد العقائدي والتعبدية والتشريعي ينظر للمجتمع الإنساني كالجسد الواحد أو البنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا، البنيان الذي لا يمكنه الاستمرار والتطور إلا إذا اعتمد أفراد المجتمع على إقرار مبدأ التكافل والتضامن. لذلك فالمبادرات التضامنية الاجتماعية في نظر الإسلام هي نظام متكامل يربط بين الحاجات المادية والنفسية وينمي روح الفرد لتربية توجه التفاعل التشاركي للإنسان يقوي علاقاته الاجتماعية، كما يساهم في تحقيق التماسك الإنساني. وقد رغب الله تعالى على ابتكار الفعل الاجتماعي والسعي إليه وجعله من المقاصد الأصلية في الإسلام كما عدّد من المفاهيم الدالة عليه. حيث أورد كلمة الخير بما يناهز مائة وثمانين مرة في القرآن الكريم وعدّد من مصادره كالصدقات والزكاة والوقف. والترغيب على الممارسة التضامنية الاجتماعية جاءت بصيغ مفاهيمية مختلفة، فبعضها ورد بلفظ التطوع وبمعنى فعل الخير وعمل البر والإحسان والحث على هذه الأعمال والمساعدة والسعي إليها، كما ارتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما دعت الشريعة الإسلامية إلى ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي من خلال كل مجالات الحياة المعيشية الاجتماعية التربوية البيئية الصحية وغيرها تحقيقا لفكرة الاستحلاف في الأرض. فقد حفل التراث الإسلامي بتأصيل العمل الخيري عقائديا بما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة شواهد تعزز من قيمة العمل التضامني الإنساني، كما أن الحضارة الإسلامية استطاعت أن تقدم لنا نماذج عملية لتتنزل القيم على الواقع عبر نماذج تضامنية عديدة، ما يؤسس للقول على أن المبادرات الاجتماعية ذات الطابع الإنساني لا تخرج عن مقاصد الدين بل تعتبر مقصدا من مقاصده. فقد رغبّت العقيدة الإسلامية للسعي نحو هذه الأعمال بهدف الحفاظ على تماسك المجتمع لما تحقّقه من مصالح للإنسان في مجالات عديدة، كما أخذت أشكالا متعددة حسب ظروف المجتمع وطبيعة حاجاته بدءا من تقديم حاجات المأكل والمشرب وصولا إلى التعليم والقراءة والكتابة.

إن ملامح المقاولة الاجتماعية والتي تشكلت ضمن مفاهيم عديدة كالعمل الخيري والتكافل الاجتماعي ارتبطت بالوجود الإنساني كما تبين ذلك، إلا أن هذا العمل اتخذ طريقا واضح المعالم والأهداف والدوافع بعد نزول الكتب السماوية التي رَغِبَتْ وحَفَّزَتْ ودعت كل الشرائع السماوية إلى العمل الخيري والسعي اليه في المجال الاجتماعي. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى "وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" سورة الحج الآية 77. وقوله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" سورة المائدة الآية 02. كما قال تعالى في آية أخرى "يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات" سورة آل عمران الآية 144. كما قال تعالى "فمن تطوع خيرا فهو خير لهُ" سورة البقرة 184، كما قال تعالى "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" سورة الحشر الآية 9، كما قال "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس" سورة النساء الآية 114.

كما صَوَّر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المجتمع بالجسد الواحد وذلك في قوله "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". وقال في حديث آخر "من نَفَس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَفَس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة". كما جاء في قوله (ص) "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". وقال كذلك صلى الله عليه وسلم "خير الناس أنفعهم للناس". وقوله صلى الله عليه وسلم عن حديث مسلم "بادروا بالأعمال". وقوله "إن لله تبارك وتعالى خزائن من الخير مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلقًا للشر، وويل لمن جعله مغلقًا للخير مفتاحًا للشر" حديث رواه سهل بن سعد الساعدي.

وكلها إشارات قطعية وصريحة على أن المبادرات الفردية أو الجماعية ذات البعد التضامني والاجتماعي جزءاً من حياة المسلمين تتخذ أشكالاً وأحجاماً وأنواعاً متعددة تشجع الإنسان على التطلع نحو الريادة. بل أن من عوامل نجاح المبادرات التضامنية والاجتماعية استثمارها للتشريعات والقيم الروحية الدينية والمواقف الرائعة كدوافع ومحفزات وضوابط للعطاء. إذ وحسب عبد الباقي الهرماسي "إن الوجود

الاجتماعي في الإسلام عرف أشكالاً من التنظيم المهني والاجتماعي داخل المدينة الإسلامية، كما أنه عرف نظاماً متميزاً من الخدمات العلمية الاجتماعية وشكلاً من أشكال التضامن والتكافل على نحو تمثله الأوقاف وأصنافها العديدة<sup>1</sup>. كما دعت المسيحية واليهودية إلى ضرورة السعي للأعمال التضامنية الاجتماعية عبر الكتب السماوية، فنجد نصوص العهد القديم عند اليهود توضح بعض الأعمال الخيرية والرعاية الاجتماعية "وهو ما تدلل عليه الوصايا العشرة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام في الكتاب المقدس ومنها طوبى لمن ينظر للمساكين في يوم الشر ينجيه الرب. وقوله "افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك". وقوله "من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معرفه يجازيه". "ومن الضروري تقديم يد العون والمساعدة للفقير والمسكين والمضطّر" وقوله "لا ينهر الفقير ولا يحقر المسكين"<sup>2</sup>. كما تظهر ملامح المقاولة الاجتماعية عند النصارى عبر الدعوة للإحسان ورعاية المحتاجين والتفكير في حلول لمشاكلهم وظهر ذلك جلياً في الكثير من نصوص العهد الجديد للإنجيل ومن أهم أصول الرعاية والحماية الاجتماعية ومن ذلك قوله "من سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده"، وقوله الله سبحانه وتعالى "يكافئ من يشبع الفقير" و قوله "بالصدقة يقبل الصوم"، وقوله "كل أنواع الهبات مرغوب فيها"<sup>3</sup>.

وفي نفس الاتجاه توصلت الباحثة الاجتماعية سو سبنسر sue spencer عام 1956 في مقال لها بعنوان "الأديان والقيم والروحية في ممارسة خدمة الفرد إلى أهمية المعتقدات الدينية في اعتبارات المهتمين بأعمال الرعاية الاجتماعية"<sup>4</sup>.

1-الهرماسي عبد الباقي، المجتمع المدني في الوطن العربي، ودوره في تحقيق الديمقراطية، مرجع سابق، ص18

2-فاضل عبدالوحي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، نفس المرجع، ص7

3-فاضل عبدالوحي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، نفس المرجع، ص8

4- Spencer sue , religion and social work, social work ,vol .n3,1956

وهو نفس ما اشار اليه "ألان كيت لوكاس" Keith Lucas Alain 1960 في مقال بعنوان "بعض الملاحظات عن العقيدة والخدمة الاجتماعية" ليؤكد على "أهمية الاهتمام بالدين والجانب الروحي في التحفيز وفهم الخدمة الاجتماعية"1. كما أكد الباحث "مارتن مارتني" martin Marty 1980 في مقال بعنوان الخدمات الاجتماعية مؤمنة أم كافرة" على الأصل الديني للخدمات الاجتماعية وأن الأسس الدينية لا زالت جزء من الخدمات الاجتماعية "2. لتؤكد الباحثة لوسيل كروبيت Lucille gorbett 1925 في مقال لها بعنوان "العوامل الروحية في خدمة الفرد" على أهمية العوامل الروحية كمبدأ للحياة والنشاط وأن خدمة الفرد الحقيقية تتسم بالروحانية لكون الروح هي جوهر خدمة الفرد3. كما توصلت (maria Elena Johann Peter 2000) في دراسة بعنوان conscious voluntary action إلى أن العمل التطوعي الواعي تتعدد مصادره ودوافعه والتي يُعد الدين عاملاً محورياً فيها " 4

هذه الأدلة التأصيلية من القرآن والسنة النبوية تؤكد الكثرة من الدراسات الأنثروبولوجية والسيكولوجية والتي أجمعت على البعد الديني للمقاولة الاجتماعية بمفاهيمها المختلفة، ونجد في هذا الإطار دراسة نبيل السمالوطي (1988)، (maria Elena Johan Peter 2000)، (محمد السلومي 2000)، (رندة زينو 2007)، (عبد المالك منصور 2008) كلها دراسات أجمعت على أن المبادرات الاجتماعية التضامنية والإنسانية انبثقت من الأديان السماوية. وأن الدين بهذا يعد أهم العوامل المحفزة لنشأة المبادرات الاجتماعية، كما كان للمؤسسات الدينية الدور الكبير في نشر التعليم والثقافة الدينية وتقديم الخدمات

1-فاضل العبدلوي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، مرجع سابق، ص9  
 2-Martin Marty, social service goldly and godless, social service review, 1980,p 463  
 3-فاضل العبدلوي فاتحة، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، نفس المرجع، ص9  
 4-أبو عليان محمد إبراهيم، العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية غزة فلسطين، 2014

والمساعدات الاجتماعية، فوجد في هذا الإطار "إليزابيث بوريس" (Elizabeth Boris) المتخصصة في العمل الخيري تقول "إن سبب نجاح تجربة العمل الاجتماعي الأمريكي يعود في كون جذوره العميقة تكمن في المعتقدات الدينية ثم المبادئ الديمقراطية للمشاركة الوطنية، ثم لتعميق التراث القائم على الاستقلال الذاتي والحكومة المحدودة.. ولا شك أن المعتقدات الدينية عميقة الجذور لعبت دورا مهما في تشكيل العمل والعطاء في أمريكا ، فأشكال العطاء المقدمة للمحتاجين في مناطقهم أو للفقراء في مناطق أخرى أو لضحايا الكوارث الطبيعية أو للكنايس كانت بمثابة التزام قوي لدى الكثيرين من أصحاب الاتجاهات الدينية، وقد أدى مفهوم الوصاية الديني إلى تعزيز العطاء الخيري وخصوصا بين الأثرياء"<sup>1</sup>. وهو ما تؤكد المؤشرات الإحصائية المتوفرة حول واقع المقاولة الاجتماعية في أمريكا خلال العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين "والتي أكدت على أن 48% من عدد المنظمات غير الهادفة للربح والبالغ عددها 1.5 مليون منظمة قائمة على أساس ديني"<sup>2</sup>. وهو نفس ما سجلته "مؤشرات حجم التبرعات في عام 2002 ما يعادل 212 مليار دولار أمريكي 83% من هذه التبرعات كانت لأغراض دينية"<sup>3</sup>. ما يؤسس للقول إن الوازع الديني كان له أكبر الأثر في تدعيم قيم ومبادئ المقاولات الاجتماعية، وأن الميل المتجه نحو بلورة فكرة بغرض تقديم حلول غير ربحية هي فكرة قديمة منذ وجود الإنسان تعود دوافعها إلى وازع إنساني داخلي تغذيه وتنميه العديد من الحوافز ولعل " القيم الروحية والدينية والمرجعية الفكرية والاجتماعية الثقافية من الدوافع الأقوى في مجالات العمل الإنساني"<sup>4</sup>

1- السلومي محمد بن عبد الله، القطاع الثالث والفرص السانحة، مرجع سابق، ص 139-140

2- السلومي محمد بن عبد الله، القطاع الثالث والفرص السانحة، نفس المرجع، ص 140

3- نجوى سمك والسيد صدي عابدين، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة، الخبرتان المصرية واليابانية، مركز الدراسات الآسيوية، القاهرة، 2002 ، ص 7

4- عبد الله الجار الله الخرافي عبد المحسن، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، مرجع سابق، ص 18

كل ذلك يدعو للاستخلاص في النهاية إلى أن القيم الاجتماعية والفكرية وخاصة الدينية المتجذرة في المجتمعات كان لها دورا أساسيا في تعميق روح المبادرات التضامنية والابتكارات الاجتماعية عبر تعزيز روح التواصل ورفع مستوى الثقة بين الناس وتشجيع التسامح والإيثار والمحبة. كما مارست رقابة داخلية ساهمت من خلالها في الحد من مستوى الفساد الأخلاقي وتعظيم قيم المودة والتعاطف والتغلب على الأنانية وحب الذات، والدعوة إلى المساواة والرعاية الاجتماعية وإلى الأمر بالمعروف والاهتمام بشؤون الخلق والسعي نحو تحقيقها.

## 2-3 المقاولات الاجتماعية في الفكر الصوفي

يعد التصوف حالة روحية وقوة رمزية يجمع بين المجاهدة النفسية والقيم الأخلاقية، يرافقها سلوك عملي ومخزون ديني وروحي ذو طابع رمزي للمجتمع الإسلامي، يدعو ويسعى إلى الاهتمام بخدمة الإنسان وغرس قيم التضامن والسعي إليه واعتباره من أولويات الرجل الصوفي الساعي للتفكير والعمل على تحقيق حاجات الآخرين ضمن مفهوم السعي إلى البر والأمر بالمعروف. وقد تجسّد ذلك عبر العديد من الصور والنماذج الاجتماعية التضامنية المبتكرة والتي حاول من خلالها المتصوفة على مستوى الخطاب والممارسة تجسيد قيم الابتكار الاجتماعي ضمن الكثير من المبادرات التنموية الرائدة التي جعلت من التصوف يمثل عمقا وقوة حيوية أثري المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع الجزائري خاصة بقيم وسلوكات ساهمت في بناء إنسان محافظ على أصالته وقيمه الإسلامية، متواصل مع تحولات مجتمعه، محرك ومنتشط لمسار الحياة في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والدينية.

إذ أكدت الكثير من الوقائع التاريخية والتجارب الميدانية لمؤسسات تنتمي للطرق الصوفية كيف اهتم المتصوفة عبر تاريخهم بصناعة الخدمة الاجتماعية وتعزيز الجهود التنموية المحلي وفق رؤية تقوم على استشراف المستقبل جسّدت نماذج لمقاولة اجتماعية بالمفهوم العصري استطاعت عبر ابتكارات وإبداعات شيوخها أن توفر خدمات تحل مشكلات للمواطنين ، إذ تعد في هذا الإطار الزاوية العلوية بمستغانم ، وزاوية الهامل بالجنوب الغربي والزاوية التيجانية بتماسين على المستوى المحلي ،في حين تعد تجربة فتح الله غولن على المستوى الخارجي من النماذج الخالدة للطرق الصوفية التي جسّدت عبر تاريخها مؤسسات تحمل ملامح لمؤسسات ذات طابع اقتصادي بهدف اجتماعي تضامني نظير الخدمات التي قدمتها، وهو ما ينفي تلك الصورة النمطية السائدة في كون الصوفية جماعة من العباد انعزلت عن الناس وتقوقعت على نفسها في الصحاري تمارس الطقوس والتقشف والزهد وانتظار المصير، بل هي مؤسسات حملت رؤية تنموية عبر العديد من المبادرات المبدعة التي دأبت على اعتمادها لتحقيق الإصلاح

الاجتماعي والتربوي والديني، خاصة في فترة غياب مؤسسات حكومية تقوم بملء الفراغ. إذ وعلى الرغم مما لحق بالتصوف من تجاوزات وبدع وخرافات طرقية إلا أن ذلك لا ينفى أن الإسلام الصوف الحقيقي استمد مشروعيته وقيمه الأخلاقية ومبادئه الفكرية والسلوكية من القرآن الكريم والسنة النبوية وزهد وسيرة الصحابة رضي الله عنهم، فمنح بذلك لأتباعه صفاء الطبع والخلق ونقاء القلب مستندا في ذلك على حياة رسول الرحمة والصحابة وأقوالهم وأفعالهم والتي تجسد سلوك التقشف والزهد والإقبال على الله والإعراض عن الدنيا، ما جعل من سلوكهم وقيمتهم مصدرا في تشكيل معالم الحضارة الإنسانية وإثرائها، كما ساهم عبر مشايخه في تنمية وبناء القيم الإنسانية كواقع متجذر في المجتمع الإسلامي وكونه عامل ازدهار وليس تخلف وتقوقع داخل فضاء المقدس وترسبات الماضي. وجعل من الزوايا والطرق الصوفية عامة تحظى بمكانة رفيعة عند أفراد المجتمع، لتصبح المؤسسة المركزية التي تدور حولها أغلب تفاصيل الحياة اليومية للأفراد، فاستطاعت ببنائها الاجتماعي أن تتغلغل في المجتمع كطريقة روحية وجماعة اجتماعية ساهمت في الوفاء بالكثير من حاجات المجتمع وإشباعها لتشمل الخدمات الاجتماعية التربوية والاقتصادية والقضائية من خلال فض النزاعات والتقاضي بين الأفراد بطريقة إبداعية بسيطة دون تعقيدات إدارية، إضافة إلى توفير الرعاية الصحية والنفسية والمشاركة في الحياة العامة، ما يؤسس للقول أن " التصوف ليس مجرد نظريات أو تصورات نفسية اجتماعية أو فلسفية بقدر ما هو طريق أو أسلوب في الحياة يمارس من أجل هدف اجتماعي"<sup>1</sup>. فكانت بذلك مؤسسة التنشئة الاجتماعية الأهم التي ساهمت في إنتاج ونسج وتنظيم الروابط بين أفراد المجتمع، جعل منها قوة اجتماعية ومعنوية تساهم في تأطير الأفراد لما تتمتع به من قبول وصورة ذهنية إيجابية، وهو ما مكن التصوف بمؤسساته وممارساته أن

1- عبد المنعم جاد الله منال، التصوف في مصر والمغرب، مرجع سابق، ص57

يصبح النمط المهيمن في الإسلام السائد في مدن شمال إفريقيا وقراها إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي وأصبح " شيخ الطريقة هو المرجعية لأهل المنطقة والحي والقرية يتمتع بكلمة مسموعة في جملة من القضايا، كما كان له أثر كبير في النشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لمجتمع عصره" 1. فتجدهم يسعون دائما إلى تجميع الناس و تعزيز روح التكافل وقوة التماسك في علاقة ديناميكية فعالة مع جميع أفراد المجتمع. كون الصوفي الحقيقي ليس من يعزل نفسه عن مجتمعه بين جدران زاويته غير مهتم بقضايا مجتمعه، بل أن المجتمع هو المجال الواقعي لتجسيد قيم وتعاليم التصوف التي جاء بها القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم و " أن الصوفية ليست فلسفة تجريدية و إنما ممارسة عملية تدريبية، إنها تجربة داخلية تؤثر بشكل متضافر على الجانب الروحاني والنفساني والجسدي تتميز بطاقة روحية مفعمة تحولت إلى قوة اجتماعية مؤسسية" 2. ذلك ما جعل من المؤسسات الصوفية ملجأ للطبقات الاجتماعية المحرومة للبحث عن حلول لمشاكلها والمرجع الأول للجماهير في كل تفاصيل قضايا حياتهم، فتحوّلت مقراتهم ملجأ لكل محتاج للطعام والإيواء والنصرة والعلاج، كون الرجل الصوفي كما ذكره ذو النون المصري (796-859) " عونا للغريب، أب لليتيم، بعل للأرملة حفي بأهل المسكنة، مرجو لكل كربة" أو كما قال الجنيد (830-910) " أن الصوفي يكون كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يُظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما ينبت وما لا ينبت" 3.

وبذلك نجد أن المتصوفة عكسوا قيم التكافل والعمل الاجتماعي ضمن مكارم الأخلاق وصفاء القلب وترقية النفس ونقاء الروح من الأنانية والحسد وامتلائها بروح الجود والسعي للخير ونصرة المستضعفين وخدمتهم "إذ وحين يدرك الصوفي هذه الحقيقة يرى رحمة الله في رحمته لإخوانه، وصرف بلاء

1- محمد الطاف، دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي، مجلة القسم العربي، جامعة لاهور، باكستان، العدد 24، سنة 2017، ص 263.

2- إيريك جوفروا بونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق، ص 17.

3- هادي العلوي، مدارات صوفية، مرجع سابق، ص 186.

آخرته في دفع بلاء الدنيا عن غيره، وقضاء حاجاته في قضاء حوائج الناس والسعي لهم، بل ويرى فيهم ما يراه المخلوق في أثر الخالق فيهم، فيعاملهم بالرفق والإحسان، ويمثل هذه المعاني الجياشة امتلأت ببيانات الصوفية" 1. وأن خدمة الخلق شرط لخدمة الحق وسبب موصل إليه، يقول (ابن خفيف 882-982) "إذا كنت لا تحسن خدمة صاحبك من البشر فكيف تحسن خدمة الله" 2.

حيث اتخذ الصوفية من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً" وقوله "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" معيارا لسلوكهم الاجتماعي ومنهجاً أخلاقياً لقيمهم. تقول آنا ماري شيميل "أن من أهم مبادئ الصوفية عمل الخير وإيثار الغير على النفس والتخلي عن الوضع الاجتماعي من أجل الآخرين، والصوفي من مبادئه ينبغي عليه أن يقطع صيامه إذ رأى أن أحداً من الجماعة بحاجة إلى طعام أو يتوق إليه لأن إدخال السعادة على قلب الأخ أهم من الأجر على الصيام" 3.

يقول أحد الباحثين "لقد ركز شيوخ الزاوية العلوية منذ البداية على تربية المريدين وجمعهم على كلمة الله وسنة نبيه الكريم وعلى مكارم الأخلاق وفضائل الآداب وتزكية الروح لدى الفرد ليكون إنساناً محباً للغير ومشفقاً عليهم" المقابلة رقم 11

ويقول آخر "حنا في جماعتنا (يقصد الجماعة الصوفية) أول ما نتعلموه في الطريق الصوفي هو فكّر في غيرك قبل ما تفكر في نفسك، والرسول يقول لا يؤمن أحدكم حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، هذا هو شعارنا في حياتنا ما نحمل حسد ولا غل لأي كان" المقابلة 6

1- قراوازن ليلي، محمد رمزي، التصوف في مرآة معاصرة، مرجع سابق

2- آنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حمد قطب، مرجع سابق، ص 260

3- آنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، نفس المرجع، ص 260

ويقول آخر "أن السلوك الصوفي عمرو ما يكون أناني ولا يكره البشر، بل لازم يكون محب للناس يبحث لهم على الخير والهنا، حنا (نحن) مناش (لسنا) تاع مصالح بل في طريقنا (يقصد طريق التصوف) يليق يكون ما في قلبك كيما اللي في فمك" المقابلة رقم 8

و أن خدمة الإنسان عند الصوفية كانت دائما هي أولى الخطوات في الدرجات المؤهلة للطريقة والمحققة لأعلى المقامات، إذ يبقى واجبا على الصوفي طيلة حياته لأنه كما يقول الشيخ الصوفي عبد الرحمن الجامي (1414-1492) "من اعتذر عن خدمة إخوانه فإن الله يضع من شأنه فلا يشمل العفو" 1 . وهنا نجد أن الكثير من الشواهد التاريخية تؤكد على أن تاريخ الزوايا في المغرب العربي عامة هو تاريخ تضامني اجتماعي بامتياز نظير ما ابتكرته من خدمات تحت السلطة الرمزية والتوجيه الروحي للشيخ والأولياء الصالحين "حيث غدت الطرق الصوفية روح التكافل والتضامن وعززت الشعور بالطمأنينة، واستطاعت بزواياها أن تجمع الناس حولها وأن تمكن الحياة الصوفية من عماد مادي استفادت منه الطرق الناشئة" 2. لتصبح بذلك نزعة أخلاقية وقيمة تربوية وصفة يكتسبها الصوفي عبر منهجه التربوي القائم على تزكية نفوس المتعلمين من خلال نزع مواطن الشح والبخل من نفس المرید في سيره وتعويضها بأخلاق العطاء والجود والكرم والإيثار. فالعمل الاجتماعي التضامني بالنسبة للصوفي هو وسيلة للرفي في مدارج المقامات وسبب لتصفية الباطن من تأثير المادة قصد تربية السالكين على النفع والعطاء اتجاه المسلمين. ذلك أن تقديم العون للفقراء والمساكين كان من الصفات الخلقية والاجتماعية المميزة لرجال التصوف ومظهرا من مظاهر سعيهم الدائم نحو التخفيف من المشاكل الاجتماعية. "فقد ورد في إحدى فتاوى ابن العريف (1088-1141) أن خدمة الفقراء ومساعدة الضعفاء وقضاء حوائجهم من الأمور المفضلة على الحج" 3 ، لكون المحافظة على النفس وكرامتها تعد أولوية في أصول الدين.

1- أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، مرجع سابق، ص 260

2- ابن الطيب محمد، مسؤولية النخب الدينية والثقافية في الحفاظ على سلم المجتمعات وتضامنها، مرجع سابق، ص 103

3- أبو العباس بن العريف، مفتاح السعادة، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، بيروت، لبنان، 1993، ص 29

ولعلّ ما يوضح رؤية المتصوفة لقيمة التضامن والعطاء الاجتماعي أنهم بنو منهجهم التربوي والدعوي على مفهوم السعي إلى الخيرات ومساعدة الغير والتفكير في همومهم ، فنجد أن الصوفي أبو العباس السبتي(1129-1204 ) يقول أن "أبواب القوانين الشرعية هو الصدقة وأصل الخير الإحسان وأصل الشر البخل، وأن الإنفاق هو الدليل على أن المُنفق قد تخلّص من الشرك الخفي الذي يتسرب إلى القلب من حب المال ، وأن الإنفاق هو الذي ينبغي أن يكون في مقدمة أعمال التدين، وأن عبادة الخالق مقرونة بإسداء الخير للغير قبل كل شيء"1، وهو الذي جعل مبدأ الصدقة والإحسان حجر الزاوية في فلسفته الصوفية، وأن من القيم الأخلاقية المطلوبة في الصوفي أن يكون رحيما بالناس ومناصرا لهم، بل انه كان يرجع أصل الشرع إلى الصدقة ، وأن الإنفاق هو دليل على صدق الاعتقاد والذي يعد الأصل في توحيد الله تعالى و مؤشر على أن الذي ينفق في سبيل الله قد استطاع التخلص من ضغائن النفس ومن الشح الذي يتسرب إلى القلب من حب المال. وليصبح الرجل الصوفي كما يقول الجنيد "كالأرض يطيح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مريح"2، وبذلك ربط الصوفية السعي للخالق في مقام السعي لمساعدة المخلوق. وفي هذا المعنى يقول عبد الوهاب الشعراني (898-973هـ) " أن من أخلاق الصوفية تقديم إنفاق الدراهم والدنانير في طعام الجائع وكسوة العريان وقضاء الديون التي لا يقدر أصحابها على الوفاء بها على بناء الزوايا والمساجد"3.

وكما نُقل عن عبد الله بن المبارك (118-181هـ) قوله "لقمة في بطن جائع أرجح في ميزاني من عمارة مسجد"4 . ما يعني أن الرجل الصوفي يشمل بخدمته ومحبته الجميع بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم.

1-بن عبد الله عبد العزيز، معلمة التصوف الإسلامي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، ط1 ، الرباط، المغرب ، 2001، ص85

2-بدوي عبد الرحمن، تاريخ التصوف، وكالة المطبوعات للنشر، ط1 ، الكويت، 1975 ،ص25

3-هادي العلوي، مدارات صوفية، مرجع سابق، ص185

4-الطاف محمد ، دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي ،مرجع سابق ،ص266

كما لم يتوقف النشاط التضامني والعمل الاجتماعي لدى المتصوفة على جمع وتوزيع ما تجود به أيادي المتصدقين والمحبين من صدقات وهدايا وزكاة، بل انتقلت إلى استثمار ممتلكاتها من أراضي الوقف والحبوس في الأعمال الزراعية وتدبير مداخيل ذاتية تستغل في مختلف الخدمات الاجتماعية ومساعدة المحتاجين إذ " ومن صور التضامن داخل الزاوية أنها كانت لها في الريف أرض موقوفة يحرقها المسلمون ويعتنون بها ويستعمل إنتاج هذه الأرض في صيانة وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ أو الطلبة، كما يقدموا عادة إليها مسلمو الناحية جزءا معيناً من إنتاجهم الفلاحي سنويا "1. وهي كلها قيم أخلاقية وسمات سلوكية تدلل على أن السعي في مساعدة الناس والتضامن معهم وابتكار خدمات تخفف عنهم أولى من العبادات الميكانيكية التي تقام بشكل آلي " وأن الاشتغال في صلاح القوت من الدين كالرأس من الجسد" كما يقول ابن القنفذ "2.

كما أن الدارس لكتب التراجم والسير وتاريخ المتصوفة يتضح له الدور الكبير الذي شغله المتصوفة في الحياة العامة للمجتمع فنجدهم قد اهتموا بكل ميادين وتفاصيل الحياة الاجتماعية، فكان همهم وشغلهم الشاغل هو مساعدة الغير والتفكير في شؤونهم، ومن ذلك تدلنا كتب التاريخ "على أن المتصوف بن قسي أبو القاسم أحمد بن الحسين المتصوف الأندلسي قائد ثورة المرينيين ( توفي 546هـ) باع كل ما يملك وتصدق به على المعوزين وذوي الحاجات"3.

كما يتجلى العمل الاجتماعي التضامني لدى المتصوفة في أبي زكريا يحيى بن علي الزواوي(1394-1476) الذي اكرى فندقا بثلاثمائة دينار ثم مرّ على أعيان بجاية وأخذ منهم ما دفعوه للصرف على المساكين من مأكّل ومشرب وملبس يقيهم البرد ويغنيهم عن السؤال"4.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر، الجزء 1، مرجع سابق، ص 266.

2- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين، مرجع سابق، ص 17.

3- البقالي هشام، جوانب من الحياة الاجتماعية لمتصوفة العصر المرابطي، مجلة روافد، المجلد 03، العدد 1، جوان 2019، ص 198.

4- بو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، تحقيق احمد التوفيق، التشوف إلى رجال التصوف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 22، ط 2، 1997، ص 429.

كما روى التاريخ عديد الأمثلة والقصص عن رجال متصوفة باعوا ما يمتلكون لخدمة الناس وتحقيق حاجاتهم والتخفيف من الضرائب الملقاة على عاتقهم، بل وصل ببعضهم إلى درجة التسول لتحقيق مآرب القوم" فنجد أبي عمران موسى ابن اسحق الوريكي (توفي 592 ) ما جاءه مسكين إلا أعطاه، فإن لم يجد شيئاً يعطيه قام معه إلى السوق يمشي على الناس ويسألهم له"1 . وهذا كله كون الصوفي يرى انه لا يتحقق الكمال الأخلاقي لدى المتصوفة إلا بنزع الشح من قلبه وامتلائه بمحبة الآخرين ولأن " مقام التصوف لا يكتمل حتى يكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم سائر لعيوبهم، والى إقامة مجتمع أخلاقي تسوده المحبة والسعادة والخير" 2. ما يؤكد أن المتصوفة كانوا ملجأ كل محتاج إلى مساعدة أو خدمة، وكون العمل التضامني الاجتماعي لدى المتصوفة يُعد شعبة من شعب صدق الإيمان وصحته " إذ ومن معينات الصحة الإيمانية عند الصوفية محبة الناس والقيام على خدمتهم وصرف الجهد في تحقيق مصالحهم ونصرتهم كما أشار الإمام الترمذي ( 824-892 ) 3. ما يجعل من الخدمة الاجتماعية والسعي إليها لدى الصوفي وتسخير جهده ووقته لخدمة الآخرين صورة لصدق وصحة إيمانه.

كما أن سعي المتصوفة لتدبير الأعمال الاجتماعية والمبادرات التعاونية تُعد مؤشرا على تواصل وانفتاح المؤسسة الصوفية على المجتمع واهتمامها بالشأن العام ومعيشة الأفراد "وأن العمل الاجتماعي بالنسبة للصوفي هو وسيلة للرقى في مدارج المقامات، وسبب لتصفية الباطن من قيود المادة، و تربية السالكين على النفع والعطاء اتجاه المسلمين"4.

1- أبو يعقوب يوسف بن يحيى النادلي، تحقيق احمد التوفيق، التشوف إلى رجال التصوف، ص 218  
 2- فرغلي عبد الحفيظ، القرنى علي، التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984، ص 19  
 3- معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك لانحرافي التربية الصوفية نموذجا، دفاثر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018، ص 151  
 4- العلمي طارق ، الدور الاجتماعي لرجال التصوف، مركز الإمام الجليل للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، المغرب، 2016.

إن الدور التضامني الاجتماعي للمتصوفة يمكن استخلاصه عند دراسة تاريخ الزوايا في الجزائر والمغرب العربي عامة والذي يكتشف عن الدور النهضوي والتنموي الذي سعت إلى تحقيقه الزوايا خاصة في ظل تدهور الظروف المعيشية لأفراد المجتمع الجزائري وحالة الفراغ المؤسساتي الذي كان يعيش فيه الفرد و حالة الفقر وغياب الخدمات الصحية والتعليمية وارتفاع نسبة الأمراض والجوع والجهل ، وفي وسط هذه الحالة المتأزمة يبرز أفراد ومؤسسات كالزوايا وشيوخها ذوو كاريزما قوية وأصحاب تصور تنظيم ريادي وفكر إبداعي خلاق يفكرون في معالجة الوضع بطرق وآليات مبتكرة و المساهمة في التقليل من حجم المعاناة بهدف تحقيق تغيّر اجتماعي إيجابي جعل منها قبلة كل محتاج وعليل ومهموم.

وانطلاقا من حجم الخدمات والأدوار التعليمية، القضائية، الصحية، الاجتماعية وغيرها جعل الزوايا تمثل حلقة محورية في تاريخ المجتمع وفي تفاصيل الحياة اليومية للمواطن وعنصرا أساسيا من عناصر ومكونات البنية الثقافية والرمزية والفكرية والعقائدية للأفراد، وجعل منها مكونا في تشكيل معالم شخصية المواطن، فساهمت في صقل معارفه وتوجيه قيمه وسلوكه. وأصبحت بذلك الزوايا مؤسسات موازية للدولة بالنظر لحجم الخدمات التي كانت تلتزم بتقديمها لأفراد المجتمع، هذه الوظائف وغيرها التي سعت من خلالها المؤسسات الدينية عامة والزوايا خاصة منذ نشأتها إلى تقديم خدمات ذات طابع تضامني إنساني غير هادف لتحقيق منافع جسدت مقومات وأهداف المقاولة الاجتماعية في أبسط تجلياتها، كونها نشاطات ومبادرات اجتماعية تحقق منفعة عامة سعيا لرفع الغبن كما تكرر قيم التضامن والتعاون والتآزر، وجعلت من الطرق الصوفية " تعرض نفسها كبديل تشكل طبيعة الحداثة و رائدة المبادرات الاجتماعية والروحية تمثل الجزء المركزي للثقافة الإسلامية" 1.

1-إيريك جوفراوا بونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق،ص225

إن ما يمكن استخلاصه انطلاقاً مما تقدم هو تعدد مجالات اهتمام وتدخل المتصوفة في مختلف مجالات الحياة ودورهم في التاريخ الاجتماعي والتضامني الجزائري والمغربي عامة من خلال سعيهم الدائم على تحقيق التوازن والتكافل الاجتماعي وتوثيق العلاقات الإنسانية وغرس المودة والرحمة وإشاعة الخير والإيثار بين أفراد المجتمع ، بل أنهم وهبوا حياتهم في خدمة الناس و أساس وجودهم ، فقد ثبت عن الإمام الشافعي قوله في المتصوفة " استفتت من مجالسهم ( الصوفية ) أمرين لم استفد هما من مشايخ العلم، قولهم الوقت كالسيف وقولهم أشغل نفسك بالخير فإن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده"1، كل ذلك جعل من السلوك الساعي نحو التفكير في شؤون الناس يعد قيماً أخلاقية ومبادئ سلوكية ضمن البنية الفكرية والثقافية للمتصوفة تدخل ضمن الأطر التربوية للمريد. وهو ما يفسر عمق التشابك بين المتصوفة وأفراد المجتمع وقضاياها، وجعل من المؤسسات الصوفية المؤسسة الفاعلة الأولى في مجال الريادة الاجتماعية ومن التصوف مذهباً أخلاقياً اجتماعياً نفسياً وتربوياً.

وعلى الرغم من حجم الخدمات المتعددة التي ساهم بها هؤلاء المتصوفة في المجتمع وفي كل مجالات الحياة، إلا أن مفهوم المقاولة الاجتماعية لا تجد له تداولاً مباشراً أو غير مباشر في الأدبيات الصوفية، كون الخطاب الصوفي يركز في التعبير على تجربته في الكثير من المواقف على اعتماد الإشارات والتعبير الرمزي انطلاقاً من رؤية فلسفية مفادها أن اللغة حسب المتصوفة " تبقى عاجزة عن احتواء كل ما يقذفه الذوق في قلبه من معانٍ و أسرار و دلالات لأن العبارة لا تفي ببيان المضمون من كلام العارفين، إنما هي أنوار و إشارات تذوق النفس منها على قدر ما وهبها الله"1 . وهو ما يقتضي على الباحث في علاقة المقاولة الاجتماعية بالقيم الصوفية الاعتماد على التعدد المفاهيمي والدلال الاصطلاحي للكلمة كونها وردت بمفاهيم واصطلاحات متعددة، لكنها تمظهرت كممارسة سلوكية تدخل

1-عاصم الكيالي إبراهيم، رسائل الشيخ المستغانمي احمد بن مصطفى العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص41

2-محمود مصطفى، السر الأعظم، دار المعارف، ط2، مصر، 2002، ص12

ضمن السياق الأخلاقي في علاقة تداخل وارتباط مع قيم المحبة الإلهية والتي لا تتحقق للصوفي إلا عن طريق إظهار محبته للأفراد ضمن إطار حديث رسول الله " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " و قوله "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " كما تتمظهر في إطار جملة النشاطات والمبادرات الإبداعية التي سعى هؤلاء لتحقيقها من منطلق أخلاقي وإنساني و قيمي لخدمة المجتمع والاهتمام بالشأن العام في إطار مفاهيم السعي إلى المعروف والنهي عن المنكر. حيث ربط المتصوفة بين العمل الخيري والتضامني ضمن السلوك للميز للإنسان المسلم في مجاهدته لنفسه لتحقيق الكمال المرغوب، وكطريق سالك إلى الله حيث لا يتحقق السمو إلا بمحبة الآخرين. " وأن التصوف فكرا وعملا لا يتحقق إلا عبر المستوى الوجداني والسلوكي و العرفاني وأن المجاهدة النفسية لا تتحقق إلا بصدق الفعل والقول والخلق. كما أن مبدأ التضامن يتحقق بمقام الزهد الذي يشير إلى ترك حظوظ الدنيا والعدول عنها والتضامن يعكس السلوك الديني والقيم "1.

ما جعل من مفهوم المقاولات الاجتماعية ومبادئها ترد في سياق ضمني غير مباشر عبر مفاهيم عديدة كالإيثار والإحسان والعطاء والجود والسعي والمحبة ، وكلها مفاهيم تحمل دلالة رمزية وبعدا أخلاقيا وطريقا موصلا إلى محبة الخالق وهو جوهر ما يصبو إليه الرجل الصوفي ،وجعل من السعي نحو مساعدة الآخرين والبحث عن حلول لمشاكلهم لدى الصوفية تتجاوز مسألة العمل الخيري والإنساني المؤقت إلى كونها تعد طريقا يوصل الإنسان إلى قمة التجربة الصوفية و الإخلاص لله تعالى. يقول احمد مصطفى العلوي " من كان الأخذ أحب إليه من الإخراج فليس بفقير، إذ لا يكون الفقير فقيرا إلا إذا كان عنده الأخذ والعطاء على حد سواء. ومن كان الأخذ أحب إليه من العطاء فهو متهم لجمع الدنيا ممن يأكل الدنيا بالدين. إياك أن تتركن أيها الفقير للأخذ دون العطاء. فان كنت تأخذ من الخلق، فلك أن تمد

1-مسالي المصطفى، فلسفة الدين عند السادة الصوفية مقاربات دالة، مجلة آفاق فكرية، المجلد 2018،4، ص181

للخلق ولا تمنعهم حقهم.... وانظر بارك الله فيك وفي نسلك فيمن مضى من رجال الطريق وأنارهم وبذلهم وإعطائهم وزهدهم في ملكهم فضلا مما يأخذونه من الناس، فهم ينفقونه على الناس. فأنفق ولا تشتغل بما تتركه لأبنائك فذلك موكول لله عز وجل"1. كما أن اهتمام المتصوفة بشؤون الخلق ينطلق من لامبالاتهم بالدنيا وملذاتها واحتقارها وعدم الإقبال عليها، وكونها دار امتحان وليس إقبال. يقول الشيخ احمد العلوي "من اشتغل بالدنيا ابتلي بالذل فيها"2. وأن الإحسان ونزع مواطن الشح وتفضيل الآخرين على النفس تعد من أعلى مراتب الترقى بالروح لدى الصوفية، وأن مجاهدة النفس وتزكيتها ومحبة الخلق من محبة الخالق، هذه المحبة التي لا تتحقق الا بنبذ كل مظاهر الكراهية والأنانية. وفي ذلك يقول احمد العلوي انه "لا يتم للصوفي مقام المعرفة (والمعرفة تعني لدى الصوفية الحقيقة أو الانصهار في ذات الله) إلا إذا خلصت النفس من شوائبها المذمومة وتحلت بالحلل المحمودة"3، ما جعل من التصوف مدرسة روحية أخلاقية ذو نزعة إنسانية وجعل من الرجل الصوفي زاهدا غير مبال بالدنيا وغير ساع إليها مجاهدا لنفسه في كل أطماعها مغلبا مصالح الناس عليها.

كل ذلك جعل من مبادئ المقاولات الاجتماعية تنبثق من قيم التربية الروحية والتجربة الصوفية القائمة على تربية الفرد على الأخلاق والقيم الحسنة القائمة على الصلاح وروح المواطنة والدأب على خدمة المجتمع، حيث تنعكس آثار هذه التربية الخلقية في معترك الحياة لتنتج تعاطفاً وتواداً وتكافلاً بين أفراد المجتمع ككل وصولاً للشعور بالمسؤولية الاجتماعية وعلاقات التعاون. وهو ما جعل أهل الصوفية يتصفون عبر تاريخهم بخصائل العطاء والكرم والجود والسعي في مصالح الناس وتفريج الكرب عليهم والتخفيف من آلامهم وإثارة الغير على النفس وإزالة الشح والأنانية والعناية بالعمل وتجنب الكسل

1-مصطفى العلوي احمد، المواد الغيبيّة الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلاوية، ط1، الجزائر، 1994، ص38

2-مصطفى العلوي احمد، نفس المرجع، ص38

3-مصطفى العلوي احمد، نفس المرجع، ص74

وكون التربية الصوفية تدفع الإنسان إلى السمو الروحي والتحلي بفضائل الأخلاق عن طريق التراحم والعطف والحب بين الناس بعضهم البعض وتطهير النفس من أدرانها، حتى أصبحت هذه القيم جزءا لا يمكن فصله عن ثقافة الصوفي وعقيدته الثابتة.

## خلاصة الفصل الثاني

يعد مفهوم المقاولة حديث التداول في علم الاجتماع كونه ارتبط منذ ظهوره بعالم المال والأعمال، ومع كتابات ماكس فيبر بدء الالتفات للمفهوم من الزاوية السوسولوجيا وكون المقاولاتية ظاهرة سوسيو ثقافية اقتصادية متعددة المفاهيم والمداخل تجمع بين البعد المادي والثقافي. تعددت مفاهيمها ومجالاتها بتعدد المقاربات النظرية المهمة بتحليلها وتفسيرها، تشمل تحويل فكرة إلى إبداع في كل ميادين الحياة ومنها مجال الابتكار الاجتماعي والتي اصطلح عليها بالمقاولة الاجتماعية كممارسة ارتبطت بالوجود الإنساني وتفاعلاته وضمن مفاهيم وغايات وأهداف ووسائل انسجمت مع حجم التحولات الفكرية الثقافية والاقتصادية للمجتمعات، تتقاطع مع الكثير من المفاهيم (العمل الخيري التضامني الاجتماعي ) في الأهداف والغايات وتختلف معها في الوسائل والآليات. لتصبح في المدة الأخيرة أحد البدائل التنموية المطروحة في ظل الأزمات الاقتصادية المتكررة، انتقلت من استقبال وتوجيه المعونات إلى صناعة مواردها لتحقيق استمراريته وتطويرها. توطرها الكثير من الدوافع والأبعاد لعل أبرزها القيم الثقافية في مفهومها الشمولي ومنها الدين كقيم روحية وسلطة رمزية تساهم في توجيه سلوكيات الفرد واتجاهاته.

# الفصل الثالث

مؤسسة "ألف" مشروع نهضوي بطابع عصري لمؤسسة تقليدية

- 1- تاريخ نشأة وتطور مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي
  - 2- برامج مشروع مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي
  - 3- مؤسسة "ألف" نموذج مقابلة عصرية لمؤسسة تقليدية
  - 4- أبعاد المقابلة الاجتماعية للمؤسسة
  - 5- مناقشة النتائج على أساس الفرضيات
- نتائج الدراسة
- خلاصة الفصل الثالث
- الخاتمة العامة

## تمهيد

نسعى من خلال هذا الفصل إلى التعريف بمؤسسة "ألف" للإعلام عبر الإحاطة بتاريخ نشأتها والكشف عن أهم الأعمال التي ابتكرتها عبر تقديم خدمات تقنية في إطار نشاط تكنولوجياي عصري ، وكيف لمؤسسة تقليدية تُفكر في التأسيس لنهضة تكنولوجية و ابتكار برامج رقمية ترتبط بالتراث الروحي الإسلامي بهدف وضع بنك للمعطيات الإسلامية ، يتضمن برامج تتعلق بالفرقان والذي ركّز على البحث في أسباب وسياق نزول القرآن الكريم اعتمادا على ما ورد في كتب ست عشرة مفسر لأزمان مختلفة ،وبرنامج تقيّة الذي سعى إلى شرح وتقديم قواعد الإسلام بطريقة بسيطة بالنص والصورة، إضافة إلى برنامج المواقيت الذي اختصّ بالبحث وضبط مواعيد الصلاة وحلول شهر رمضان ومختلف الأعياد الدينية عبر مختلف أنحاء العالم بهدف تحقيق وحدة إسلامية، وكذا برنامج الأعلام الذي سعى إلى التعريف بسير وتاريخ أعلام العالم الإسلامي ، إضافة إلى برنامج الفريد والذي أسس لإدخال القرآن الكريم إلى جهاز الكمبيوتر بطريقة تقنية جديدة باللغات الفرنسية والعربية وباستغلال برامج تقنية سابقة للزمن والمكان الذي كانت تعيش فيه ، وهذا كله بفضل مجهودات جماعة من الشباب المسلمين بشكل تطوعي عبر استغلال لموارد الزاوية المالية ومن دعم الموردين بعيدا عن الدعم الرسمي ودون السعي إلى تحقيق فوائد مالية أو غايات ذاتية ، حيث نسعى إلى الكشف إلى أي حد يمكن اعتبار هذه النشاطات تدخل ضمن رؤية منهجية واستشرافية تجعل منها مقالة اجتماعية تعكس وتجسد العناصر المطلوبة في المقاولاتية الاجتماعية انطلاقا من المقاربة النموذجية التي وضعها كل من ( jacques defourny .Carlo Borzaga.2001). المتضمنة البعد الاقتصادي ، البعد الاجتماعي والبعد الإداري في المؤسسة بصفتها مؤسسة تضامنية أسست لمفهوم الابتكار والسعي الاجتماعي عبر الخدمات التي سعت إلى تحقيقها بشكل مجاني مستندة في ذلك على مجهودات مريدي الطريقة العلوية ، أم أنها تُعد مجرد مبادرات تدخل ضمن سياق النشاطات الخيرية التقليدية التي تقوم بها أغلب مؤسسات الزوايا .على أن نناقش

فرضيات الدراسة وفق البيانات المتحصل عليها و نختتم الدراسة بخلاصة عامة تتضمن أهم النتائج المستخلصة. مع الإشارة إلى الغياب الكلي للكتابات التاريخية و السوسولوجية والأكاديمية التي تؤرخ لمسار هذا المشروع باستثناء بعض المقالات الصحفية ذات الطابع المحلي، حيث أن كل ما تحصلنا عليه من معلومات كان شفوياً من قبل الأفراد الذين عايشوا التجربة منذ انطلاقتها، منهم بعض من أفراد عائلة الشيخ خالد بن تونس ومنهم المردين والمتطوعين في المشروع وأغلبهم الآن في العقد السابع من عمره. وهو ما يعد محاولة لتأريخ هذه النشاطات والمبادرات.

## 1- تاريخ نشأة وتطور مؤسسة ألف للإعلام الآلي

إن القرآن الكريم بترائه الروحي ومعجزاته الكثيرة لا يزال يمثل مركز اهتمام الجهود العلمية لعلماء الأمة الإسلامية منذ القديم، حيث سعوا إلى البحث في القرآن والكشف عن دلائل تميزه وفهم مقاصده ومحاولة تفسيره وشرح معانيه ومقاصده وأسباب نزوله. كما سعى البعض منهم إلى ترجمته للغات العالمية بـغية تقديمه للناس أجمعين على نحو يُسهل التعامل معه قراءة وفهما ونطقا سليما وبحثا ميسرا. إذ أفرزت هذه الجهودات المختلفة الكثير من البرامج بـغية تقديمه ضمن شكل وطريقة جذابة خاصة في ظل التطور التكنولوجي والتحول الرقمي و توظيف الذكاء الاصطناعي والمعالجة الرقمية، كلها عوامل ساهمت في تقديم القرآن الكريم بصورة تمكنهم من الاطلاع على معجزاته ودلائل قدرة خالقه، وعلى مختلف البيانات التي يحتويها مثل ( عدد الحروف، الآيات، نوعها، مكان نزولها، أسباب وسياق نزولها) وهي كلها اجتهادات كانت تسعى إلى تيسير فهم معانيه، وتسهيل نشره وسمعه وكتابته وصولا إلى دمجها في الوسائط المختلفة والأقراص ذات الأحجام المتعددة، خاصة في ظل التطور التكنولوجي المتسارع الهائل الذي عرفه العالم الرقمي في السنوات الأخيرة، حيث نجد أن أكبر المؤسسات في الدول الإسلامية رصدت ميزانيات ضخمة لأجل تحقيق هذا المشروع خاصة في دول الخليج العربي .

إذ وعلى الرغم من أن البرامج الإلكترونية العربية للحاسوب تُعد حديثة العهد في المجتمع العربي عامة إلا أنه وعلى المستوى المحلي ومن خلال الزاوية العلوية بولاية مستغانم تم ابتكار منظومة الكترونية عبر مؤسسة ألف للإعلام الآلي التابعة للزاوية و بمجهودات وتمويل الشيخ خالد بن تونس ومن معه من مريدين ومحبين ، عملت على إنشاء برامج رقمية الكترونية تهتم بوضع بنك للمعطيات الروحية الإسلامية تتضمن القرآن الكريم بسياق و أسباب نزوله وإدخاله لجهاز الحاسوب باللغتين العربية والفرنسية والحديث النبوي وقواعد الإسلام وأعلامه بطريقة جديدة مبتكرة باستخدام تكنولوجيا الإعلام الآلي وباللغات العربية والفرنسية في بادرة كانت هي الأولى على المستوى العربي لتعد سابقة لزمانها ومكانها.

مؤسسة ألف للإعلام ALIf info هي في الأصل مؤسسة اقتصادية بدأت نشاطها بداية السبعينيات، لها سجل تجاري تنتج سلعا وخدمات وتحقق فوائد، تعود ملكيتها للزاوية العلوية "انتظمت كمؤسسة وشركة مهيكلت تتكون من رئيس المؤسسة والكاتب وأمين المال والأعضاء ويسجل تجاري وموظفين ومتطوعين. تباع سلعا وخدمات وتوجه جزءاً من مداخيلها لخدمة الأغراض الاجتماعية " المقابلة رقم 1.

مقرها المركزي بشارع بن برنو تواتي بمدينة مستغانم ،ولها رأس مال يعادل 11000000 دينار جزائري و بها تسعة عمال ،تختص ببيع و إعادة دمج الأجهزة الإلكترونية ،تبنّت وموّلت مشروع بنك المعطيات الإسلامية والتراث الروحي ضمن مبادرة علمية تكنولوجية أشرف عليها الشيخ الحالي للزاوية العلوية ، كما مولت مشاريع أخرى ذات طابع اجتماعي تضامني وتربوي واقتصادي تسعى من خلالها إلى بناء إنسان متوازن بين قيمه الروحية الأصيلة ومتطلبات عصره المتحول باستمرار يحمل منظومة فكرية و أخلاقية تعكس هويته الإسلامية، ولا يتحقق ذلك إلا عبر تربية روحية هادفة. وقد سمي المشروع بألف تكريماً للحرف "ألف" كونه أكثر الحروف تكراراً في القرآن الكريم، وأنه أول حروف القرآن الكريم التي نزلت على سيد الخلق محمد في كلمة "اقرأ".

يعود تاريخ التفكير في إنشاء مشروع رقمنة التراث الإسلامي عبر مؤسسة ألف للإعلام الآلي من قبل الشيخ خالد بن تونس الشيخ الحالي للطريقة العلوية إلى سنة 1978 حينما سافر الشيخ خالد إلى الولايات المتحدة الأمريكية رفقة أحد أصدقائه (عبد القادر كريس ابن اللورد البريطاني كريس بروكوي الذي كان قد دخل الإسلام عن طريق الشيخ محمد المهدي بن تونس أب الشيخ الحالي للطريقة العلوية) حيث كان عبد القادر كريس يعمل آنذاك بأمريكا في شركة مختصة بالإعلام الآلي تابعة للشركة العالمية IBM ،إذ تزامنت تلك الفترة مع تطور أجهزة الحواسيب الشخصية وفي أثناء زيارته لمدينة كاليفورنيا و اطلاعه على التقدم التكنولوجي الهائل بالولايات المتحدة . جعل الشيخ يبدي إعجابه بهذا التطور التكنولوجي ويتساءل عن إمكانية استغلال وتوظيف هذه الثورة العلمية والوسائل الحديثة في إعادة نشر وبعث التراث الإسلامي

والمحافظة عليه عن طريق بنك للمعطيات الإسلامية والروحية. وهنا بدأت تتبلور الفكرة لدى الشيخ في إدخال التراث الإسلامي في جهاز الحاسوب بهدف المحافظة على الذاكرة الإسلامية والتراث الروحي للأجيال القادمة بطريقة وأسلوب يتماشى مع حجم التطورات التقنية الحاصلة والمرتبقة في العالم. وإعادة تنظيمها على شكل برمجيات وقواعد بيانات وتطبيقات تقنية عن بعد لتسهيل استخدامها من قبل الجمهور الواسع ومن كل الثقافات.

ولمّا عاد الشيخ إلى فرنسا شرع في تجسيد الفكرة تدريجياً "على الرغم من العراقيل والصعوبات والمشاكل التقنية و اللوجستية والمادية التي صادفته إلا أن البرنامج انطلق بفضل جهود ومثابرة وإيمان وصدق نوايا الشيخ و العاملين في المشروع " المقابلة رقم 1 في بداية ثمانينات القرن الماضي لتصميم بنك عالمي للمعطيات الإسلامية بهدف المحافظة على التراث الإسلامي و رقمته (نصوص ،وثائق تاريخية) وتسهيل الوصول إليه والاطلاع عليه من قبل عامة الناس، بواسطة استخدام تكنولوجيا الإعلام الآلي ضمن ابتكار برامج تقنية تُقدم بشكل مجاني لتسهيل من عملية البحث والوصول إلى البيانات المتعلقة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكل ما يتعلق بفرائض الإسلام وأعلام المسلمين . فكانت الخطوة الأولى توفير الوسائل الضرورية بإحضار أجهزة الحاسوب من فرنسا وتحضير فريق للعمل تنقسم على مجموعات على أن يتكفل كل فريق بإنجاز مهمة معينة. حيث امتد العمل بالمشاريع لغاية 1994 أين توقف نظر للظروف الأمنية التي عرفتها الجزائر .

إذ وعلى الرغم ما ميّز مرحلة ما بعد الاستقلال في الجزائر بسيطرة أجهزة الحزب الواحد في إطار نظام اشتراكي منغلَق على كل أجهزة الدولة ، والدولة هي المشرفة والموجهة لكل النشاطات والمبادرات الاقتصادية والمشاريع التنموية في إطار سياسة اجتماعية تقوم على التخطيط المركزي .تمثل أجهزة الدولة دور المقاول كما تمثل وتسيطر على الجمعيات والمنظمات ذات الأهداف الاجتماعية في إطار سياسة مساندة أجهزة الحكم وتزكية الحاكم حيث تحكمها وتسيطر عليها وتوجهها أجهزة الأمن ،كما يديرها

ويشرف عليها ويترأسها أعضاء الحزب الحاكم في إطار ومنع بروز اجتهادات خاصة في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي. لكون أجهزة الدولة كانت تعتبر هي الوصي و المسئول الوحيد عن جميع المبادرات الخاصة والعامة. وفي ظل هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تبرز مبادرات اجتماعية وتضامنية خاصة تقودها وتوظفها مؤسسات اعتبارية خاصة وشخصيات ذات بعد رمزي وقوة روحية تخرج عن المألوف وتسعى إلى ابتكار مشاريع ذات طابع اجتماعي تعليمي غير ربحية. يتكون مشروع بنك المعطيات الإسلامية "ألف ALIF" من ستة برامج رئيسية وكل منها يتشكل من ميادين فرعية تختص بموضوع معين، يشرف عليها متطوعون من مريدي الزاوية العلوية وغيرهم يوظفهم مسؤول على المجموعة التي تشكل فيما بينها مجلسا علميا يناقش ويصادق على الأعمال المنجزة.

## 2- برامج مشروع مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي

### 2-1 البرنامج الأول: الفرقان

برنامج انحر بمدينة غليزان بالجزائر وامتد العمل فيه منذ 1980 إلى غاية 1992، تشكلت المؤسسة من فريق عمل يتكون من 80 فردا متطوعا مقيمين بولاية غليزان ومستغانم شبابا منهم الجامعيين ومنهم ما دون ذلك من تخصصات مختلفة. حيث كُلف مهندس سويسري بوضع برمجية لنظام الإعلام الآلي يحوي اللغات العربية الفرنسية، وهو عبارة عن برنامج الكتروني يُساعد في قراءة النصوص القرآنية بطريقة سهلة وسريعة كما يسمح بقراءة حديثة للنصوص الإسلامية بطريقة تتلاءم وروح الاكتشاف العلمي العصري لسهولة تعليم التراث الإسلامي. يتضمن البرنامج جزءًا يختص بالبحث في القرآن الكريم وجزءًا يختص بالحديث النبوي الشريف.

**أولاً: برنامج القرآن الكريم**

1- برنامج المعطيات العامة والذي يُمكن من الاطلاع بطريقة آلية على كل سور القرآن الكريم انطلاقاً من

اسم السورة أو رقم ترتيبها، إضافة إلى عدد آياتها ومكان نزولها مدنية أو مكية ورقم الترتيب حسب النزول. كما يتضمن البرنامج أسباب نزول الآيات والسور وسياقها الذي نزلت فيه.

2- برنامج النص القرآني والذي يمنح إمكانية البحث عن الآيات حسب عدد من معايير الانتقاء مثل رقم

السورة والآية والجزء والحزب، أو من خلال كلمة أو عدد من الكلمات أو موضوع من المواضيع التي تُعالجها آية أو سورة معينة.

**ثانياً: برنامج الحديث النبوي**

في حين يتضمن جزءاً الحديث كل الأحاديث النبوية الشريفة التي علقت على القرآن الكريم بشكل كامل أو على بعض من الآيات. كما تضمن برنامج الفرقان فهرس المفردات ومعجماً للمتردفات، كما شمل معجماً مفهوماً للمتردفات يحوي 50000 مرجعاً للبحث عن طريق الكلمات ومرادفاتها.

وحفاظاً على مصداقية وصحة هذه المحتويات كونها ترتبط بكتاب القرآن الكريم الذي لا يحتمل التأويل أو الخطأ وتحقيقاً لأعلى درجات المصداقية تم الاعتماد على ملاحظات الكثير من الهيئات والمعاهد الدينية الإسلامية والتي قدمت ملاحظات حول محتويات البرنامج. وبفضل ما تميّز به البرنامج من سهولة في

تفسير القرآن الكريم باللغة الفرنسية اعتماداً على ما جاء في تفسير المستشرق الفرنسية (دونيس

ماسون 1901-1994). Denise Masson ، ثم ترجمة محمد حميد الله (1908-2002) جعل

البرنامج يحقق صدق وقبول وسمعة واسعة لدى المختصين والوافدين الجدد على الإسلام.

امتد برنامج "الفرقان" بين الفترة 1980-1992 وفق ما تداوله 16 مفسراً بواسطة 142 مجلداً حيث تم

اعتماد كتب التفسير وفق مبدأ التنوع الفكري وعلى أساس مختلف المشارب والاتجاهات الفكرية تحقيقاً

لمبدأ الإجماع بين العالم الإسلامي. ولتحقيق حق الاختلاف بين مختلف المقاربات النظرية والتوجهات الفكرية التي يزخر بها العالم الإسلامي وصولاً للهدف المنشود وهو وحدة الأمة الإسلامية.

يقول أحد المبحوثين في موضوع التفسير المعتمدة "لقد اعتمدنا على أهم التفسيرات ذات المصادقية والموضوعية العلمية من مختلف الاتجاهات حتى نحقق أكبر قدر من الإجماع والوحدة بين المسلمين، لأن العمل في الأساس كان يسعى لتحقيق وحدة المسلمين في أقدس كتبهم" المقابلة رقم 1

وذلك ضمن مقارنة فكرية اعتمدها الشيخ الأول للطريقة العلوية تقوم على فكرة توحيد المسلمين وعلى ضرورة السعي الدائم لتحقيق الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب كضرورة وجودية للمجتمعات الإسلامية، وأن الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المشروع الإصلاحية الإسلامي هو توحيد صفوف الأمة الإسلامية والتوفيق بين المدارس الفقهية.

ويضيف آخر " البحث في 16 تفسير كان فيه مشقة كبيرة لكن إرادة الجماعة وتحفيز الشيخ ساعدنا على العمل ليلاً نهاراً وكل يوم لكي نقوم بعمل يليق بقيمة القرآن الكريم" المقابلة رقم 5.

حيث اعتمدت اللجنة العلمية للمشروع الخاص ببرنامج القرآن وأسباب النزول وسياقه على مبدأ التنوع الفكري والبحث في أغلب الآراء والمذاهب الفكرية والفقهية المختلفة.

كان محور البرنامج قائماً على معرفة أسباب النزول كونه يُعد من أهم العلوم الشرعية التي تختص بالتعرف والكشف على نزول الآيات القرآنية وما يتعلق بها من قضايا وأحداث ومواقف سبقتها وظروف أحاطت بنزولها من خلال الأحاديث النبوية الشريفة وبالعودة لآراء الصحابة الذين شهدوا وعاشوا الأحداث. كما ساهم برنامج الفرقان حسب شهادة كل القائمين على المشروع في تيسير البحث وإظهار الآيات بشكل سريع، وفي إثارة جذب انتباه المستخدمين المستهدفين وتحفيزهم على الفهم والإدراك والمتابعة والتركيز واختصار الوقت والجهد والتكلفة عند الاطلاع على القرآن الكريم. كما وتظهر أهمية معرفة أسباب نزول آيات القرآن الكريم كونه من الشروط الأساسية لتفسير وفهم وتوضيح معاني الآيات، ومعرفة وجه

الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. كما اهتم البرنامج بالكشف عن سياق نزول الآيات القرآنية كون السياق القرآني يعد حسب المختصين بعلوم القرآن شرطاً جازماً في فهم وتفسير الآيات يقوم "على كشف وتتبع كل ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية وخارجية" 1 .

إضافة إلى أن مفردات اللغة العربية واسعة الدلالة ولا يمكن فهم معانيها الا بالنظر إليها في ضوء سياقها فمنها تتضح معالمها كما يقول اللغويون.

## 2-2 البرنامج الثاني: التقيية:

ويختص بقواعد الإسلام الخمسة وشرحها بكيفية جذابة وبوسائط تقنية مثيرة مسموعة ومرئية، يحتوي على مواضيع فقهية تخص قواعد الإسلام الخمس الشهادتان، الصلاة، الصيام، الزكاة والحج إضافة إلى موضوع الطهارة. حيث مكن البرنامج مستعمليه بالاطلاع على كل المعلومات المتعلقة بالفرائض والسنن والإجابات المحتملة لكل الإشكالات الفقهية، كما يسهل البرنامج على المبتدئين في ممارسة الفرائض على سهولة تعلمها عن طريق تقديمها المعلومات الكافية بالنص والصورة. فكان البرنامج ذا محتوى عملي يستند إلى معلومات شرعية فقهية موثقة من هيئات دينية مرموقة وموثوق فيها، وبطريقة بيداغوجية تعليمية عالية وبسيطة تحوي معارف دينية شرعية كانت محل مراجعة أكاديمية أنجزها خبراء من المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم. كان البرنامج التعليمي الديني تقيية موجهاً إلى كل الراغبين في تكوين تصور وفكرة موضوعية عن القيم الإسلامية.

ولكون برنامج تقيية يحتوي على مسائل فقهية تختص بقواعد الإسلام الخمسة بطريقة تقوم على أسئلة وإجابات توضيحية لمختلف التساؤلات المحتملة المطروحة، ومن أجل عرض وشرح مشروع برنامج "تقيية" لقواعد الإسلام توجهت اللجنة الإعلامية المشرفة على البرنامج سنة 1986 إلى المملكة العربية

1- بن محمد بن مخلوف الثعالبي عبد الرحمن، جواهر الحساب في تفسير القرآن، الجزء الأول، مؤسسة الأعملي للطبوعات، لبنان، 1906ص45

" السعودية حيث عرضت المشروع على لجنة علماء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من أجل استيفاء النصح والرأي الشرعي. كما قدّم مشروع تقيّة في باريس سنة 1987 أثناء افتتاح أسبوع معهد العالم العربي حيث تلقت هذه المبادرة التشجيع والإشادة من الحاضرين.

### 2-3 البرنامج الثالث: المواقيت

انحز بباريس بفرنسا مستندا في ذلك على الخوارزميات التي طورها المعهد الفلكي لجامعة بيسونسن بفرنسا، مكّن البرنامج من حساب وضبط مواقيت الصلاة الخمسة في أي موقع جغرافي يكون فيه المستعمل على مستوى الكرة الأرضية بالتوقيت المحلي والعالمي، كما مكّن البرنامج من تحديد تاريخ بداية ونهاية شهر رمضان في كل مكان عبر العالم، وكذا تاريخ الأعياد الدينية الإسلامية عيدي الفطر والأضحى وكذا اتجاه القبلة. كما مكّن البرنامج من التدقيق في تواريخ الرزنامات التاريخية الهجرية والميلادية واليونانية والبحث عن كل التواريخ سواء الماضية أو المستقبلية للمناسبات والأعياد المختلفة بهدف تحقيق وحدة المسلمين في الشرائع الإسلامية.

### مثال تطبيقي على برنامج المواقيت

- ما هي المدينة التي تود البحث فيها؟ الجواب مدينة باريس
- ما هو التاريخ المراد معرفته الموافق للتقويم العربي ليوم 19 أكتوبر 1987؟ الجواب هو 25 صفر 1408
- ما هو توقيت الصلوات الخمس ليوم 19 أكتوبر 1987؟ الجواب يكون بتقديم التوقيت المحلي والعالمي للصلوات الخمس وفي كل أقطار العالم وبطريقة سريعة وآلية.
- ما هو تاريخ عيد الفطر المبارك في دولة تونس عام 1984. بحيث تقدم الإجابة وبطريقة آلية وسريعة ويشكل مباشر.

## 2-4 البرنامج الرابع: الفريد

يعتبر برنامج الفريد حسب القائمين على المؤسسة والمشاركين في المشروع أهم البرامج التي أنجزتها المؤسسة، وقد أطلق عليه الشيخ خالد بن تونس اسم الفريد نسبة للمهندس فريد شتوكي المغربي الأصل والفرنسي الجنسية الذي أشرف على إنجاز المشروع. كونه يعد البرنامج الأول الذي أدخل القرآن الكريم في جهاز الكمبيوتر باللغة العربية والذي كان يعد أول برنامج على مستوى العالم العربي قبل ظهور برنامج الميكر وسوفت وورد (Microsoft Word) في بداية 1983، وتم ذلك بواسطة برنامج ms dos والذي يعد مجموعة متكاملة من البرامج تقوم بإجراءات التشغيل الضرورية لإدارة جميع وحدات الحاسب من طراز IBM أو المتوافقة معها. ويطلق عليه الـ DOS وهي اختصار للأحرف الأولى من العبارة DISK OPERATING SYSTEM. والذي يحتفظ ببرامج نظام التشغيل على أسطوانات مرنة أو يتم وضعه على الأسطوانة الصلبة، ظهر سنة 1980 من طرف شركة مايكروسوفت.

مثل برنامج الفريد قفزة نوعية في عالم البرمجيات وكونه يعد أول برنامج حسب القائمين عليه عمل على إدخال الحرف العربي إلى جهاز الحاسوب ومن ثم إدخال القرآن الكريم إلى جهاز الكمبيوتر بحركاته المختلفة على الرغم من المشاكل التقنية التي واجهت القائمين عليه حول مشكلة إدخال الحروف العربية والحركات المختلفة على الجهاز، وأن هناك متطلبات تقنية عديدة يحتاجها الأمر لإنتاج طريقة جديدة تمكن المستخدم العربي من استخدام الحاسب الآلي بلغته الأصلية. ما جعل من المشروع قفزة نوعية وتجربة رائدة في المجال التكنولوجي العربي في مرحلة متقدمة جدا. كما تمكن البرنامج من إدخال بعض الصور القصيرة في شكلها الصوتي على جهاز الكمبيوتر بسبب العراقيل والمشاكل التقنية التي كانت تواجه التقنيين القائمين على المشروع.

إن السمعة العالمية لمشروع "ألف" خاصة برنامج الفريد جعلت منه محط أنظار الكثير من الدول خاصة الخليجية منها والتي حاولت في العديد من المرات تبني المشروع المبتكر من مؤسسة ألف إلا أن موقف

الشيخ خالد بن تونس كان رافضا للفكرة وأصرّ على حقوق ملكية المشروع كونه كان مشروعاً إسلامياً ذا طابع مجاني لا يسعى من ورائه إلى تحقيق منافع مادية بقدر ما كان يسعى إلى جعله صدقة جارية تقدم خدمة للمسلمين والبشرية عامة، ما عزز من قوة الفكرة ودفع إلى السعي نحو تجسيد هذه البرامج قبل الكثير من الدول العربية. وعلى الرغم من الصراع المرير على أحقية المشروع (مشروع إدخال الحروف العربية في الحاسوب) مع مؤسسة صخر السعودية في امتلاك البرنامج، إذ وعلى الرغم من المحاولات المتكررة والإغراءات الكبيرة إلا أن الشيخ خالد بن تونس أصرّ على حقوق ملكية المشروع. حيث يقول القائمين على المشروع لقد حاولت السعودية وعبر برنامجها "صخر" أن تمتلك أسبقية الفضل في ابتكار برنامج حاسوبي يتعلق بقضايا القرآن الكريم والحديث النبوي من خلال تبنيها لمشروع الشارخ للباحث الكويتي محمد الشارخ.

## 2-5 البرنامج الخامس: الأعلام

وهو برنامج يختص بتاريخ الشخصيات الإسلامية عبر مختلف العصور. كان يسعى إلى التعريف بالشخصيات الإسلامية والإحاطة بهم ونسبهم وفترة تواجدهم، وكذا سيرهم وتراثهم والأعمال التي قاموا بها عبر وضع بطاقة فنية لكل علم من أعلام الإسلام ولمختلف المراحل التاريخية. تكوّن البرنامج من أفواج عمل عبر أغلب ولايات الوطن يتكفل كل فريق بمجموعة من الأعلام للبحث فيها وجمع البيانات على أن يتم تدوين البيانات الموثقة التي يتم التوافق عليها. وصل البرنامج إلى مرحلة البحث والتدوين وجمع البيانات حول أكثر من ألف شخصية إسلامية عبر مختلف العصور، ونتيجة للظروف التي عرفتھا الجزائر آنذاك توقفت عملية رقمنة المشروع وهو ما تم تجديده في سنة 2019 عبر مشروع أحد. والذي جاء من أجل تمكين الجيل الجديد من معرفة حقائق الأحداث والوقائع والعبر وتوثيق الصلة بين الشباب المسلم وماضيه ليستلهم الدروس والعبر وتجديد لمسعى مشروع ألف بجيل جديد وفكر متجدد.

## 2-6 البرنامج السادس: الفقيه

هو برنامج فقهي اهتم بالأحكام الشرعية المستنبطة من أدلتها الشرعية انطلاقاً من مصادرها المختلفة ووفقاً لرؤية الأئمة الأربعة المالكية، الحنبلية، الشافعية، والحنفية.

اهتم البرنامج بكل مسائل العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، من خلال العمل على تقديم فتاوى وإجابات حسب المذاهب. كان البرنامج يهدف لتسهيل الوصول إلى الفتاوى عبر مختلف المذاهب وتصويب الممارسات الدينية وتصحيح مسالك الممارسة الدينية والإجابة على قضايا تهم الإسلام والمسلمين في شؤون حياتهم المختلفة. كما أن البرنامج يسعى إلى إثراء الرصيد العلمي الفقهي الإسلامي وتوحيد المسلمين وتقوية صفوفهم. وعلى الرغم من أهمية المشروع إلا أنه لم ير النور كونه توقف العمل عليه نتيجة الظروف السياسية التي عرفت الجزائر من جهة ونتيجة ما يتطلب من وسائل كانت غير متوفرة في تلك الفترة، إلا أنه تم إعادة إحياء المشروع عبر برنامج أحد. "برنامج الفقيه لم يكتمل إنجازاً وهو ما سيعيد برنامج أحد العمل على تنفيذه كون أننا تلقينا فيه صعوبات لوجستية. حيث سيتم إعادة بعثه بإشراف أستاذ متخصص من خلال ورشة تهتم ببرنامج الفقيه" المقابلة رقم 1.

ومن أجل عرض تجربة مشروع "ألف" والتعريف بالإنجازات التي قامت بها اعتمدت اللجنة المشرفة على المشروع بتنظيم العديد من الصالونات والمؤتمرات والمعارض المحلية والدولية بهدف عرض المشروع وشرح أهدافه ومميزاته التقنية. فعلى المستوى المحلي تم تقديم المشروع في أكثر من 25 ولاية. حيث تم التقديم الرسمي للبرنامج برياض الفتح عام 1987 بحضور ممثلين سامين للدولة حيث لقي البرنامج ترحيباً وإشادة كبيرة من قبل أساتذة وعلماء جزائريين مختصين في العلوم الإسلامية.

بعدها توجه القائمون على برنامج "ألف" لمنطقة بني ميزاب بغرداية للاستفادة من آراء علماء مذهب الإباضية حول المشروع الفقهية للبرنامج، وبعد دراسة وتمحيص ونقاش من قبل لجنة حكماء بني يزقن بغرداية أعلنوا عدم تعارض أعمال معهد "ألف" وبرامجه الفرقان والتقنية مع النصوص القرآنية وروح التعاليم

الإسلامية، حيث شجعوا المبادرة لكونها تؤسس لنشر الدين بطريقة عصرية. وفي سنة 1988 قام معهد ألف بعرض أعماله في قصر الثقافة بالعاصمة، كما برمج تنظيم دورة على كل دور الثقافة عبر التراب الوطني لتنظيم معارض تحت شعار "نحو المستقبل بواسطة الجذور والمنابع". قدمت خلال هذه المعارض التفاسير المختلفة للقرآن الكريم عبر العصور باستخدام الإعلام الآلي حيث ادخل القرآن الكريم كتابة على البرنامج في حين تم تشغيل بعض الصور بالصوت نظرا للصعوبات التقنية التي كانت تواجه المشروع. وفي سنة 1989 وفي إطار الصالون التكنولوجي الجديد بالعاصمة وبالشراكة مع شركة "بيل الجزائر" (Bull Algérie) قدم للرئيس المرحوم شاذلي بن جديد حاسوبا مجهزا ومزودا ببرنامج الفرقان. وكان آخر معرض نظم بالجزائر العاصمة عام 1991 بعنوان تقنيات الإعلام الآلي بسيدي فرج بحضور شخصيات وطنية وخارجية من وزراء وسفراء العالم الإسلامي والأوروبي والذين اندهشوا لحدثة تقنيات المشروع، لكن ومع بداية الأزمة السياسية والأمنية في الجزائر توقف المشروع ولم يتم الإشهار له بكيفية واسعة. أما على المستوى الخارجي فقد نظمت المؤسسة أول معرض لها بباريس في فرنسا في شهر سبتمبر من عام 1984 والذي صادف الذكرى الخمسينية لوفاة الشيخ أحمد العلوي مؤسس الزاوية العلوية بمدينة "شيسي" بباريس وبحضور عدد كبير من الشخصيات والأتباع. كما عرضت اللجنة المنظمة معرضا بمدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية سنة 1986. وفي سنة 2015 وبطلب من المعهد الملكي البلجيكي تم تقديم معرض تضمن أعمال مشروع ألف وأهم المحطات والإنجازات التي ابتكرها. كما شهدت سنة 1988 إعلان المؤسسة عن حيازتها لرقم عبر خدمة "مينيتل" minitel و هي خدمة على الخط مبنية على فيديو تكتس Vidéo texte يمكن الولوج إليها عبر خطوط الهاتف والتي كانت من أنجح الخدمات على الخط التي سبقت الويب. تم إطلاقها في فرنسا عام 1982 بواسطة شركة الاتصالات والبريد الفرنسية لخدمة الجالية المسلمة في فرنسا من خلال تقديم خدمات معلوماتية عن الإسلام (المعلومات الفتاوي الثقافية الدينية). كما قام المعهد ببيع مجلة Alif info الدورية والتي كانت مخصصة

لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة والتي تهتم بنقل التكنولوجيا من الشمال إلى الجنوب صدرت المجلة سنتي 1987-1988.

كما قدمت اللجنة المكلفة بمشروع ألف تحت رعاية الشيخ خالد بن تونس مشروعها لقداسة بابا الفاتيكان جون بول الثاني في نوفمبر 1989 وأهدته برنامجا الفرقان والتقية ونسخة من القرآن الكريم باللغة العربية ونسخة مترجم فيها القرآن الكريم للغة الفرنسية عبر ترجمة "دونيس ماسون" بواسطة قرص مرن disquette حيث اندهش الفاتيكان من التقنية المستخدمة وشرع في تنفيذ برنامج مشابه لرقمنة الإنجيل، ما أسس لتبادل الخبرات والمعلومات مع خبراء المعهد البابوي للدراسات العربية الإسلامية بروما.

مع الإشارة إلى أن مؤسسة ألف كوحدة اقتصادية وبنية اجتماعية لازالت نشاطاتها مستمرة لحد الآن، كما لازالت تمارس دورها الريادي الاجتماعي عبر مجالات تربية واجتماعية أخرى مثل التكوين المهني والتمهين للشباب، دروس الدعم للتلاميذ وأقسام الحضانة والتحضيرية وبنفس النهج القائم على تخصيص جزء من مداخنها لاستمرارية هذه المشاريع التي تدخل ضمن الابتكار الاجتماعي للخدمات. إلا أن مشروع بنك المعطيات الإسلامية والتراث الروحي توقف نتيجة للظروف الأمنية والسياسية التي عاشتها الجزائر، في حين تم إعادة تجديد المشروع في المدة الأخيرة (2019) عبر مشروع أحد بجيل جديد من أبناء الرعييل الأول المشارك في برنامج ألف.

### أهداف المشروع

لقد كان برنامج ألف تجربة رائدة في مجال الإعلام الرقمي في فترة زمنية لم يكن ممكنا لأفراد المجتمع الجزائري والمغربي عامة استعمال هذه التقنية. ما جعل منها مسعى فريدا من نوعه خاصة وأنه جاء من إشراف وابتكار زاوية صوفية تقليدية. فقد كان البرنامج يسعى إلى توفير رصيد إسلامي موحد مختزن وشامل للبيانات العلمية والأرقام والإحصاءات التي تهتم العالم الإسلامي وكذا تحليل القرآن الكريم تحليلا

مختزنا في أرقام باعتماد لغة الكمبيوتر وبمعالجة قضايا فقهية وسير تاريخية بطريقة آلية. فكان المشروع يهدف إلى:

- إعادة اكتشاف التراث الإسلامي وبيانات القرآن الكريم المختلفة بأسلوب سهل وسريع

- تسهيل عملية البحث واكتشاف فقه أركان الإسلام بالنص والصورة خاصة للمبتدئين

- تسهيل البحث وضبط مواقيت الشعائر والأعياد الدينية عبر كل أقطار العالم

### 3- مؤسسة ألف للإعلام الآلي نموذج مقابلة عصرية لمؤسسة تقليدية

ما جعل من مشروع "ألف" لرقمنة التراث الإسلامي مبادرة علمية وتكنولوجية ذات سمعة تجاوزت حدود الوطن كونه أحدث تحولات في كيفية تعامل المسلم مع بيانات القرآن الكريم والتراث الروحي الإسلامي بشكل عام خاصة أنه جاء من حركة دينية صوفية تقليدية غير مدعومة في تمويل المشروع من مساهمة المؤسسات الرسمية أو من جمعيات المجتمع المدني، جسدت مشروعها بفضل جهود وإمكانات القائمين عليها وقوة إيمانهم وصدق طموح مبتكر الفكرة الأول الشيخ خالد بن تونس لإدخال معالم التكنولوجيات الحديثة لمجتمع كان تقليديا في وسائله وبسيطا في طرق تعليم ونشر المعارف الدينية والدعوة إليها. وهو ما جعل مشروع ألف يعد مؤسسة تعليمية وكيان اجتماعي ومنظومة ثقافية قبل أن يكون وحدة إنتاجية ربحية بنمط ووسائل عصرية لمؤسسة تقليدية أدركت أهمية التكنولوجيات الحديثة كقناة أساسية لاكتساب المعرفة وإنتاجها والتحكم فيها وتوظيفها لنشر المعارف الإسلامية والمحافظة عليها بطريقة مبتكرة تؤسس لحركة التغيير التي عرفها المجتمع الجزائري. وجعلت من المشروع مؤشر على خطاب التجديد الفكري القائم لدى الزاوية العلوية ورسالة قوية مفادها ضرورة اندماج الفرد المسلم وانفتاحه على الفضاء الخارجي لتشكيل معالم إنسان حداثي يجمع بين أصالة دينه ومتطلبات العصر الذي ينتمي إليه، ضمن انفتاح منضبط على دمج التقليد بالحديث. وأن اكتساب العلوم الحديثة واستغلالها أصبح ضرورة لتحقيق التنمية

والتواصل مع المجتمعات ووسيلة للتحديث الاجتماعي والاقتصادي ضمن إطار أخلاقي وروحي محدد. "جاء المشروع في ظل التحديات الحضارية والمخاطر الثقافية المتنامية والمتصاعدة التي بدأت تواجهها الأمة العربية والإسلامية وحجم الاعتداءات على التراث الحضاري والثقافي الإسلامي العريق في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. ما جعل البحث في سبل استخدام تقنية المعلومات ووسائل التكنولوجيا الحديثة لصيانة المعطيات الإسلامية والروحية حلما من أجل حماية التراث الثقافي الإسلامي والترويج له. كما أن هناك حاجة لتقديم وإبراز قيمة التراث الحضاري في العالم الإسلامي، والعمل على نقله بصورة سليمة إلى الأجيال القادمة. وكون هذا التراث العريق ليس ملكاً للأمة الإسلامية وحدها فحسب، بل هو أيضا تراث إنساني تملكه البشرية وأن من الواجب العمل بشتى أنواع السبل من أجل حمايته من التدمير والتخريب" المقابلة رقم 1

ما يؤكد على أن مشروع ألف كان يسعى في المقام الأول إلى بعث رسالة للعالم على قدرة الدين الإسلامي والتصوف بشكل خاص على مسايرة تحولات المجتمع المتسارعة، وكونه تجاوز تلك النظرة النمطية السائدة على انغلاقه وتكلسه داخل فضاء المقدس المجسد. بل انه يحمل رؤية مستقبلية بواسطة شيوخ حملوا لواء الإصلاح. يقول أحد أعضاء فريق المجموعة " مشروع ألف لرقمنة تراث الإسلام هو تجسيد لفكرة النظرة المستقبلية التي يتميز بها شيوخ الزوايا والتي تجسد لفكرة أن الشيوخ يرون ما لا نرى" المقابلة رقم 2 . تلك الرؤية المرتبطة بموضوع البصيرة، وهي حسب الصوفية قوة إيمانية تتحقق بشدة التعلق بالله تعالى ومحبته، ومن أسرار الخالق للبعث من عباده العلماء الأتقياء، حيث لا تكون إلا لمن من الله عليهم بكرمه ووفقه في الدين وفتح عليه أبواب الأسرار. ويقول آخر " إن رؤية المشروع وأهدافه كانت سابقة جدا لزمان وعصر المجتمع الجزائري كونه كان مجتمعا ريفيا بامتياز والأقلية منه من كانت في تلك الفترة تتعامل مع الجهاز إذا استثنينا بعض الإدارات، كون الحديث عن جهاز إعلام آلي في مدينة غليزان في ذلك الوقت كان يعد صوبا من الخيال" المقابلة رقم 3. إذ وفي ظل هذه الظروف تبرز

الشخصية الريادية للشيخ خالد بن تونس من أجل تقديم قيمة علمية مضافة في مجتمع لازال في طريق بناء اللبنة الأولى للمجتمع. ويضيف نفس المبحوث قائلاً " وفي نفس الاتجاه جدد الشيخ خالد مؤخرًا المشروع لإعطاء حقائق موضوعية حول الإسلام المعاصر بطريقة عصرية ممتدة عبر الزمان وبجيل من أولاد اليوم. كون الإسلام لا يمنع من استغلال ما تأتي به العلوم بل هو دين يدعو إلى التوافق مع متطلبات الحضارة ومسايرة مستجداتها ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اعتماد الوسائل العصرية وهو تجسيد لفكرة الإسلام دين ودنيا وحياة واقتصاد وغيرها من المجالات " المقابلة رقم 3. ويقصد به برنامج "أحد" الذي يعد استمرارية لمشروع "ألف" ويتكون من أبناء الفريق الذي اشتغل على مشروع الأول، وهي إشارة لاستمرارية النهج على الطريق من الأجيال المعاصرة بوسائل وتقنيات جديدة. وكلها رسائل ضمنية في كون تصوف الزاوية العلوية كان منذ البداية تصوفًا إيجابيًا يسعى لخدمة المجتمع والسعي في ابتكار آليات لخدمة أغراض الدين والتنمية، حيث حاول الشيخ خالد بن تونس من خلال المشروع أن يؤسس لفكرة أن الإسلام بشكل عام والتدين الصوفي بوجه خاص هو نموذج للجمع بين الالتزام الأخلاقي والاعتدال الفكري والتفكير العقلاني، وأنه يحمل قيمًا قابلة لمسايرة مستجدات العلوم، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اعتماد وسائل عصرية لنشر قيم المعرفة الإسلامية. وعلى أن النظم الإسلامية بشكل عام والصوفية على الأخص لا يمكن أن تكون مناقضة للتحديث الإيجابي "بل أنها تشكل طاقة حيوية تنعش الانخراط الفكري داخل قيم الحداثة وتعرف كيف تتأقلم معها إلى حد كبير " 1 كما أن المشروع هو استمرارية وامتداد للدور التعليمي للزوايا بوسائل حديثة، وهنا تظهر الروح الريادية للشيخ صاحب الرؤية البعيدة عبر تفكيره في مؤسسة خاصة من تمويل الزاوية لرقمنة الموروث الإسلامي والمساهمة في نشره وتثبيت دعائمه وتعميق معارفه بين الأمم وتنشئة الجيل الجديد وتنشئة عصرية متأصلة.

1- إيريك جوفروا بونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق، ص 229

ما جعل من المشروع رسالة اجتماعية ورؤية إصلاحية وقيمة مضافة لخلق منتج إسلامي عصري بطريقة مبتكرة وخدمة نوعية لتكون في متناول الجميع، كما يعتبر امتداد تعليمي نهضوي للدور التربوي الذي قامت به الزاوية في الماضي بطريقة متجددة في الوسائل والمنهجية والطريقة لتواكب التحولات وتستقر المستقبل، كما يعد استمرارية لنهج الإصلاح الاجتماعي التتموي جسد بشكل جلي صورة الريادي المبتكر لخدمة جديدة.

كما أن مشروع "ألف" ببرامجه المختلفة يُعد قفزة نوعية في تلك الفترة كونه أنجز بواسطة شباب جزائري متطوع وغير متخصص في الإعلام الآلي ولا في علم القرآن الكريم حيث كان "بدافع شخصي يتمثل أكثر في الرغبة في تقديم خدمات لنشر وتعليم التراث الإسلامي بطريقة عصرية ودون السعي إلى تحقيق فائدة أو رجاء غاية معينة بل كان ذا طابع مجاني تضامني وصدقة جارية" المقابلة رقم 2. تلك الصدقة التي جعلت من الانتماء للمشروع فريضة دينية وواجب أخلاقي على كل فرد مسلم، وهو ما قد يفسر مستوى الإصرار والرغبة والدافعية التي تستشعرها عند حديثك مع هؤلاء، وأن القوة الروحية للفضاء وللمشروع مثلت قانون لا يمكن تجاوزه عند محاولتنا فهم الأسباب التي تجعل من شباب في مقتبل العمر يقبلون الانضمام إلى مشاريع غير نفعية. إذ وبالإضافة إلى التضحية بالوقت والجهد بشكل يومي لمدة عمل تستمر من فترة العصر إلى ساعة متأخرة من الليل، كان هؤلاء الشباب يقتطعون نصيبا من أموالهم الخاصة لشراء مستلزمات وأدوات تجسيد المشروع من أوراق وطابعة وأجهزة كومبيوتر ووسائل تقنية أخرى، ومنها ما كان من أملاك الزاوية وبمساهمات الأفراد القائمين على المشروع والمريدين والمحبين دون أية مساهمة أو تدخل من أطراف رسمية. وهنا يروي أحد المشاركين في البرنامج وهو منسق المشروع "أنه وفي سنة 1980 سافر مع الشيخ خالد بن تونس إلى فرنسا حيث أحضر أجهزة الإعلام الآلي من هناك بعد اقتنائها من طرف الشيخ من أمواله الخاصة وبمساهمة مريدي الطريقة، كما يذكر لنا نفس المتحدث انه "قد اشترى طابعة سنة 1980 بماله الخاص والتي قدرت آنذاك ب 800 دج، كما

ساهم هؤلاء الشباب في اقتناء جهاز كومبيوتر ملون سنة 1986 بمبلغ تجاوز مبلغه 240.000 دج من مالهم الخاص كونه كان يتمتع بمواصفات تقنية عالية الجودة وذلك لمعالجة مشكل التشكيل وحركات الحروف والتي لم تكن متوفرة في الأجهزة القديمة" المقابلة رقم 3. حيث اغلب وسائل العمل كانت من اقتناء أعضاء المجموعات التي اشتغلت على البرامج.

إن اهتمام الزاوية العلوية عبر شيخها خالد بن تونس بابتكار مشروع تكنولوجي في تلك الفترة يُفسر بكون أن الصوفي دائماً يكون ابن عصره "إن رؤية الشيخ في سبعينيات القرن الماضي أكد الوقت المعاصر صدقيتها كون الإعلام الآلي أصبح جزء من حياة البشر" المقابلة رقم 2.

حيث ظهر الشيخ خالد بن تونس منذ البداية حاملاً همّاً مجتمعيًا إصلاحياً جعله يفكر في خلق قيمة جديدة لتلبية حاجات معرفية كانت حكرًا على المجتمعات الغربية. فنجدّه يؤسس لفكرة بعيدة عن تصورات المجتمع الجزائري حديث العهد بالاستقلال بما حملته هذه الفكرة من مخاطرة.

ويضيف آخر "لكون الفكر الصوفي يتأسس على فكرة الآتي وكون الشيوخ دائماً يسعون إلى نظرة استشرافية للمستقبل وهو ما يفسر كيف أن زاوية تقليدية فكرت وأشرفت وابتكرت مشروعاً تجديدياً لوضع برامج رقمية للمعطيات الإسلامية وإدخال القرآن الكريم باللغة الفرنسية والعربية كون أجهزة الإعلام الآلي آنذاك لم تكن متاحة بالحرف العربي" المقابلة رقم 1. بل أن هناك من وصف الرجل الصوفي بكونه كما يقول الجنيد " الصوفي ابن وقته بمعنى مشغول بعمارة وقته بما هو أولى به من العبادات "1 والاستشراف وتلمس تطور أحوال واحتياجات الناس وبناء معالم المستقبل التي شكّلها الشيخ خالد انطلاقاً من احتكاكه مع المجتمع الغربي ولدت لديه وعياً بأهمية التفكير في بناء منظومة تقنية تؤكد ديناميكية العقل العربي الإسلامي وقدرته على مسايرة التحولات الراهنة.

1-أبي القاسم عبد الكريم القشيري، دار الكتاب العربي، العراق، 2003، ص 21

وهنا يضيف آخر "إن شيوخ الزاوية العلوية منذ القدم كانت لهم نظرة مستقبلية وسابقة لوقتهم. حيث كان يقول الشيخ خالد أن اليوم ليس صورة طبقاً للأصل للأمس بل لليوم خصائصه ومميزاته نسعى لمواكبتها. كما أن الصوفي يرى أن أفضل للمسلم هو من يبات يعمل وينتج ويفكر وليس من يبات يصلي. فالفرد ابن يومه يتطلب وسائل وأدوات لذلك اليوم" المقابلة رقم 4.

ما يجعل بالتالي من مشروع "ألف" تجسيدا لتراكمات فكرية أسس لها الشيوخ الأوائل ودعوا إليها ضمن مقارنة فكرية تقوم على فكرة التحديث والإصلاح والانفتاح المنضبط وضمن مشروع حضاري للأمة الإسلامية.

كما يضيف مبحث آخر بقوله " إن مشروع ألف هو تجسيد لفكرة النظرة المستقبلية المرتبطة بفكرة البصيرة لدى الشيوخ. والبصيرة لا تتحقق إلا من خلال حسن الخلق والرغبة في خدمة الخلق وهي أداة لديهم لخدمة الخلق كونها ترتبط بالمستقبل " المقابلة رقم 5. وكون أن شعار الصوفي دائما في الحياة هو "أن يكون ابن اللحظة أو ابن عصره، كما انه يعتبر نفسه صدى للإحياء القرآني الذي يقول 'كل يوم هو في شأن' وبالتالي فكونه ابن اللحظة يتطلب منه جاهزية كاملة لاستقبال التجليات المتواصلة"<sup>1</sup>.

ويضيف مبحث آخر "ولفهم دوافع المشروع وتفسير رؤية الشيخ الحداثية نحو مشروع رقمنة التراث الإسلامي يجب الرجوع إلى الوراء وكيف أن الشيخ الأول للطريقة أحمد مصطفى العلاوي كان مجددا وليس مقلدا. ما يجعل من مشروع ألف امتدادا طبيعيا لخط التجديد والحداثة الذي تميزت به الزاوية العلوية منذ نشأتها حيث وصف شيخها الأول بالرجل المجدد، يقول رسول الله "يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة". ما يجعل من مشروع ألف يتجاوز مسألة معهد لرقمنة التراث الإسلام إلى أبعد من ذلك كونه امتداد لصورة الأفق الواسع الذي كان يتميز به هؤلاء. فالموضوع بالنسبة لنا يتجاوز مشروعا حداثيا إلى نمط للتفكير، حيث نجد أن الزاوية العلوية خرقت نظاما فكريا كان سائدا منذ قرون عبر نماذج

1-إيريك جوفروا يونس، المستقبل الروحاني للإسلام، مرجع سابق، ص175

تجديدية شملت جوانب الحياة المختلفة، ما يجعل من مؤسسة ألف هي امتدادا لذلك المنبع الأخلاقي الروحي المحمدي القائم على التربية المحمدية" المقابلة رقم 1. وأن المشروع من هنا كان نتيجة منطقية لجملة الدعوات والمبادرات الإصلاحية التي بدأها الشيوخ الأوائل وجسدها الشيخ الحالي للطريقة. وهو ما جعل من شيوخ الزاوية العلوية بدءا بالشيخ الأول أحمد مصطفى وصولا إلى الشيخ خالد بن تونس رياديين ينظرون للمستقبل نظرة متميزة تحمل مقاربة ورؤية إبداعية فتجدهم يفكرون في ابتكار عديد المشاريع ذات النفع العام لعل أبرزها مشاريع الزراعة والتمهين والتكوين المتخصص داخل الورشات، وكذا التعليم في المستويات المختلفة، وكلها مشاريع من تمويل وإشراف شيوخ الزاوية العلوية، وكل ذلك كان ضمن مقاربة تنموية تضامنية هادفة إلى تقديم منافع للمجتمع ووفقا لرؤية اجتماعية تقوم على أن التنمية في مجملها ترتبط بضرورة تسعى لتحسين جودة الحياة، ومجال تتفاعل فيه العديد من المبادئ والقيم الثقافية، الاجتماعية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية وضمن الاستغلال الإيجابي والاستثمار الخلاق للاستعدادات المختلفة الكامنة في الفرد والبيئة الاجتماعية المحيطة وتوجيهها نحو الغايات الاجتماعية، وضمن الانتقال بالفرد من حالته الأنانية المتمركزة نحو ذاته ومصالحها إلى الحالة الاجتماعية العامة وصولا إلى تحقيق انسجام بين مصلحته الخاصة والمصلحة العامة. هذا المسعى الذي يتحقق عبر التعزيز الإيجابي للتراكم الثقافي والقيمي للفرد من أجل الانفتاح على الآخرين والمشاركة في الشأن العام والانخراط في المنظمات الاجتماعية والتضامنية التي لا تسعى لتحقيق منافع خاصة. ما يجعل من الانتماء إلى هذه المنظمات الاجتماعية والتضامنية ترتبط بقوة داخلية لإشباع نسق من الحاجات الروحية والنفسية و السيوسيو ثقافية للفرد " ذلك أن الكثير من المفكرين يُرجع فكرة العمل الاجتماعي إلى جذور دينية، و أن كل الأديان السماوية كانت تحث الفرد لمساعدة الآخرين وتدعوا للعطف والصدق" 1 .

1- احمد عمر رجب محمد، مفهوم العمل التطوعي وعلاقته بالأمن، مؤتمر العمل التطوعي والأمن أكاديمية نايف العربية للعلوم مركز الدراسات والبحوث، الرياض 25-28/09/2000، ص3

وبالتالي تعتبر المبادرات التعليمية والدعوية الحديثة المتضمنة في مشروع "ألف" امتدادا طبيعيا للنشاط التربوي والتعليمي الذي قامت به الزاوية منذ نشأتها. حيث سعت عبره إلى بناء إنسان مشارك في التنمية الاقتصادية والاجتماعية عبر العديد من النماذج مثل تعليم الشباب مهن الفلاحة حيث يأتي المتجردون ليكتسبوا خبرة في الفلاحة وتربية المواشي والنحل والنجارة والبناء والطباعة إضافة إلى ورشات الميكانيك يستقلون بعد اكتساب حرف ومهارات تساعد على تحقيق الذات وتقديم منافع للآخرين.

بل وصل الأمر بالزاوية العلوية في فترة الاستعمار إلى ربط علاقة مع السجون لتعليم المساجين مهن وحرف مختلفة ضمن "نظرية التكامل بين الجسد والروح وبين ما هو ديني وما هو اجتماعي وبين روح الفرد وروح الجماعة. فعملت على تنمية مبدأ المشاركة الفاعلة للفرد المنتسب للطريقة العلوية في بناء روح التنمية الاقتصادية.. وأن أهم مقومات التربية السلوكية وفق رؤية مشايخ الطريقة الجمع بين متطلبات الروح والجسد ولا يتحقق ذلك إلا بالقيام بالعبادات المشروعة ومن خلال الأعمال التي يقوم بها المريد ليشبع حاجاته وحاجات من ينفق عليهم لتتوسع الدائرة إلى باقي المجتمع الإنساني"<sup>1</sup>.

إذ عكس مشروع "ألف" وغيره من المشاريع التي أشرفت عليها الزاوية العلوية منذ نشأتها الأولى خطها الإصلاحية ورسالتها التربوية والتعليمية التي سعت إلى تحقيقها عبر الاهتمام ببناء فرد يحمل منظومة فكرية وروحية من شأنها بناء مجتمع سليم منهجا وفكرا ومتفتحاً على العالم الخارجي بتحولاته السريعة، ما جعل منها تتجاوز "الدفاع على أصول التصوف ليتعدى دورها إلى الاهتمام بقضايا الوطن واللغة والمجتمع"<sup>2</sup>.

وللإشارة فقد تم تجديد مشروع "ألف" عبر إعادة إحياءه بمبادرة من الشيخ خالد بن تونس ضمن مشروع

1-بن عزوز عبد القادر، معالم الاقتصاد التضامني الاجتماعي، أسسه ونتائجه، دراسة عن الزاوية العلوية، مركز البحث في الاقتصاد المطبق من أجل التنمية، 2010، ص 235

2-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص 166

"أحد" والذي انطلق من فرنسا خلال صيف 2018 كمرحلة أولى ثم بالجزائر في أوت 2019 من خلال الجامعة الصيفية للزاوية العلوية بجنة العارف وصولاً لعقد لقاء دولي بمدينة الحمامات بجمهورية تونس في شهر ديسمبر 2019. إذ يسعى مشروع أحد إلى تسليط الضوء على ثراء وحدة التراث الإسلامي كما يعمل على إتاحة المجال للجمهور للاطلاع على المصادر والتعاليم غير المعروفة في التقاليد والثقافة الإسلامية. بهدف تبليغ رسالة ثقافة السلام للأجيال الجديدة حتى يتسنى لهم العيش وبناء مستقبلهم الواحد مع الآخر وليس الواحد ضد الآخر. كما يطمح مشروع "أحد" إلى المساهمة في بزوغ أمل جديد من خلال الأهداف التالية:

- إظهار إمكانية التراث الروحي في تقديم إجابات على التساؤلات والاهتمامات المعاصرة
- إعادة الاعتبار لصورة الإسلام الحر والمسؤول
- تثبيت مبدأ التوحيد كوسيلة لخلق روابط بين الإنسان والمخلوقات الأخرى من أجل بلورة رؤية مشتركة وإرادة العيش معاً بسلام. فبالنسبة للشيخ "خالد بن تونس" فإن مشروع "أحد" يهدف إلى إعادة إحياء مشروع "ألف" بعناصر جديدة ووسائل حديثة من أجل تثبيت مبدأ التوحيد كوسيلة لخلق روابط بين الإنسان و المخلوقات الأخرى ، وإعادة اكتشاف التراث بتعدده وعالميته من خلال إعطاء روح للعولمة وللحفاظ على الإنسان بأخلاقه وفضائله. وبالتالي يطمح هذا المشروع إلى تبليغ رسالة ثقافة السلام للأجيال الجديدة، كما يسعى المشروع للإجابة على جملة من التساؤلات حول كيفية إحياء التراث الإسلامي لدى الشباب ليتعاطوا معه برؤية جديدة تواكب عصرهم وتنهل من ثراء هذا التراث، ومن القيم السمحة للدين الإسلامي ومن بينها بالخصوص التعايش في سلام بما يُمكن من نشر الوعي ورسالة السلام واحداث قطيعة مع الجهل والفهم الخاطئ للدين، وهذا كله من أجل إظهار الإمكانيات الكامنة في التراث الروحي الإسلامي. يضم مشروع "أحد" مجموعة من المشاريع البحثية تهتم بالمجموعة الأولى بالبحث في "أسباب النزول" و أخرى للتعريف " بمشايخ الصوفية" و" أعلام النساء المسلمات" ، في حين تهتم مجموعة أخرى بـ"الأماكن

المقدسة في الإسلام" بالإضافة إلى ورشة ستخصص لإنتاج الوسائط المتعددة . "كما يركز المشروع المتجدد "أحد" على الشباب الجديد لكونه ابن هذا العصر المتطور والمتحول في مجالاته المختلفة. ما يؤسس إلى فتح باب الاجتهاد والبحث والتجديد. يقول أحد المبحوثين " يسعى المشروع إلى إعادة إحياء بنك المعطيات الإسلامية وفق خصائص ومميزات العصر والعقل الإنساني الحالي ووفقا لمتغيرات العصر وتحولاته، ما يفرض تواجد شباب جديد يتماشى وحجم التحولات السريعة وباعتماد تفاسير جديدة تتسجم وخصوصيات العصر. وهذا كله من منطلق أن الرجل الصوفي يؤمن بفكرة التحول وعدم الثبات وأن المجتمع في حركة دائمة مستمرة ما يستدعي منه مواكبة العصر " المقابلة رقم 2. وهذا كله يؤسس "للاعتراف أن الصوفيين كانوا روادا سباقين ومستبصرين بعيدى النظر، وذلك لأنهم كانوا يعيشون في داخلهم التجربة الروحانية للتحرير"1.

1-إيريك جوفروا يونس، المستقبل للإسلام الروحاني، مرجع سابق، ص242

## 4- أبعاد المقالوة الاجتماعية لمؤسسة "ألف"

- وانطلاقاً من كون المقالوات الاجتماعية تعد ظاهرة اجتماعية ونشاطاً مهيكلاً يتضمن توفر شروط تنظيمية وتنفرد بمجموعة خصائص ومبادئ تُميزها عن النشاطات التضامنية الاجتماعية والتطوعية التقليدية الأخرى، ولكون دراستنا تسعى في جزئها الأول إلى الكشف عن مدى تجسيد مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي التابعة للزاوية العلوية للعناصر المطلوبة في نشاط المقالوة الاجتماعية ضمن مقارنة (jacques defourny. Carlo Borzaga2001) والقائمة على ثلاث أبعاد تتضمن كل منها مجموعة مؤشرات، فإنها تسعى من جهة أخرى إلى البحث عن حدود مساهمة القيم الصوفية في بروز وتدعيم ثقافة المقالوات الاجتماعية. ما يستوجب علينا في هذه المرحلة قياس وتحليل هذه الأبعاد انطلاقاً من تحليل الأفكار والتصورات والمعلومات التي احتوتها المقابلات مع أفراد عينة الدراسة ضمن الدليل المنهجي للمقابلات والذي تضمن أسئلة حول كل مؤشر من مؤشرات الأبعاد الثلاثة (البعد الاقتصادي، الاجتماعي الإداري) إضافة إلى محاولة تفسير والبحث في القيم الصوفية التي ساهمت في تدعيم وتحفيز بروز مثل هذه الابتكارات الاجتماعية.

## المحور الأول: البعد الاقتصادي

تعتبر الموارد المادية والمالية من العوامل الضرورية في إنشاء أية منظمة أو مؤسسة مهما كانت نشاطاتها و أهدافها وهو ما ينطبق على المؤسسات ذات الأهداف الاجتماعية ، لكون الموارد المالية تعد شرطا ضروريا بغية استمرارية نشاطها و استقلالية قرارها وحتى لا تبقى في حالة تبعية لمصادر تمويلها، وهو ما جعل من المشرفين على المؤسسات التي تجمع بين المهام الاقتصادية والمنفعة الاجتماعية السعي إلى توفير الموارد المالية عبر النشاطات التي تقوم بها، لكون "المؤسسات ذات المشاريع الاجتماعية مثل أية شركة تقليدية أخرى تنشأ وتُدار في إطار الأصول المهنية المتخصصة" 1 .

وهو الأمر الذي انتبه إليه المشرفون على الزاوية العلوية منذ نشأتها، إذ ومنذ البداية كانت تسعى إلى العمل على تمويل مشاريعها وتنوع مصادر تمويلها من مداخلها الخاصة كمؤسسة اقتصادية تجارية تحقق أرباح إضافة إلى نشاطها في الميدان الزراعي وهبات وصدقات المرددين والمحبين. حيث كان الشيخ الأول للطريقة العلوية أحمد مصطفى العلوي دائم الدعوة إلى السعي نحو ابتكار موارد لاستمرار المشاريع الخيرية، فجنده قد أدرك أهمية الابتكارات الاجتماعية في تحقيق التنمية فكان يدعو أرباب المال والثروة ليقدموا يد العون لإخوانهم لينتشلوهم مما هم فيه بقوله "إن المشاريع الخيرية سواء دنيوية كانت أو أخروية لا تقوم لها قائمة إلا بالمال فان المال قوام الأعمال...فهلا التفتتم إلى ما أصاب قومكم من الانتشار في الطرقات على عينة تدمي الفؤاد" 2.

يقول أحد أفراد العينة المبحوثين "مؤسسة ألف الآن موجودة في الجزائر بمدينة مستغانم تحمل كل المواصفات الهيكلية والإدارية والبنائية كأى شركة خاصة ذات طابع تجاري اقتصادي لها سجل تجاري كمؤسسة اقتصادية تتبع خدمات كما لها عمال أجراء. تخصص جزء من مداخلها نحو ابتكار منافع

1-يونس محمد، عالم بلا فقر المشروعات الاجتماعية ومستقبل الرأسمالية، ترجمة ريم عبد الحليم، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2009، ص13

1-الحسيني ناصر الدين موهوب الحسيني، الشيخ العلاوي المستغامي حياته ومآثره، مرجع سابق، ص233

والسعي لتدعيم المشاريع الاجتماعية الخيرية كمساعدة الشباب لاكتساب خبرة مهنية وحرف وتنظيم ملتقيات ومنتديات وأنشطة فكرية وعلمية ومنها مشروع رقمنة التراث الروحي الذي تبنته المؤسسة منذ انطلاقاته من خلال تزويده بالمستلزمات التقنية. نشاطها اقتصادي وتجاري بحث كون الجانب الاجتماعي التضامني غير مقنن في التشريع الجزائري، كما أنه لإنجاز شركة تضامنية أو جمعية خيرية تتشابه الإجراءات الإدارية وحتى الأمنية ما يعرقل مثل هذه المبادرات "المقابلة رقم 1". ويضيف "نحن في الزاوية العلوية منذ البداية لم نعتمد أو نعول على الدولة في تنفيذ مشاريعنا الخيرية والاجتماعية بقدر ما كان تعويلنا على نشاط رجال الزاوية والمحبين والمريدين والمتجربين في تنفيذ ميثاقنا "المقابلة رقم 1".

ما جعل من مبادرات الزاوية العلوية تدخل ضمن مقاربة جديدة تستند على مقومات الابتكار التضامني والاجتماعي للخدمات الموجهة لخدمة الخلق، وفي إطار رؤية تخرج عن إطار العمل الخيري التضامني التقليدي الذي عُرفت به أغلب الزوايا وكونها كانت حلقة وصل بين المحسنين والفقراء. إذ وعلى غير عادة الزوايا التقليدية يفكر شيوخ الزاوية منذ البداية على موارد ذاتية جعلتهم يؤسسون مؤسسات اقتصادية توجه جزءا من مداخنها صوب العمل الاجتماعي التضامني.

ويضيف مبحوث آخر "إن أهم موارد الزاوية ومؤسسة "ألف" منذ البداية هي المساعدة على تأدية نشاطنا ورسالتنا كانت تبرعات المحسنين والمحبين والمريدين إضافة إلى مداخيل نشاطنا الزراعي والتجاري من حر مالنا، اللي بغي يخدم الناس ما ينتظرش (لا ينتظر) الصداقات. عليه هو اللي يسعى فاليد العليا خير من اليد السفلى "المقابلة رقم 8".

وهي رسالة تربية لدعوة المريدين والمسلمين بشكل عام لضرورة السعي والاجتهاد الدائم للبحث عن مصدر للرزق اقتداء بسيد الخلق، وأن الإسلام ربط بين العمل والعبادة في ثنائية لا يمكن الفصل بينهما "حيث المرید يستفتح يومه بالطاعة كسلوك تعبدي وبالتحضير المادي والمعنوي لليوم الجديد وما فيه من

أعمال ومسؤوليات يشارك فيها غيره من أفراد المجتمع في عملية البناء الحضاري بمختلف أقسامه الاقتصادي والاجتماعي"1.

ويقول آخر " إن التربية الصوفية تقوم على فكرة التكامل بين الروح والجسد وبين الجانب الديني والاجتماعي والاقتصادي للإنسان. حيث عمل الشيخ العلوي على تنمية فكرة أن يكون الفرد فاعل مشارك وإيجابي مؤهل للحياة وأن يكون فردا لا ينتظر الناس لكي تساعدوا. فالإسلام دين عمل واجتهاد وسعي وليس انتظار" المقابلة رقم10. الأمر الذي جعل من المنابع الحقيقية لهذه المشاريع تعود إلى مصادر روحية ورمزية وثقافية توازي في قوتها فريضة الزكاة وقيمة الصدقات.

وهنا يؤكد أحد المبحوثين بقوله " لعل ما جعل الزاوية العلوية تحقق الكثير من المشاريع للمجتمع أنها لم تقم على فكرة الجمعيات الخيرية التي تنتظر الإعانات لتوزيعها في المناسبات، بل أن الظروف التي رافقت ظهورها هي التي حتمت على الشيوخ منذ البداية البحث عن تمويل ذاتي، إذ وبعد التوكل على الله تعالى نعتمد على أنفسنا في كل ما نقوم به ، فالإنسان المسلم الحقيقي هو من يسعى إلى الأمام ولا ينتظر الآخرين" المقابلة رقم11. ما يؤشر على وضوح الرؤية وتبلور الهدف بشكل دقيق لدى مسيري الزاوية في اعتماد طريقة العمل التضامني ضمن استغلال الموروث الثقافي للمجتمع القائم على روح التضامن والعطاء في تحقيق مبادرتها الاجتماعية في الميادين المختلفة بعيدا عن روح الاتكال والتوكل فيما سعت إليه. ما جعل من مشروع "ألف" يتجاوز بالتالي الهدف التقني إلى كونه يحمل رسائل رمزية وقيم ثقافية تؤكد على أن للبنية الروحية سلطة لا يمكن تجاوزها عند تفسير الكثير من الظواهر ومنها ما يتعلق بالتدبير الاجتماعي. وأن الإنسان مهما كان انتماؤه يسعى دوما لتحقيق وإشباع حاجاته الروحية. وأن المشروع بالتالي يؤشر لمستوى الوعي الذي بلغته هذه الكيانات التقليدية بقيادة روحية ورمزية للشيخ

1- بن عزوز عبد القادر، الاقتصاد الاجتماعي، أسسه ونتائجه، دراسة عن الزاوية العلوية، مركز البحث في الاقتصاد المطبق، العدد93،

خالد بن تونس وتقديم رسائل على قدرة هذه الكيانات في إنشاء تنظيمات اجتماعية قادرة على اللحاق بالعصر والوصول إلى عمق حضاري وفكري اعتمادا على ما تمتلكه من مخزون روحي ورمزي ، حيث استطاعت به أن تتجاوز مجال القوة المادية لمجتمعات عديدة تمتلك الكثير من هذه القوة . وليجعل من المضمون الصوفي إذن مضمونا يحمل قيما تربوية ومحتوى حضاري ووعيا تنمويا يكفي لإطلاق فاعلية حضارية في أي مجتمع.

يقول مباحث آخر "أهم حاجة تعلمناها في الزاوية هي أهمية العمل والسعي إلى الرزق فسيد الخلق قدوتنا كان يأكل من عرق جبينه "المقابلة رقم 7 ، و أن العمل بالنسبة للصوفية تجاوز المستوى المادي إلى المستوى الباطني وكونه يرتبط بمرضاة الخالق، وكون العمل لدى الصوفية يُعد أحد دعائم الشريعة بل انه يُفضل على الكثير من العبادات.

ويضيف مباحث آخر " أن الرجل الصوفي الحقيقي عمره ما كان يقارع باه يعطوه، فالشيخ أحمد العلوي تعلم الكثير من الحرف وزاد علمها للناس "المقابلة رقم 12. ذلك أن السعي نحو الاستقلالية المالية وعدم الوقوع تحت رحمة الحكومة أو المنظمات و الجمعيات الحكومية يحمل دلالات ورسائل تربوية مفادها أن الإنسان المسلم عليه أن يعيش ايجابيا وفاعلا، وليجعل في حياته مبدأ العمل وعدم التواكل وأن اليد العليا دائما خير من اليد السفلى دستور حياة وخلقاً نبويا وجب الاقتداء به .

وهنا يؤكد مباحث آخر على "أن الإسلام منذ نزوله ربط الإيمان بالعمل والسعي الذي يعتبر قيمة ومورد اقتصادي، وأن المسلم هو من يحتاجه الناس وليس هو من يحتاج الناس. كما أن الفرد لا معنى لحياته إذا لم يربط بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي. وأن الله تعالى حثّ على العمل والتحصيل المادي ودق أبواب الرزق "المقابلة رقم 4.

إذ وضمن هذه القيم السامية المعبر عنها من طرف كل المبحوثين والمرتبطة خاصة بتقديس العمل والإتقان والسعي والاجتهاد والتفكير في شؤون الغير وإيثارهم على الذات، ونزع مواطن الشح والأنانية من

النفس تجعل للمبادرات الاجتماعية ومن ضمنها مشروع "ألف" تجسيد لمعالم فلسفة صوفية وتربية روحية وجاذبية استثنائية لشخصية الشيخ خالد بن تونس ولدت ثقة وإخلاص لدى هؤلاء الأفراد القائمين على المشروع، ولتجعل من العمل المنجز طريق للخلاص ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول أحد المبحوثين "حنا في الزاوية علمونا باه نخدموا و نساعدوا الناس ولا ننتظر مساعدة أحد حيث وخير قدوتنا رسول الله كان يبحث عن قوته منذ صباه "المقابلة رقم 5 . وهو ما يؤكد أن أهمية العمل وقيمه في الإسلام جعلت من طلبه مقدماً على الكثير من العبادات من غير الفريضة، إذ يرى أهل العلم أنّ العمل وطلب الكسب والسعي له واجبٌ مفروضٌ على كل مسلمٍ قادرٍ. حيث وردت الكثير من النصوص الصحيحة في كتاب الله عزّ وجلّ والصرحة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي تُشير إلى أهمية العمل ومكانته والحثّ عليه ضمن مفهوم السعي والاستحلاف في الأرض.

ويضيف مبحث آخر " منذ البداية ومع الشيخ الأول للطريقة تعلمنا أن نعتمد على أنفسنا نخدموا باه نسدوا حاجات عائلتنا لوحدنا، ومن ثم المؤسسة كانت تبحث عن مصادر لتمويل مشاريعها من الفقراء (المريدين) وأصحاب الخير ومن مداخلها الخاصة" المقابلة رقم 7.

وهو ما يؤسس للقول إن الزاوية العلوية كانت تمثل منذ نشأتها مؤسسة روحية وقوة رمزية تحمل رسالة اجتماعية ورؤية تربوية إصلاحية تسعى إلى تقديم قيمة ثقافية وفكرية مضافة، منحت لمريديها نسقا فكريا وأخلاقيا افرز سلوكا يحمل مشروعا اجتماعيا تبلور في مستوى العطاء والحماس في الانتماء لهذه المشاريع.

إذ وانطلاقا من هذه التصريحات تظهر ملامح التربية الروحية وأثرها السلوكي والتربوي على هؤلاء الأفراد من خلال التأكيد على أهمية العمل والايجابية ونبذ روح التواكل والتأكيد على ضرورة السعي الدائم نحو البحث عن مصادر للرزق اقتداء بسيرة الصالحين. ولتجعل من العمل قيمة أخلاقية وفريضة شرعية لمرضاة الخالق وتحقيق سعادة روحية.

ويقول آخر "كنا نتلقاؤ (نلتقي) كل يوم ونحن في قمة السعادة والفرح لأن الأمر بالنسبة لنا كان عمل

مقدس فيه رضا الله ونشر لكلام ربي "المقابلة رقم 6

تلك السعادة التي لا ينالها حسب الصوفية إلا من صار مفارقاً للمادة ومتحلي بالصبر والتجّد وبذل المجهود في سبيل نيل رضى الله سبحانه وتعالى، وتطهير النفس من مطالب الدنيا والمحبة الصادقة والتي هي سبيل كل معرفة وتجربة روحية. يقول ابن عربي "أن السعادة لا تدرك بالحس والعقل، بل بالقلب ووجدان العارف ورؤيا الولي الصالح، أي إنها تكون بالتجربة الصوفية وقلب العارف واستحضار الباطن والتغزل بالذات المعشوقة"1.

وهنا يقول مبحوث آخر "اليوم عندما نتفكر أننا كنا نستغرق 8 ساعات عمل في اليوم في المشروع وحنا فارحين متعاونين نعرف أن الأمر لم يكن طبيعي كانت تدفعنا محبة الله ومحبة الشيخ للعمل"المقابلة رقم 9 ويقول مبحوث آخر " كنا شباب طموح ورثنا محبة الزاوية والشيخ من عند أولياءنا حيث عملنا في ألف لمدة 10 سنوات دون كلل أو ملل. بل العكس كنا عندما نلتقي مع بعض نتنافس على من الذي ينهي أعماله قبل الآخر باه يقدمها للجنة الكتابة. وهكذا كنا ندو الخدمة معانا لمنازلنا وفي اليوم الموالي نردها كاملة، والأكثر لم نكن نعرف قيمة هذا العمل المهم ننفذ واش كان يقول الشيخ"المقابلة رقم 3 وهو ما يجسد بشكل دقيق تجليات التربية الصوفية القائمة على المحبة الإلهية التي هي أصل كل وجود عند الصوفية، فتولد الطاقة وتخلق الحوافز وتُغير السلوك وتزيد من مستوى الإخلاص وترفع الهمم وتثبت مكارم الأخلاق وتطمئن النفوس للزهد في الدنيا لترفع من مستوى التضحية، وتجعل من الفرد معطاءً ينكر ذاته في سبيل النور الرباني، تلك هي القيم التي تُفسر حجم التضحية وقيمة المجهود المبذول في سبيل تجسيد وتحقيق المشروع.

1-حمداوي جميل، مفهوم السعادة في الفكر الصوفي، مجلة دنيا الوطن، فلسطين، مقال نشر بتاريخ 11-12-2007

ويؤكد أحد المبحوثين أن " تاريخ الزاوية العلوية مع الشيخ أحمد العلوي وكل الشيوخ اللاحقين كان يقوم على مركزية الاهتمام بقضايا المجتمع المختلفة، فتجد الزاوية دائما كانت تسعى من أجل المجتمع وهو ما جعلها تبحث عن مصادر وموارد لنشاطاتها دون مد اليد لأحد فكانت السبابة لاستغلال الوقف و أراضي الحبوس في ميدان الفلاحة والتجارة من أجل أن لا تتوقف المشاريع التي تشرف عليها "المقابلة رقم 1 ويضيف " أن فكرة الاستقلالية المالية كما هي قيمة تربوية ورسالة كان يسعى الشيخ إلى غرسها في روح المرید، كما فرضتها ظروف نشأة الزاوية في فترة الاستعمار، ومنها كانت ولا زالت الزاوية تسعى بالاجتهاد في إيجاد حلول ومداخل لمشاريعها الخيرية والاجتماعية منذ القدم مع تحفيظ القرآن للطلبة وضمان الأكل والمبيت إلى مساعدة الفقراء وعابري السبيل "المقابلة رقم 1

حيث جسدت هذه الرؤية المقاربة الإصلاحية التي جاء بها الشيخ احمد مصطفى العلوي وفي دعوته الدائمة إلى تجسيد مبادئ التصوف الخلقية ونورانية الإسلام القائمة على الجد والكد والعمل. حيث عارض منذ توليه المشيخة ممارسات المردين القابعين في المساجد يشعلون البخور وينشدون القصائد بوصفها اجتماعات العجائز، ودعوته هؤلاء إلى الديناميكية والحركة، حيث جعلوا التصوف فضاءً للدروشة والاحتفال وبيع الأوهام. لكنه مزج بين مناحي الحياة المادية والاقتصادية مع المستويات المعنوية والروحية والأخلاقية في الإنسان. ذلك الوجه الروحاني الذي يعمق العلاقة بين الإنسان وخالقه ويربط بين الإيمان والعمل.

ويضيف مبحوث آخر " أن الزاوية العلوية من الزوايا القلائل في الجزائر التي فكرت الخروج من المسجد والقبب ومن الخلوة والذكر لتختلط مع المجتمع وتبني مؤسسات وتشتغل في ميدان الزراعة والتجارة. خاصة مع الظروف التي عرفت عزل هذه الزوايا ومنعها من النشاط استوجب علينا ألا ننتظر الصدقة والمزية بل أن نصبح لنا استقلالية مالية" المقابلة رقم 2

إذ و انطلاقا من هذه البيئة الفكرية والمنظومة القيمية التي يحملها المريرين جعلت الزاوية من أولوياتها البحث المستمر عن موارد ومصادر ذاتية لتمويل نشاطاتها المختلفة، و جعلها تسعى منذ البداية إلى العمل على ابتكار نشاطات وخدمات اقتصادية وزراعية وتجارية لتوفير مداخيل تؤهلها للقيام بمهامها الاجتماعية والتضامنية التي التزمت بها، وذلك ضمن إطار فكري و أخلاقي يستمد أصوله من معالم التربية الصوفية القائمة على مكارم الأخلاق و صفاء القلب وترقية النفس والسعي للمعروف والإحسان وتزكية النفس على المحبة والإيثار ونزع مواطن الشح وملئها بالكرم والعطاء وروح التوكل والعمل، وجعلت من أولويات الصوفي كسب قوته من عرق جبينه . ما جعل من اهتمام الزاوية العلوية بالمشاريع الاجتماعية التضامنية ظاهرة قديمة كونها ارتبطت بظهورها منذ عام 1914 ، ولعل ما يؤكد على الرؤية التتموية للطريقة العلوية واهتماماتها بتكوين الفرد ما بادر إليه الشيوخ على امتداد السنوات الماضية من خلال تشكيل ورشات للميكانيكا والنجارة والطباعة والزراعة والخياطة لإعادة تأهيل الشباب الجزائري عبر تعليمهم لحرف يستفيدون منها ولتجعل منهم قوة منتجة. حيث استمدت سلوكها الاقتصادي وفكرها التتموي ورؤيتها الإصلاحية من سيرة الصالحين في سعيهم الدائم و إقبالهم على العمل والسعي والإتقان ، و أن الرجل الصوفي كان دائما صاحب اليد العليا . لتصبح مع مرور الوقت هذه المؤسسات بالتالي تمثل فضاءً وبنية مهيكلة بطرق ووسائل حديثة تحوي كل عناصر المؤسسات العصرية، تتأسس وتستمر انطلاقا من استثمار لموارد مالية ونشاط اقتصادي وتجاري لإنتاج وتقديم خدمات بمقابل مادي توجه جزء منه للنشاطات الاجتماعية . إذ لا معنى لوصف نشاط أي تنظيم بكونه نشاطا تضامنيا واجتماعيا ما لم يحمل صفة الاستقلالية وعدم التبعية والابتكار والإبداع.

ومن هنا فان السعي نحو قضايا الأفراد والمجتمع لدى الزاوية لم يكن يعني الانغماس والحرص على الدنيا بقدر ما كان يعني التفاعل الوجداني والاندماج الإيجابي مع قضايا المجتمع ضمن رؤية مرتبطة بتزكية النفس والارتقاء بها إلى أعلى المقامات. حيث اعتبرت المدرسة العلوية أن الأمر بالمعروف والانتصار

للضعفاء والتفكير في قضاياهم وحل مشاكلهم هي من أكبر تجليات الحياة الوجدانية الصادقة، و أن العزلة ورفض العمل الاجتماعي المنتج يعد من معوقات الكمال الإنساني و السمو الأخلاقي ،وهو ما يؤسس للقول أن الدافع وراء هذه المساعي هو في النهاية ترجمة وانعكاس لتراكم تلك التربية المباشرة أو غير المباشرة التي ما انفك شيوخ الزاوية العمل على غرسها في نفوس المريرين لخوض غمار الحياة الاجتماعية عامة انطلاقا من التزكية الروحية والتكوين الأخلاقي والتي كانت تدور مجملها على التأكيد على أهمية السعي والتدبير لتحقيق مقتضيات الحياة الاجتماعية وجعلها أكبر موجه ومرشد للنفس نحو كمالها وللحد من كبريائها وغرورها ، وليصبح العمل في شكله الكلي و الموجه للشأن العام خاصة عند الزاوية العلوية بهذا المعنى "ليس سعيًا للكسب فحسب بل هو أيضا السعي في ابتغاء فضل الله الذي أودعه في الأرض ،وهكذا فان العمل بهذا المنظور لا يعني بذل المجهود لاستقامة العيش إنما بذل المجهود لاستقامة التصوف ليصبح بهذا العمل إطار اجتماعي يوفر استقلالية مالية تجلب القوة و المعونة في الصبر على الطريق" 1

وهنا نجد أن السعي والمبادأة لخدمة المجتمع والوقوف على تحقيق حاجاته أضحت لدى الصوفية مقصدا شرعيا ومطلبا أخلاقيا تجاوزت به مسألة العمل الخيري والتضامني قبل أن يكون قيمة إنسانية أو بديل تنموي بلغة العصر الحالي، تستند في ذلك على رسالة سيد الخلق في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني " أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ،أو تكشف عنه كربة ،أو تقضي دينه أو تطرد عنه جوعا ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلى الله من أن أمكث في المسجد شهرا ". وقوله "لأن يأخذ أحدكم

1-أوسرير محمد، مفردات التربية الصوفية ثنائية الوجدان والمجتمع، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد12 سنة 2015 ص228-233

حبله ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعهها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعه " . وأن الرجل الصوفي مطالب بالسعي إلى مسايرة العصر وعدم اقتصار جهوده حول قبور شيوخه لتلاوة الذكر وإشعال الشموع، بل عليه العمل والسعي في طلب الرزق والسير على وجه الأرض والاجتهاد والبحث عن مصدر رزقه، وألا يكون كلاً على غيره وذلك وتصديقاً لقوله صلى الله عليه وسلم "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: اليد العليا خير من اليد السفلى قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان "رواه مسلم.

إذ نجد أن ما ميز المبادرات التضامنية والاجتماعية التي أشرفت عليها الزاوية العلوية وتبنتها منذ نشأتها هي فكرة الإبداع والابتكار التي يستشرفها ويستشعرها القائد أو الشيخ والذي لعب دور المقاتل الاجتماعي الساعي دوماً في البحث عن حلول وأفكار جديدة كانت في الكثير من الأحيان سابقة لزمانها. هذا الإبداع كان مرتبطاً في الحالات العامة بنوعية القيم ومنها القيم الصوفية وما تحتويه من مبادئ أخلاقية وفكرية تدعو إلى العمل والإتقان والاجتهاد والسعي ونبذ الأنانية، وهو ما جعل من موضوع روح المبادرة والسعي للخيرات من المواضيع التي مثلت نقطة ارتكاز في الفكر الإسلامي عامة والصوفي خاصة، فنجد انه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وردت العديد من الآيات والأحاديث التي تشير إلى أهمية المبادرة والبدء في عمل الخير والتفكير في شؤون الخلق والسعي إلى تحقيقها بطرق صحيحة. بل أن مصطلح السعي ورد في القرآن في ثلاثين موضعاً منها عشرين موضعاً بصيغة الفعل، كل ذلك ينفي تلك الصورة الذهنية السائدة في كون الصوفية جماعة من الناس انعزلت وتقوقعت على نفسها تمارس الطقوس والنقش والزهد وانتظار المصير، وكون الصوفي الحقيقي ليس من يعزل نفسه عن مجتمعه بين جدران زاويته غير مبال بقضايا مجتمعه بل المجتمع هو الفضاء الحقيقي لتجسيد تعاليم وقيم الصوفية.

وهو ما يؤكد على أنه لا يمكن الحديث عن تدبير اجتماعي إلا بتوفر مصادر ذاتية للتمويل إذ " لا شك أن المال يعتبر عامل مهم ورئيسي في تحقيق النجاح، ولكن المال في مشروعات ريادة الأعمال الاجتماعية ليس هدف في حد ذاته بل وسيلة لتحقيق التنمية، وأن الهدف الرئيسي من ريادة الأعمال الاجتماعية هو تحقيق التغيير الإيجابي المطلوب في المجتمع"<sup>1</sup>. وهوما جعل منها منظومة لا تختلف عن المنظومات الاقتصادية التقليدية فيما كونها لا تركز غاياتها على تحقيق الربح بقدر ما تركز على المجتمع. حيث أوضحت الكثير من التجارب العالمية في مجال المبادرات الاجتماعية أنها كانت تعتمد على استثمار موارد مالية في إنجاز مشاريعها الاجتماعية وكيف استثمروا في مواردهم المالية في إنجاز مؤسساتهم الاجتماعية والتي تخطت حدود بلدهم لتصبح تمثل ظاهرة اقتصادية اجتماعية عالمية. وهو ما تنبه له القائمون على المشاريع الاجتماعية والتضامنية في الزاوية العلوية وعدم اعتمادهم على دعم المنظمات غير الحكومية أو على العطاءات والمنح الخيرية أو على المساندة الحكومية لإتمام مشاريعها، بل كثيرا ما اعتمدوا على القيام بمشاريع تجارية وزراعية خاصة من أجل توفير ما يحتاجونه لتسيير هذه المشاريع، إضافة إلى هبات وصدقات المحسنين والمحبين. انطلاقا من قناعة راسخة لديهم في كون العمل الاجتماعي التضامني " يُدار وفق مبادئ مماثلة لتلك التي تدير مؤسسات الأعمال الهادفة للربح حيث يركز فيه على تقديم منتجات وخدمات ذات نفع اجتماعي، إذ بمجرد أن يكسر المشروع الذي يحركه تحقيق الأهداف الاجتماعية حاجز التبعية المالية يستطيع التحليق بحرية في سماء تحقيق هدفه ويصبح مشروعا مستداما من خلال ذاته ويتمتع بنمو وتوسع غير محدود، وحينما ينمو المشروع الخاص بالهدف

1-تيريزا شاهين، مقدمة إلى ريادة الأعمال الاجتماعية، المركز الدولي للأبحاث والدراسات، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص75

الاجتماعي تنمو معه المنافع التي يحققها للمجتمع.... ومن ثم فإن المشروع الاجتماعي يُصاغ ويمارس كمؤسسة أعمال بإنتاجها وخدماتها وعمالها وأسواقها ونفقاتها وعائداتها، ولكن مع الاستعاضة عن هدف تعظيم الربح بهدف المنفعة الاجتماعية، فبدلاً من تحقيق أهداف مالية بحتة يسعى المشروع الاجتماعي إلى تحقيق هدف اجتماعي مع تحقيق أرباح تمكنه من الاستمرارية<sup>1</sup>.

ذلك أن المنظمات الخيرية والاجتماعية كانت تعيش حالة من التبعية كونها لا تستطيع أن تستمر إلا بوجود الدعم المالي من تبرعات الأفراد والمنظمات والجهات الحكومية وغير الحكومية، وعندما تختفي أو تتراجع هذه التبرعات تتوقف الأعمال الخيرية. "إذ ومن أكثر الأخطاء التي يقع فيها الرواد الاجتماعيون التفكير فيما يقومون به كما لو كان جمعية خيرية أو مشروعاً غير ربحي بل على العكس أن الأفكار الريادية لن يكتب لها النجاح إلا إذا اتبع القائمون عليها نفس استراتيجيات الشركات الربحية الأكثر نجاحاً في العالم. وأن بناء فريق العمل لمشروعات الريادة الاجتماعية لا يقل أهمية عن بناء فريق العمل في أي مشروع ربحي"<sup>2</sup>.

وكلها مؤشرات ودلائل على أن الزاوية العلوية وعبرها مؤسسة "ألف" كانت تعد وحدة اقتصادية وبنية تنظيمية تنتج سلعا وخدمات تهدف إلى إيجاد قيمة سوقية مضافة وتحقيق أرباح، تُفدّ مجموعة من النشاطات وتَهتمُّ بتوفير موارد مالية من أجل استمرار العمليات الخاصة بها، ذات شخصية قانونية تتمتع بالاستقلال المادي والإداري، كما تتأسس على أطر تنظيمية محددة لها نفس تنظيم الشركات التي تهدف لتعظيم الربح من حيث الفضاء المكاني والتنظيم الهيكلي والسجل التجاري والنشاط الاقتصادي ورأس مال وعمال وموظفين دائمين، رغم أنها كانت تختلف عنها في الأهداف "إذ تقوم هذه الكيانات مثلها مثل كيانات الأعمال الأخرى بتوظيف العمالة وإنتاج السلع والخدمات وتوصيلها للعمال بسعر

1-يونس محمد، عالم بلا فقر، مرجع سابق، ص49

2- خيري أمل، تجارب في الريادة الاجتماعية، مرجع سابق، ص105

متوافق مع الهدف الذي تسعى إليه، ويكون هدفها الضمني والمعياري الذي يجب أن تقيم وفقه هو خلق منافع اجتماعية لمن تدركه بنشاطها من أفراد وأسر وجماعات، وتمكن للشركة نفسها أن تحصل على ربح. فمؤسسة المشروع الاجتماعي هي شركة يحركها سبب وجودها ولا يحركها السعي إلى الربح ورسالتها أن تعمل لتغيير العالم من حولها" 1.

إن ما يميز نشاطات المقاولات ذات الطابع الاجتماعي أنها تقوم على مبادئ وآليات تختلف عن بقية النشاطات الخيرية والتضامنية الأخرى في التسيير والبناء والتنظيم في حين يتفوقون في الغايات والأهداف، حيث تركز الأولى على الإبداع والمخاطرة وعلى البحث عن مصادر للتمويل عبر نشاطها الاقتصادي والتجاري، فإن الثانية تعد حلقة وصل فقط بين المحسنين والفقراء تستقبل الإعانات لتوزيعها على المحتاجين، تقوم مواردها على الصدقات والتبرعات. ما يجعل من مؤسسات المقاولات الاجتماعية مؤسسات منتجة تقوم على نشاط تجاري أو اقتصادي مهيكّل ومنظم ووفق الشروط المعمول بها في المؤسسات الاقتصادية التقليدية تضمن بقاءها واستمرارها وتخصص بالمقابل جزءاً من مداخنها للنشاط الاجتماعي التضامني. في حين يبقى استمرار الثانية رهين بتوفر الموارد المالية، ما يجعل بالتالي من مؤسسات المقاولات الاجتماعية تقوم على التطوع والمبادرة والانتماء الذاتي بدون إكراه أو السعي لتحقيق غايات ومنفعة مهما كانت طبيعتها، يحكمها تنظيم مهيكّل وغير مرتبطة بأجهزة الدولة يتمركز نشاطها حول مجابهة التهميش الاجتماعي واللامساواة والعدالة الاجتماعية.

وهنا نجد أن تجربة الزاوية العلوية تتوافق في الرؤية مع الكثير من التجارب العالمية في مجال الريادة الاجتماعية التي اعتمدت استثمار الموارد المالية في تجسيد وإنجاز مشاريعها الاجتماعية وعدم الاتكال على إعانات الجمعيات الخيرية أو ما تجود به الحكومات، كون الريادي الاجتماعي يستشعر المشاكل

1-يونس محمد، عالم بلا فقر، نفس المرجع، ص48

ويبحث عن الحلول. اذ عملت مؤسسة "ألف" كمؤسسة تجارية على إقامة شراكة مع المؤسسات الاقتصادية الخاصة والعمومية والبحث عن أسواق وعملاء لتسويق خدماتها بشكل دائم عبر استغلال الفضاءات المختلفة لتسويق خدماتها، كما أصبحت تدير مشاريعها التجارية وفق منهجية وخطوات التسيير والتخطيط الاقتصادي العصري بدخولها عالم الاحترافية بعيدا عن النشاط الظرفي والمناسباتي. كل ذلك جعل من الزاوية العلوية مؤسسة نموذجية في التسيير المستقل عن دعم الهيئات الحكومية وهو ما يفسر استمراريتها في النشاط على الرغم من الأزمات والهزات التي عرفتھا عديد الزوايا والمؤسسات الخيرية الأخرى. وكونها مؤسسة تحمل رؤية تنموية ورسالة تربوية مفادھا أن التصوف حالة روحية ورسالة أخلاقية لاكتساب فن صناعة الحياة ومواجهة التحديات عبر اكتساب قيم حب العمل وإتقانه والاعتماد على الذات في تدبير الشؤون الخاصة بعيدا عن روح الاتكال والتواكل، وضمن رؤية مهيكلة تنظيميا وإداريا واقتصاديا.

وبشكل عام إن اعتماد الزاوية العلوية على مقارنة العمل الاقتصادي ومنهج الاستقلالية والسعي نحو البحث عن موارد لتمويل مشاريعها الاجتماعية، التعليمية والفكرية عبر اعتمادها مشاريع وأنشطة تجارية وزراعية لضمان استمرارية دورها الريادي تعود إلى عوامل فكرية وأخرى تاريخية. حيث تعود العوامل الفكرية إلى رغبة الزاوية في بعث رسالة تربوية لمربيها وبقية الأفراد مفادھا أن الرجل الصوفي إنسان عملي ايجابي غير متواكل على الآخرين يعتمد على عرق جبينه في إشباع حاجاته لا ينتظر الناس أن أعطوه أو منعه. في حين تعود العوامل التاريخية إلى ظروف نشأتها التي ارتبطت بوجود الاستعمار وسياسة التضييق وتجفيف منابع ومصادر التمويل الخارجية التي اعتمدها على الزوايا بالإضافة إلى موقف السلطات الجزائرية بعد الاستقلال ومطاردتها للزاوية ومصادرة ممتلكاتها ومنع الإعانات عليها. كل ذلك جعل منها تعتمد على موارد ومصادر ذاتية عبر ممارسة التجارة الفلاحة وغيرها. ما جعل من الزاوية

العلوية عامة ومؤسسة ألف خاصة تتجاوز فكرة العمل الخيري والتضامني التقليدي إلى البحث عن آليات وبدائل تنموية كان أبرزها اعتماد فكرة المقاولات الاجتماعية.

### المحور الثاني: البعد الاجتماعي

إن الثابت في قانون المقاولات الاجتماعية هو تميزها بخصائص ومبادئ تختلف بها عن بقية النشاطات الاجتماعية التضامنية والمبادرات الخيرية الأخرى أبرزها توفرها على مصدر لتمويل نشاطاتها وأهدافها. وهو محتوى تساؤلنا الذي تمركز حول مصدر المبادرات الاجتماعية والغاية التي سعت إليها المؤسسة ضمن مشروع رقمنة التراث الروحي الإسلامي، إذ نجد أن كل المبحوثين أكدوا على أن مصدر تمويل المشروع كانت المؤسسة الاقتصادية التابعة للزاوية ورئيسها الشيخ خالد بن تونس إضافة إلى الموردين أنفسهم والمحبين والمتطوعين.

يقول أحد الذين تقابلنا معهم " إن كل ما تم إنجازه كان بتمويل من أموال الزاوية الخاصة والشيخ

والموردين والأحباب، حيث الجهات الرسمية لم تقدم لنا أي دعم" المقابلة رقم 6 .

حيث اعتمدت مؤسسة الزاوية العلوية منذ البداية في تمويل مختلف المشاريع التي أشرفت عليها على

مصادرها الخاصة بتخصيص جزء من مداخيل النشاطات التجارية والزراعية التي تشرف عليها ضمن

أراضي الحبوس والوقف ومن إعانات وصدقات وهبات المحسنين. ومقاربة التمويل الذاتي للمشاريع

الاجتماعية كما تعد رؤية اقتصادية اعتمدها مؤسسة الزاوية العلوية في تمويل مشاريعها فهي كذلك تحمل

رسالة تربوية للدعوة للسعي والاجتهاد من أجل التعريف بنورانية الإسلام.

يقول أحد المبحوثين "كنا نجمع كل مرة نصيب من مالنا الخاص لكي نوفر الوسائل التي نحتاجها "

المقابلة رقم 7

تلك الرسالة التربوية التي تجسدت في قدرة هذه المجموعة على تمويل وتجسيد مشروعاً تقنياً تضمن العديد من البرامج التقنية التي تطلبت الكثير من الأموال والوسائل التقنية والتي كانت غير متاحة في تلك الفترة، ما يبرز مستوى التحدي وقوة العزيمة ومستوى العطاء عند هؤلاء.

وبضيف مبحوث آخر " لقد تميّز العمل بالحماس والرغبة الملحة بدافع تقديم شيء لصالح الإسلام والأمة وفي سبيل الله كصدقة جارية لا نسعى من وراءه إلى تحقيق أي مصلحة أو مكسب وفائدة بقدر ما كان دافعنا ديني للمساهمة في التعريف بقيم الإسلام، وأخلاقي يتمثل أكثر في حبنا وإخلاصنا للشيخ وطاعته لطاعة الله تعالى. فكان أساس العمل في المشروع قائماً على الحرية المطلقة للمريدين في الانتماء إلى عمل المشروع أو حتى الخروج منه بدون أي ضغط أو تأثير، وهو ما جعلنا نعيش مع المشروع في حماس و اجتهاد ورغبة "المقابلة رقم 1

ما جعل من الأفراد المنتسبين للمشروع والمساهمين في تحقيقه يحملون رؤية تنطلق من كون المشروع ذو طابع مقدس في سبيل البعث بنورانية الإسلام وسماحته يوازي فريضة الصدقة والزكاة والجهاد بالنفس في سبيل الله، وهي قيم تحمل دلالة روحية وقوة رمزية لدى الفرد المسلم، لما يحمله من قداسة وإجلال لكل ما يرتبط بالإسلام وفرائضه. يقول آخر "ما نقدرش (لا استطيع) نوصف قيمة السعادة التي كنا فيها حينما نلتقي كل يوم ونعمل على أحد البرامج التي كانت تعمل فيها ألف سواء الأعلام أو أسباب النزول وغيره" المقابلة رقم 11 . تلك القداسة التي أعطت طابع الإلزام الأخلاقي والمعنوي و الواجب الديني نحو الانتماء للمشروع، ليصبح الانتماء له يعطي معنى لوجود هؤلاء الأفراد ووسيلة لتحقيق الرضا عن الذات والترقي في أعلى درجات المقامات حسب التعبير الصوفي وصولاً لتحقيق إشباع نفسي ووجداني وطمأنينة وسلام داخلي ولدت طاقة كامنة ودوافع قوية ساهمت في تيسير عقبات العمل في المشروع. وجعلت الانتماء إليه يتم بطريقة تطوعية. يقول أحد المبحوثين " الانضمام للعمل في المشروع كان بطريقة

ذاتية تطوعية خاصة بعد إيمان هؤلاء بمشروع الشيخ، وهذا كله نتيجة قوة الثقة المتبادلة بين الشيخ وبيننا " المقابلة رقم 3.

هذه الدافعية والرغبة في الانتماء للمشروع وما يحمله من تضحية بالجهد والوقت والمال لا يمكن تفسيره إلا بمستوى الثقة في الشيخ والإيمان بقوة المشروع والتي ولدت حافزا معنويا ودافعا قويا ساعد على تخطي العراقيل وإنجاح المشروع . يقول أحد المبحوثين "كنا كثير من المرات نتوجه من وظائفنا إلى مقر العمل بالمشروع ونستمر لغاية منتصف الليل " المقابلة رقم 3

وهنا تظهر قوة تأثير البعد الروحي والرمزي للشيخ وطابع القداسة للمشروع المرتبط بإعادة بعث التراث الروحي الإسلامي في فهم درجة الإصرار والاستعداد الدائم لخدمة الزاوية العلوية بل والارتياح الذي يستشعره هؤلاء وهم يسعون بكل جهد لإنجاح المشروع. يقول أحد المبحوثين " كنا نشعر بسعادة لا توصف حينما نلتقي كل مساء بعد صلاة العصر حتى لقريب منتصف الليل حيث نعمل بدون تعب أو ملل لأن الأمر يتعلق بنشر الإسلام بطريقة جديدة وبمشروع يشرف عليه سيدي خالد بن تونس " المقابلة رقم 8.

ومن ذلك يؤكد آخر " أن إيماننا بالمشروع ومحبتنا للشيخ ( والمقصود به شيخ الزاوية خالد بن تونس) هي سبب تطوعنا وانتمائنا ورغبتنا في تقديم شيء للإسلام " المقابلة رقم 2" تلك المحبة التي يرى فيها الصوفية سبيل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى وطريق التجربة الروحية للوصول إلى أعلى المقامات. ذلك أن جوهر المحبة هو إثارة المحبوب على كل ما عداه، وكما أن الصوفي يؤثر الله على نفسه كذلك يؤثر على نفسه غيره من الناس . ويضيف نفس المبحوث "نحن في انضمامنا لرقمنة المعطيات الإسلامية لم نكن نسعى إلى تحقيق ربح أو شهرة ما بقدر ما كنا نسعى إلى مرضاة الله تعالى وتحقيق مسعى الشيخ لنشر التعاليم الصحيحة للدين " المقابلة رقم 2

وهنا يظهر قوة تأثير التمثلات القيمية والرمزية التي يحملها أفراد المجتمع لقداسة المكان وروحانية الشيخ

وجاذبيته ، وكذا طبيعة المشروع الساعي في إطار عمل اجتماعي تضامني لإعادة نشر المعرفة الإسلامية الروحية وتاريخ رموزها وإعادة الاعتبار لصورة الإسلام المنيرة و نزعة الإنسان الفطرية نحو الدين عوامل ساهمت في تشكيل طاقة معنوية ساعدت هذه التنظيمات على مواجهة حجم التضحيات ، وفي تشكيل هوية فرعية خاصة بين أفرادها تجلت خاصة في مستوى الانسجام والاندماج الايجابي والفكري ، وفي درجة الاحترام و التراتبية القدسية والهرمية الرمزية بينهم، هذه الهوية التي ساهمت في تنظيم وتحديد الأدوار بين المجموعة وفي تجديد الطاقة المعنوية لتحقيق الاستمرارية و التغلب على الصعاب. وكون التنظيم كما يقول "ألان تورين" يبقى أداة تقنية تُستثمر لأجل تعبئة الطاقات الإنسانية وتوجيهها نحو غايات محددة"1.

وهنا يقول أحد المبحوثين "أتذكر أننا كنا نتنافس فيما بيننا من يستطيع أن ينهي عمله الأول، فكنا نأخذ العمل معنا إلى بيوتنا ونطلب المساعدة من أفراد أسرنا لإنجاز العمل المطلوب مثل قراء التفسير أو جمع معلومات حول علم من الأعلام أو حديث نبوي حول موضوع معين" المقابلة رقم4

والمنافسة هنا تعني المسابقة نحو عمل الخير لتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى ومحبته، وكون العمل يحمل بعدا روحيا مقدسا تربط بينهم عبادة الخالق ومحبة الشيخ. حيث يضيف مبحوثا آخر بقوله "كل العمل كان لوجه الله فقط، كنا نعمل كأسرة واحدة كوننا أخوة في الدين وكان بيننا محبة للشيخ والزاوية" المقابلة رقم3.

إن طبيعة المشروع وغاياته المرتبطة بإعادة اكتشاف وتنظيم بيانات المعطيات الروحية الإسلامية بطريقة جديدة وبأسلوب عصري يتماشى والتحولات الاجتماعية والعلمية المستقبلية، إضافة إلى درجة الولاء والاحترام التي يحملها هؤلاء لشخصية الشيخ جعلت من المشروع يحظى لديهم بطابع من القداسة والواجب

1-لكرامات عبد الصبور، الاقتصاد التضامني وتمثل الفاعل المحلي للممارسة التنموية لتنظيمات القرب، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز

الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، العدد 08، 2019، ص287

الديني ضمن مفهوم الصدقة الجارية دوافع قوية ولدت حوافز ساعدت على تحقيق المشروع. هو ما يفسر قدرة هذه المجموعة من الشباب على تجسيد مشروع حدثي كان يعد الأول من نوعه على المستوى الجهوي والمحلي وما تطلبه من موارد و إمكانات مالية كان مصدرها من أموال الزاوية ومساهمات المريرين والمحبين، وكيف أنهم كانوا يوفرون أجزاء من مواردهم الخاصة لاستمرارية المشروع. وكل ذلك لغاية مرضاة الله تعالى وتنفيذا لمطالب الشيخ، وكون المشروع حسب المبحوثين كان امتدادا لفكرة الشيخ الأول أحمد العلوي القائمة على تعميم القراءة لجميع أفراد المجتمع من خلال طبع ونشر الرسائل العلمية وتسهيل توزيعها بين الناس ضمن أسلوب اجتماعي تضامني والسعي إلى بناء إنسان متوازن بين قيمه الروحية الإسلامية ومتطلبات عصره المتطور باستمرار. هذا المبتغى حسب الزاوية العلوية لا يتحقق إلا عبر بناء منظومة فكرية، تعليمية وأخلاقية لدى الأفراد يكون منبعها سير الصالحين بغية تبليغ الرسالة الروحية العالمية، هذه الرسالة التي لا يمكن إعطاؤها للطابع الشمولي والعالمي إلا باعتماد آليات متطورة تتسجم والتطور الحاصل في العالم.

إذ وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلتها الزاوية العلوية عبر مؤسسة "ألف" في تجسيد مشروع بنك المعطيات الإسلامية وكونه كان يعد ثورة تكنولوجية حقيقية سعت إلى تجسيده بإمكانياتها الخاصة وبمبادرة المريرين والمحبين، إلا أن الشكل القانوني المهيكل والمؤطر للمؤسسة كان يعتبر أهم عائق صادف المشرفين على تسيير المؤسسة وكونها مؤسسة اقتصادية في طابعها القانوني ولا تحمل صفة الطابع الاجتماعي الجمعي التضامني في سجلها التجاري، ما حتم عليهم عدم التصريح المعلن عن الخدمات الاجتماعية التي تقدمها حيث ظل هذا المجهود في إطار الممارسة الضمنية التي سعت الزاوية ومنذ نشأتها لتحقيقها وكونها تعد قيما ثابتة لدى الإنسان الصوفي، إذ وعلى الرغم من حجم العراقيل الإدارية والتشريعية إلا أن المبادرات التضامنية الاجتماعية قديمة في المجتمع الجزائري من القديم ولعل نماذج التوزيعه وتجامعات خير بيان على أن الثقافة الشعبية الجزائرية هي ثقافة مقاومة اجتماعية منذ الأزل

كموروث ثقافي وروحي يحمل الفرد الجزائري في مخياله وسلوكه وثقافته وممارسته. "لكن المفهوم غير متداول لدى الفكر الصوفي كونه جزء من التربية الصوفية القائمة في ذاتها على رموز و إشارات، كما أن سلوك المتصوفة يحارب الاتكال والتواكل وهو ما جعل منهم دائمي السعي نحو البحث عن الحلول للأزمات" المقابلة رقم 1.

ويضيف مبحوث آخر " منذ البداية كان التشريع الجزائري يعتبر من أكبر الأمور التي عرقلت تنفيذ مشاريع الزاوية بل وصل الأمر إلى حد مصادرة الكثير من الموارد كون القانون لا يعترف بشيء اسمه مبادرات اجتماعية تضامنية خاصة لكن يوجد جمعيات خيرية. والزاوية ليست جمعية خيرية" المقابلة رقم 2 كل ذلك يجعل من التنظيمات الاجتماعية التضامنية التي أشرفت عليها الزاوية العلوية فضاء اجتماعيا وثقافيا تتم فيه عملية التفاعل وإنتاج وإعادة إنتاج قيم رمزية وثقافية مصدرها مجموعة من المواطنين لا يسعون في النهاية لتحقيق غايات وأهداف مادية بقدر ما يسعون لإشباع دوافع وحاجات روحية. هذه التنظيمات وعلى الرغم مما قدمته من خدمات تنموية متعددة في المجتمع الجزائري إلا أنها لا تتوفر على غطاء شرعي وقانوني، كون منظومة التشريع الجزائرية لا تتضمن على إطار يجيز لها النشاط بشكل علني وصريح.

## المحور الثالث: البعد الإداري

تتعدد مفاهيم المؤسسة على اختلاف أشكالها وأنشطتها فينظر إليها اقتصاديا بكونها تنظيما اقتصاديا يسعى لإنتاج سلع وخدمات وتحقيق أرباح. في حين ينظر إليها من الناحية السوسولوجية بأنها أنظمة ذات معايير متداخلة تتبع من قيم ثقافية مشتركة وفضاء للتنشئة المهنية وقناة لتبلور القيم وتمريها. أما من الزاوية القانونية فالمؤسسة شخصية معنوية قانونية مستقلة تحمل اسما خاصا، لها ميزانية وخطة عمل كما لها حقوق وصلاحيات محددة، ما يجعل من المؤسسة بنية تنظيمية وهيكل قانونيا تقوم على تفاعل العناصر المادية والمعنوية والبشرية، تتأسس وفق أطر إدارية وتشريعات قانونية ثابتة وطريقة عمل متفق عليها بين أعضاء المجموعات البشرية المكونة للبنية التنظيمية للمؤسسة.

يقول أحد أعضاء المجموعة الذين تقابلنا معهم وهو ما زال يشتغل بالمؤسسة "مؤسسة ألف مثل المؤسسات الاقتصادية والتجارية الأخرى لها هيكل تنظيمي فيه رئيس مجلس الإدارة وموظفين وعمال وبقى الشيخ خالد هو المدير الشرفي للمؤسسة. اعتمدنا في مشروع "ألف" على مبدأ التشاور والخروج برأي متوافق عليه "المقابلة رقم 1 والملاحظ أن مبدأ التشاور مستمد من أصول التجربة الإسلامية القائمة على موافقة الجماعة على كل ما يتعلق بتسيير مشروع "ألف".

وبضيف آخر " كل قراراتنا تكون بأسلوب الحوار. كل واحد عندوا صوت يقول رأيه بحرية وما يعلقش (لا

يعلق) على واش قال الذي سبقوا، نجتمع بشكل دائري قول رأيك وأسكت" المقابلة رقم 3

حيث اعتمدت طريقة تسيير المشروع واتخاذ القرارات على مقارنة تربية تنطلق من فكرة احترام الرأي الآخر وتقبله وأن الجميع سواسية. وهنا يضيف مبحوث آخر بقوله " لقد اعتمدنا في اتخاذ كل قراراتنا على طريقة حوارية بشكل دائري لكل واحد من المجموعة الحق بالإدلاء برأيه بكل حرية وديمقراطية ثم

نشترك في الأخير على ما تنفق عليه المجموعة" المقابلة رقم 4

ويقول مبحوث آخر " الطريقة اللي اعتمدناها كنا نسموها ميطا، وتعني قول رأيك واسمع واش يقول صاحبك بدون ما تعلق وفي الأخير نخرج برأي واحد " المقابلة رقم 6 تقوم على شكل دائري يكون فيها كل واحد يمثل المركز. " كانت طريقتنا في المناقشة واتخاذ القرارات تقوم على الحوار والمشورة، نجلس في شكل دائري وكل فرد من المجموعة يعطي رأيه فقط دون التعليق أو مخالفة الآخرين، وفي الأخير نخرج بنتيجة واحدة دونما نقصي ولا واحد " المقابلة رقم 8

وطريقة تسيير الاجتماعات واتخاذ القرار "ميطا" التي ابتكرها واعتمدها الصوفية منبعا فلسفة التربية الصوفية "القائمة على فكرة الدائرة والتي هي عبارة عن مجموعة نقاط بحيث كل واحد يُعتبر نقطة من الدائرة. فكما يكون أحدنا يمثل الترتيب الأول في نقاط الدائرة يكون في نفس الوقت هو آخر نقاط هذه الدائرة. وهو تحقيق لفكرة المساواة في الرأي، ذلك أن المجموعة تكون على نفس المسافة من المركز تجسيدا لفكرة المساواة وتحقيق الكرامة الإنسانية، إذ لا أحد يملك المركز وبالتالي لا يملك الحقيقة المطلقة وهي فلسفة اليقظة والإيقاظ. ومفهوم الدائرة مصدرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى بدائرة الفضائل والوجود " المقابلة رقم 1. وهي طريقة تسيير تشاركية تستند على الحوار وتقبل الرأي الآخر. قوامها الاحترام والمحبة والأخلاق الفاضلة وهي قيم يستند عليها السلوك الصوفي وتقوم عليها مبادئها التربوية. وهنا يضيف أحد المبحوثين " تعلمنا في المؤسسة قيمة الحوار والتشاور واحترام بعضنا البعض ما كانش واحد (لا يوجد أحد) خير من الآخر، وهي قيم نابغة من الأخلاق والمحبة. وأخلاقنا الصوفية كانت تمنع باه واحد يقول أنا نعرف خير من الآخرين، كلنا متساوين في الصوت والقيمة" المقابلة رقم 9

وطريقة "ميطا" حسب صاحب الفكرة خالد بن تونس تنطلق من تأمل صوفي يقوم على فكرة أن البعدين المادي والروحي يمكن أن يتزاوجا لتحسين وضعية المجتمع والعالم بواسطة أدوات التدبير المكيفة مع عمل الدائرة. في هذه الدائرة تكون المزايا والفضائل مجتمعة، وهي طريقة تدرس أخلاقيات الإدارة التقليدية والبديلة. ويضيف قائلا " إذا كنت قد تعبت من المتلثات أو من الهرم لتمثل المجتمع جرب الدائرة، لأن

المتلث والهرم مليونان بالمشاكل. فالذين يتواجدون في قمة المتلث يودون أن يظلوا هناك، ونفس الشيء بالنسبة لمن هم أسفل الهرم فهم يرغبون في التسلق وهذا يؤدي إلى نزاع حتمي. أما الدائرة فالأمر يختلف كل واحد يكون في نفس الوقت الأول وفي الأخير وعلى مسافة متساوية من المركز. والمركز لا يحتله أحد وليس في ملكية أحد، كما يتيح التقاء الجميع ولا يمكن للعجلة أن تعمل إلا بواسطة شعاعات. لذا يمكننا التبادل عبر المركز وكل واحد يضطلع بمسؤوليته وهو يعلم انه من دون الآخر فهو لا شيء، وعلى الجميع أن ينتج معنى وأخوة وعدلا ومساواة، هذا ما تدعو إليه دائرة الفضائل والمزايا.

إن تبني مؤسسة ألف لطريقة "ميطا" كأسلوب تشاركي قائم على الحوار في اتخاذ القرارات والمساواة بين أعضاء المجموعة في قوة الأصوات يعود من جهة لمبدأ الشورى كقيمة أخلاقية ومنهج إسلامي قائم على أخذ رأي الآخرين ومشاورتهم، كما أنها طريقة تشيع جواً من المحبة والألفة في المجتمع وتمنع احتكار الرأي. كما تتيح للآخرين حرية التعبير عن آرائهم وتعميق المساواة بين الناس وتوزيع المسؤولية بين أفراد لهم أهداف مشتركة واستقلالية في إدارة شؤونهم. كما أن القصد من وراء تفعيل الطريقة التشاركية عند أعضاء المجموعة كان لتطوير رابطة روح الانتماء وتقوية الولاء للمشروع مما شكل عاملاً في زيادة درجة إخلاص الفريق لأهداف المؤسسة وضاعف من درجة العطاء لديهم. وهنا يؤكد الكثير من الذين تقبلنا معهم على فكرة الحرية الموجودة في مؤسسة "ألف" نتيجة استقلاليته المالية عبر بحثها الدائم عن مصادر غير حكومية لتمويل مشاريعها انطلاقاً من تبنيها لمشاريع استثمارية في قطاع الفلاحة والتجارة، إضافة لما تحصله من مساعدات المريردين و أموال الزكاة دون انتظار مدد الحكومات المتعاقبة، وهي فلسفة اعتمدها الزاوية منذ نشأتها. يقول أحد المبحوثين "حنا ما فيناش (لا يوجد بيننا) اللي جا للزاوية من أجل المادة، حنا (نحن) جينا بسبب حنا للشيخ وثقتنا فيه وهدفنا المساعدة في إعادة نشر التراث الروحي" المقابلة رقم 5.

حيث يؤكد كل المبحوثين أن أجهزة الحكومة لم تكن في تواصل أو على إطلاع على محتوى البرامج المنجزة على المستوى الوطني والتي كانت تنجز وفقا لرؤية دينية خالصة، حيث أن الأعمال المنجزة كان يتم التداول فيها عبر مداورات المجموعة العاملة على المشروع كمجلس علمي ضمن طريقة الحوار والتشاور ميطا والخروج بنتائج متفق عليها عبر الاجتماع الدوري الذي كان يعقد للفصل فيما يعتمد. ويقول آخر " كل ما تم إنجازه هو من جهد المحبين والموردين والمقتنعين بأهمية المشروع وصدق الشيخ خالد في إعادة التعريف بالدين " المقابلة رقم 8

وهنا يؤكد آخر " انه لا يوجد ثمن لتجديد تراثنا الرباني وقيم ديننا الحنيف، حنا خدمنا واش قدرنا وأولادنا اليوم خير خلف لخير سلف راهم يساهموا من جديد في إعادة بعث المشروع عبر أحد " المبحوث 2. ويقول مبحوث آخر "اللي بغا (الذي أراد) أن يقدم خدمة للدين ما ينتظر أي شيء كل الذي فعلناه هو صدقة جارية. وقد قال سيد الخلق صلّ الله عليه وسلّم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " المقابلة رقم 9

ولعل عدم التبعية المالية والإدارية لأجهزة الحكومة أو لمنظمات سياسية هو الذي جعل من مؤسسة "ألف" تكون حرة في خطها الفكري الساعي إلى ابتكار بنك للبيانات الإسلامية والروحية " لم يكن ولاءنا لأي اتجاه فكري أو سياسي، بل كانت غايتنا هي إعادة بعث التراث الإسلامي بطريقة جديدة موضوعية ولعل طريقة اختيار كتب التفسير من الاتجاهات المختلفة أكبر دليل على عدم تحيزنا " المقابلة رقم 1

وهنا نجد أن القائمين على المشروع أدركوا أهمية المقاربة التشاركية كمنهج فكري تربوي وطريقة تنظيمية سعيًا من أجل التوظيف الأمثل للطاقات الكامنة لدى فريق العمل بغية الاستفادة من معارفهم، ورفع روح الجماعة المعنوية وتقوية مستوى الثقة وزيادة الشعور بالمسؤولية وتطوير إحساس الجماعة بروح الانتماء وتقوية الولاء وصولًا إلى تحقيق الاندماج الذهني والوجداني للجماعة، مما سيزيد إخلاصهم لأهداف المشروع ولتتضاعف درجة العطاء لديهم، مما يشجع ويحفز على العمل على تحقيق مسعى المشروع. كما

تعتبر المقاربة التشاركية كمنهاج ونظام حياة ورسالة تربوية تنبثق من القيم السامية للدين حيث انطلقت الزاوية العلوية في تبنيتها لفلسفتها نحو مقاربة العمل الجماعي من فكرة "أن الفرد لوحده لا يتمكن من بناء الأمة إلا إذا اجتمع مجموع الأفراد لتحقيق هذا الفعل الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي وأن هذه الصورة وإن كانت ظاهرها فعل خيري إلا أنها تتضمن سلوك حضاري مضمونه تنمية روح التضامن الاجتماعي لدى الناس، وإشعارهم بالمسؤولية المشتركة بينهم اتجاه بعضهم البعض"<sup>1</sup>. وهو تجسيد فعلي لقوله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر " متفق عليه. كل ذلك أعطى لمؤسسة "ألف" درجة عالية من الاستقلالية المالية والإدارية والفكرية، تتبنى نمطا تشاركيا في اتخاذ القرارات.

---

<sup>1</sup> -بن عزوز عبد القادر، الاقتصاد التضامني الاجتماعي أسسه ونتائجه، مرجع سابق، ص228

- وعند تساؤلنا عن حدود مساهمة القيم الروحية الصوفية في تدعيم وتحفيز الانضمام والمشاركة في تحقيق مسعى الشيخ خالد بن تونس وعن مصدر ذلك الإصرار والرغبة والطاقة في تحمل أعباء العمل اليومي وحجم المجهود والمتاعب والأموال التي تتطلبها المشروع على طول 12 سنة، فإن كل المبحوثين كانت تفسيراتهم مرتبطة بدرجة المحبة والاحترام والصدق ومستوى الثقة والولاء التي يبديها هؤلاء للشيخ والزاوية بشكل عام وفي طبيعة المسعى المرتبط بالبعد الروحي المتمثل في إعادة التعريف بالإسلام.

يقول أحد المبحوثين "المشاركة في المشروع كانت عفوية والسر في ذلك هو الإيمان بالمشروع وصاحب المشروع، ولا يتحقق ذلك إلا بواسطة المحبة إلى صاحب المشروع تلك المحبة التي كانت تعتبر دافع محفز ومحرك لكل فرد. إذ لولا المحبة لصاحب المشروع ما دخل أحد إليه" **المقابلة رقم 1**

ولأن محبة الخلق سبيل لمحبة الخالق فقد أرجع الصوفية الأصل في الوجود للمحبة بوصفها المدخل الرئيسي لقلب المرید وعقله، تتجلى على مستوى الفعل والممارسة وتظهر عند المحبين في تصرفاتهم ومواقفهم من المحبوب في ميادين الحياة، لتسهم بذلك في صياغة المواقف والاتجاهات، فيترتب عنها صدق القول وقوة الإرادة وشدة العزيمة وزيادة الإخلاص وارتفاع مستوى التضحية وتحقيق الثقة وترك الأنانية ونكران الذات. فهي المحبة التي جعلت من هؤلاء يضحون بالوقت والجهد ويخصصون جزءاً من أموالهم لاستمرارية المشروع، بل ويتنافسون على تأدية ما يطلب منهم بقلوب مطمئنة ونفوس راضية. كل ذلك تفسيره بالنسبة لهؤلاء الأفراد هو تلك المحبة الإلهية التي جمعت بينهم " إن السر وراء صبرنا وتحملنا للمخاطر في تلك الفترة والتعب الكبير والمجهودات التي بذلناها كانت كلها بسبب محبتنا للشيخ وثقتنا فيه وفي مسعاه لإعادة بعث القيم الروحية. نحن لم نكن نسعى لمال أو فائدة كنا نمشي في طريق الشيخ سيدي خالد " **المقابلة رقم 4**. وليجعل ذلك من هؤلاء فاقد السيطرة على النفس وأنهم أصبحوا جنوداً ينفذون ما يطلب منهم " محبتنا للشيخ سيدي خالد (يقصد شيخ خالد بن تونس ) والطريق ( يقصد الطريقة العلوية) هي سبب دفعنا باه نكون جنود في مشروع ألف " **المقابلة رقم 3**.

كل ذلك جعل من هذه القيم الروحانية والدوافع الربانية تجعل من هؤلاء المحبين يُهبون حريتهم ومالهم ووقتهم لمن يحبون ليتخطى بهم المادي إلى الروحي لكون " المحبة صفة تجذب القلوب والأرواح والعقول وتدفعها إلى التزقي، قوامها التطهر من الأوصاف الذميمة والتخلي بالصفات الحميدة"<sup>1</sup>. وأن الأمر في النهاية هو تجسيد لمتطلبات تربية صوفية تقوم على طاعة المرید لشيخه " حنا عندنا كلام الشيخ ما يتردش عليه، وهو يشوف ويعرف والشيء اللي يقول عليه هاذاك هو " المقابلة رقم 6

فتولد الحماس وتزيد الرغبة والصدق والإصرار على السعي لتقديم شيء للإسلام "ما تقدرش تعرف درجة الحماس والرغبة اللي كانت عندنا وحنا نتلقاو ومرات نستمرروا في العمل لآخر الليل بكل قوة ونشاط بسبب محبتنا للدين والقرآن والشيخ سيدي خالد" المقابلة رقم 7.

ويقول آخر " إن التصوف يقوم على ثلاث مبادئ أساسية هي الصدق، المحبة والتعظيم. الصدق في المعاملات والعقيدة والعبادة، ومحبة الآخرين يصل إلى تعظيم الأشياء وهي القوة الروحية المحفزة التي جعلت منا ننتمي لمشروع "ألف"، محبتنا الكبيرة للشيخ سيدي خالد وثقتنا فيه جعلتنا نؤمن بفكرته ونعظم مسعاه، وقد أكد ذلك الصوفي ابن عطاء الله الأسكندري 1260-1309 بقوله من نظر إلى الأشياء بعين التعظيم استمد منها وكان عين الله. ومن نظر إلى الأشياء بعين الاحتقار استمدت منه وكان عند الله عقيم " المقابلة رقم 2.

1-عيد ابراهيم عبد الله، هكذا تكلم مولانا محي الدين ابن عربي، إبداع للترجمة والتدريب والتوزيع، مصر، 2013، ص12

إن ما يمكن الاستشعار به عند الحديث مع هؤلاء هو درجة الثقة والإخلاص والولاء والاحترام والوفاء اتجاه الشيخ خالد بن تونس والزاوية العلوية بشكل عام، وأن الأمر بالنسبة لهؤلاء كان أكبر من كونه مشروعاً تقنياً لرقمنة المعطيات الإسلامية والتراث الروحي إلى كونه كان رسالة للتوحيد الرباني والدعوة إلى الحق وتعزيز الهوية الإسلامية وتبليغ الرسالة الروحية العالمية والمحافظة على النور المحمدي وإعادة بعث ونشر التراث الروحي الإسلامي بطريقة عصرية تتماشى وتحولات المجتمع الإنساني الذي أصبح رقمياً بامتياز وتلبي حاجات الجيل الجديد. كما يعد محاولة مباشرة من أجل تقديم الصورة الحقيقية والمشرفة للعالم في كون الإسلام دين علم وابتكار ورفي وحضارة متفتحة على الحضارات محاربا للجمود والتفوق كان يسعى منذ البداية إلى تشجيع العلم والبحث والمعرفة وجعلها من مبادئه وقيمه الخالصة، بل أن أول ما نزل من القرآن جاء يحث على طلب العلم والمعرفة.

وكون أن الأمر يرتبط بمحبة الله تعالى والسعي إلى مرضاته، تلك المحبة التي يرى فيها أهل التصوف مركزاً للتربية الروحية والأخلاقية وطريقاً للوصول إلى الله تعالى، وهو الهدف الذي يسعى ويجتهد كل متصوف الوصول إليه. فإذا كانت التوبة هي أولى مقامات التصوف فإن المحبة هي آخرها كما يقول المتصوفة وأن "الحب الإنساني هو مدخل للمحبة الإلهية وثمرته لذة معنوية تتعالى على مطالب الحس وشواغل الجسد ومن ثم يبدأ العروج إلى حب الذات الروحانية وينتقل المُحب من حب المجال في الصفات الجسمانية إلى حب الصفات المعنوية"<sup>1</sup>.

1- بن الطيب محمد ، الرحمة والمحبة والرضا لدى الصوفية، مجلة التفاهم، العدد 62 السنة 2018 ص151

ومن ذلك نجد أن المحبة التي يبديها هؤلاء للشيخ وللزاوية عموماً كانت تعد بمثابة الطاقة الروحية والمحرك الأساسي للطاقت والطريق المحفز والموجه للسلوك وملهمه نحو طريق الهدايا "تلاقينا على كلام ربي ومحبة الشيخ" المقابلة رقم 3. وهو ما جعل من عامل الثقة لدى المريدين في مسعى الشيخ يعد عاملاً محورياً شجّع وحفّز هؤلاء الأفراد في تدعيم المشروع والانتماء إليه ولكون "المبدعون الاجتماعيون الذين يقومون بإحداث تغيير منظم في المجتمع يجب أن يكونوا موضع ثقة مجتمعاتهم لكي يتحقق لهم النجاح المرجوا"<sup>1</sup>.

إن حجم المشروع ومستوى المجهودات المبذولة وحجم الموارد المالية المرصودة من قبل هؤلاء الأفراد ومن أموالهم الخاصة، ومحدودية الإمكانيات المتاحة ودرجة الحماس والإصرار التي تستشعرها وأنت تتحدث معهم ومستوى الثقة والمحبة والإخلاص الذي يبديه هؤلاء الأفراد للشيخ خالد بن تونس والشيخ الذين سبقوه، وكيف أن الواحد منهم لا يذكر اسم أحد الشيخ إلا باستخدام مصطلح سيدي كتعبير عن مستوى المحبة والاحترام والطاعة ومستوى الثقة التي يختزنونها لهؤلاء الشيخ. وكلمة الشيخ عندهم تنسب فقط له دون غيره من المجموعة كتجسيد لمستوى الترتيب الهرمي الذي كان يحمله هؤلاء المريدين للشيخ ولمشروع ألف. وهو ما جعل من هذه القيم تعد بمثابة موارد معنوية وقوة دافعة وطاقة محفزة أستثمرت في تجسيد المشروع وتفسير حجم التضحيات حيث "أن الجماعة التي يكون أعضاؤها جديرين بالثقة ويضعون ثقة بالغة في بعضهم البعض سوف تكون أكثر قدرة على الإنجاز بالمقارنة مع الجماعات الأخرى التي تفقد للثقة بين أفرادها"<sup>2</sup>.

1-خيري أمل، تجارب في الريادة الاجتماعية، مرجع سابق، ص 94

2-حزان حزان، رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي المانيا، العدد 07 ديسمبر 2018، ص 166

ولعل ما يزيد الإعجاب أكثر بمشروع "ألف" حينما ندرك طبيعة الظروف التي كانت عليها الجزائر في تلك الفترة، حيث كانت تكنولوجيات الإعلام الآلي قليلة الانتشار بين أفراد المجتمع إذا استثنينا بعض المؤسسات الحكومية الكبيرة في حين كان استخدامه الشخصي نادر الحدوث. إذ وفي ظل هذه الظروف يُفكر شيخ زاوية تقليدية في تشكيل فرق عمل من شباب مسلمين غير متخصصين في مجال الإعلام الآلي ومن مناطق مختلفة والشروع في تجسيد مشروع ألف الساعي إلى رقمنة التراث الإسلامي ما يؤشر على النظرة الاستشرافية والأفق البعيد والسلوك القيادي الذي كان يتميز به الشيخ ضمن رؤية ريادية جعلت منه شخصية كاريزمية قوية له القدرة على الإقناع وجمع وتجميع هذه المجموعات من حوله.

يقول "ديفيد يور نستائين" في كتابه كيف تُغير العالم "إن أهم وظائف ريادي الأعمال الاجتماعيين الرئيسية هي أن يقوم بعمل الكيمياوي الاجتماعي وفي إيجاد مركبات اجتماعية جديدة، وجمع أفكار الناس وخبراتهم ومواردهم معا في تشكيلات لا تكون المجتمعات منظمة بصورة طبيعية لإنتاجها"<sup>1</sup>

إذ وعلى الرغم من ضخامة المشروع وما يحتاجه من موارد مالية ولوجستية إلا أن الأمر كله تم بواسطة الأموال الخاصة للزاوية وبمساعدة المريدين والمحبين وبمجهود الفرق المشكلة وبشكل تضامني مجاني، وهو ما جعل من الفكرة مبادرة سابقة لزمانها ومكانها ومشروعا غير اعتيادي لمؤسسة تقليدية.

وهنا يظهر أن القوّة الرمزية والأخلاقية لمسعى الشيخ خالد بن تونس ومحبة المريدين وكذا الإخلاص لوجه الله تعالى وحده والنية الصادقة نحو السعي بتقديم قيمة مضافة خدمة للدين والصدق مع الله ومع الشيخ، كلها عوامل بلورت حافزا أخلاقيا قويا شكّل عند هؤلاء الأفراد رأس مال اجتماعي وطاقة تجاوزت من خلالها العوائق التي اعترضت مسعاهم حيث " لا معنى للحديث عن ريادي الأعمال الاجتماعية بدون أخذ السمة الأخلاقية لحوافزهم بالاعتبار، إذ أنهم يختلفون مع ريادي الأعمال الآخرين ليس في الطبع أو القدرات ولكن في طبيعة رؤاهم، يقول "دافيد ماكلياند" في دراسة له بعنوان "صفات المقاولين الناجحين "

1-ديفيد يور نستائين ، ترجمة لميس فؤاد اليحي ، كيف تغير العالم ، مرجع سابق،ص337

عام 1987 أن ريادي الأعمال الناجحين جدا لم يكونوا بالضرورة واثقين أكثر أو مثابرين أكثر أو مُطلعين أكثر. لكن الاختلافات الرئيسية مع المقاولين الآخرين كان لها علاقة بنوعية حوافزهم، فقد كانوا أكثر

تصميما على تحقيق هدف طويل الأجل كان له مغزى عميق جدا بالنسبة لهم "1.

ويشكل عام فان كاريزيمة الشيخ مثلت مرجعية وقدوة مؤثرة لها نفوذ روحي وسلطان نفسي شكلت طاقة روحية كامنة في رسم وتفسير درجة الثقة غير المتناهية التي تجسدت خاصة في درجة التعاون ومستوى الإحساس بالأمن والطمأنينة والشعور بالرضا ومستوى الأداء والحماس الفياض الذي جمع بينهم على كلمة الله ومستوى الاحترام والتقدير والمحبة لشخصه. كما شكلت عاملا محوريا في بلورة واستمرارية نجاح المشروع على الرغم من المدة الزمنية الممتدة وما تطلبه من جهد ومال وطاقة فكرية. وكون الشيخ بشكل خاص وفضاء الزاوية كمنبع روحي بشكل عام كانا يمثلان بالنسبة لهؤلاء المشاركين في المشروع مصدرا للإشباع الروحي والتوازن النفسي للارتقاء في سلم المقام الصوفي. وهو ما يفسر تلك الدرجة العالية من الحماس الذي يمكن ملاحظته و أنت تسترجع الذكريات مع هؤلاء ، بل وكيف أنهم لا زالوا يرون في المكان (الزاوية) فضاءً روحانيا يعيد للفرد منهم إنسانيته وتوازنه النفسي والاجتماعي وأنهم دائما على استعداد لخدمة مسعى الشيخ ، وهنا نجد انه من أهم العوامل التي تفسر درجة التلاحم بين أفراد المجموعة هي قدرة الشيخ على تحقيق أعلى درجات التجانس الفكري والقيمي بين الأعضاء بهدف تحقيق أعلى درجات الألفة والمودة والثقة الكاملة لكون الريادة تقتضي شخصية تمتلك القدرة على إدارة الموارد البشرية لتحقيق أقصى درجات الإبداع ،كما تقتضي مهارات التحفيز وما له من دور في الدفع نحو العمل والانجاز.

يقول أحد المبحوثين " ما زلنا لليوم نتشوق لليوم اللي نلتقي فيه في المقر العام للزاوية العلوية مع بعض.

حنا (نحن) كنا أكثر من إخوة" المقابلة رقم 2

1-ديفيد يور نستائين ، ترجمة لميس فؤاد الجي ، كيف تغير العالم ، مرجع سابق،ص337

ويقول آخر " ما زلنا لليوم من نتلقاو (نلتقي) في الزاوية نشعر براحة واطمئنان كبير مع سيدي

الشيخ"المقابلة رقم 6

ويضيف آخر "حنا (نحن) لليوم ما زلنا نتلقو(نلتقي) في الزاوية الأم بمستغانم، وفي أي وقت يحتاجنا

الشيخ رانا واجدين" المقابلة رقم 8

مع الإشارة إلى أن كل المجموعة التي التقيناها عبرت لنا عن استعدادها الدائم لخدمة الزاوية العلوية والشيخ خالد بن تونس، كل ذلك جعل من المبادرات الاجتماعية والمساهمة في إنجاح المشروع ضمن تربيتهم الأخلاقية وقيمهم الثقافية وواجبهم المقدس. متجاوزة بذلك الهدف العلمي التقني المعرفي السطحي للمشروع إلى كونه رسالة دينية وواجبا مقدسا، وأن طابع التقديس المرتبط بالقرآن الكريم كان من أقوى العوامل المحفزة على بلورة ونجاح واستمرارية المشروع وما للمقدس من طاقة روحية وقوة معنوية كاملة. كما يفسر لماذا كل العناصر المكونة لمشروع "أحد" هم من أبناء الجيل الأول لمشروع ألف، وهو دليل على استمرارية النهج وأن تلك الموارد الكامنة والتي يصطلح عليها برأس المال الثقافي والرمزي يمكن توريثها أو نقلها عبر الأجيال ضمن أطر وقنوات التربية والتنشئة الاجتماعية.

وبشكل عام فإن ما يمكن استخلاصه أن تبني الزاوية العلوية لفكرة التدبير الاجتماعي والعمل التضامني والسعي في البحث على تحقيق حاجات الناس كانت تعد إحدى المنطلقات الفكرية والقيم السلوكية التي اعتمدها الزاوية منذ نشأتها ضمن سياق إنساني وكمال أخلاقي وعمق فكري قائم على أن خدمة الخلق هي طريق لمرضاة الخالق. وهو ما لا يتحقق إلا عبر سلوك مبدع وابتكار ريادي استثنائي لخلق المنافع ضمن إطار جماعي تضامني ، وكأسلوب تربوي يهدف إلى بناء فرد يحمل منظومة فكرية وروحية تؤهله الى الاعتماد على النفس وضمن منهج سلوكي صوفي يسعى إلى غرس قيم تربوية صحيحة تقوم على روح المحبة والاحترام والتعاطف والتكافل ومحاربة الاتكال اقتداء بسيرة السلف، وهذا لتحقيق روح الانتماء الاجتماعي وصولا لتكوين فرد إيجابي اجتماعي ساعي لنفع ذاته وغيره، و انطلاقا من أن بناء الأمة لا

يتحقق إلا بقوة الجماعة وضمن تفاعل الأفراد وتبادل المنافع ، ولتجعل من قيم العمل الاجتماعي بمثابة تربية روحية للفرد وكون أن صورة التعاون والتضامن التي تظهر عبر مشاريع الزاوية وإن كان ظاهرها خيري إلا أنها تتضمن بعدا تربويا لغرس قيم البعد عن الأنانية والسعي لخدمة الآخر والشعور بالمسؤولية المشتركة لبناء مجتمع متضامن تسوده روح الجماعة ، ولتجعل من الفرد يسعى دائما لتحقيق استقلاليته عن غيره ومن ثم يكون مشاركا في بناء منظومة جماعية تساهم في تحقيق السلام الإنساني وبعيدا عن انتظار ما يوجد به كرم الناس .وهو ما يجعل من المشاريع المختلفة التي بادرت الزاوية العلوية إلى ابتكارها والإشراف عليها بمثابة جزء من تراثنا الحضاري وتاريخنا الثقافي والعلمي وكونها كانت وسيلة للدفاع عن هويتنا الإسلامية والمحافظة على الأنا المحلي الجزائري. كل ذلك يجعل من مشروع "ألف" مبادرة ريادية فريدة من نوعها خاصة وأنها تزامنت مع فترة يواجه فيها الإسلام اتهامات تصفه بالتخلف والجمود والانغلاق وانه غير قابل للتحديث. فكان المشروع رسالة قوية مفادها أن الإسلام عامة والتصوف خاصة يحمل فكرا وثقافة بإمكانها أن تكون دافع للتنمية المحلية بما تحمله من قيم ومبادئ، وكونه لم يتبلور ويتجسد من فراغ لكنه جاء نتيجة استثمار لتراكم قيم ثقافية، رمزية، روحية، أخلاقية واجتماعية كامنة ومتجذرة في الذات الجزائرية شكلت ارضا خصبة لنجاح مسعى الشيخ.

وهنا نشير إلى أن متطلبات مشروع "ألف" وغيرها من المشاريع ذات الطابع الاجتماعي التضامني بشكل عام وجدت امتدادها الأخلاقي والسلوكي في تراكمات الموروث الثقافي المحلي من عادات وتقاليد وأعراف وطقوس كبيئة حاضنة لهذه القيم، حيث كان أفراد المجتمع الجزائري منذ الأزل يتصفون بالكرم والجود ومحاربة الأنانية والسعي لمساعدة الآخر والاهتمام بشؤونه.

### مناقشة وتحليل النتائج على أساس الفرضيات

بعد المعالجة النظرية لموضوع الدراسة الموسوم بالإسلام و المقاولاتية في الجزائر دراسة حالة مؤسسة ألف للإعلام للزاوية العلوية بمستغانم ، و بالاطلاع على التراث السوسيولوجي المتعلق بموضوع المقولة الاجتماعية ضمن المقاربة الثقافية وفي اطار القيم الصوفية ، إضافة إلى تاريخ مؤسسة ألف وأهم الانجازات التي قامت بها ، وبعد جمع البيانات الخاصة بأبعاد المقالة الاجتماعية وفق مقاربة ( jacques defourny .carlo Borzaga.2001) والتي تتضمن ثلاثة أبعاد أساسية ( البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي والإداري ) نسعى من خلال هذا المبحث إلى مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات المقترحة.

### مناقشة وتحليل النتائج على ضوء الفرضية الأولى

كنا قد افترضنا في الفرضية الأولى أن مؤسسة "ألف" للإعلام الآلي التابعة للزاوية العلوية تجسد العناصر المطلوبة في المقولة الاجتماعية في بعدها الاقتصادي، الاجتماعي والإداري، وبعد تحليل بيانات المقابلات مع المبحوثين والتعرف على هيكلية المؤسسة وبنيتها الإدارية وطبيعة مواردها المالية. يمكن القول أن مؤسسة ألف تعكس البعد الاقتصادي للمقولة الاجتماعية انطلاقا من كونها مؤسسة اقتصادية وتجارية مهيكلتة تتضمن كل مواصفات المؤسسات الاقتصادية التقليدية ، لها سجلا تجاريا ونشاطا دائما ومستمرا وفريقا من العمال والموظفين المؤتمنين اجتماعيا ولما تحويه من وسائل مادية وفضاء جغرافي ورقم تعريفى جبائي ورأسمال وفق الأطر القانونية المعول بها ، تنتج سلع وخدمات وتحقق أرباح توجه جزء منها لخدمة أغراض اجتماعية تضامنية مثل مساعدة الفقراء والمحتاجين وتكوين الشباب في الحرف والمهن وصولا إلى تنظيم ملتقيات علمية وندوات فكرية. وهي ممارسات ومبادرات لها امتدادات وأصول قديمة لدى الزاوية، ذلك أن الزاوية العلوية كانت منذ نشأتها بمثابة مقولة وكان شيوخها يحملون مواصفات الرواد الاجتماعيين بالنظر إلى الحلول المبدعة التي ابتكروها من أجل تقديم خدمات وإشباع حاجات متوافقة مع حاجات المجتمع المحلي وخصائصه. وكيف أن الزاوية عملت على تكوين إنسان متضامن

من خلال تأسيس مؤسسة "ألف" كفرع يهتم بعالم المعلوماتية تستثمر جزء من مداخيلها لغايات اجتماعية روحية.

كما تعكس مؤسسة ألف البعد الاجتماعي للمقاولة من كونها تمثل بنية اجتماعية تتكون من شباب جمع بينهم مشروع ذو طابع روحي وهدف اجتماعي تضامني لغاية دينية ذات أبعاد أخلاقية قيمية، ومبادرات فردية لا تسعى إلى تحقيق فوائد أو توزيع أرباح بقدر ما كانت تسعى إلى خلق منافع تربوية وعلمية واجتماعية وقيم علمية مضافة وبطريقة كامنة غير معلنة وغير مباشرة نتيجة غياب التشريع المنظم لهيكل الاقتصاد الاجتماعي التضامني في الجزائري، إضافة إلى تعقيد تشابك الإجراءات الإدارية والأمنية في تشكيل المؤسسات الاجتماعية والتضامنية في الجزائر حيث يتداخل فيها الأمني مع السياسي، ما فرض عليها اعتماد إطار الجمعيات الثقافية لتمير رسالتها. كما تعتبر منظومة إدارية مهيكلة لما تحويه من نظام تسييري وإداري وإطار تنظيمي تقوم على العمل الجماعي التشاركي ووفق رؤية فكرية ترتبط بقيم التربية الصوفية.

### مناقشة وتحليل النتائج على ضوء الفرضية الثانية

افتراضنا أن التدين الصوفي يتضمن قيما وعناصر فكرية تدعم وتؤسس لثقافة المقاولات الاجتماعية، وبالنظر للتراث السوسيوولوجي لموضوع المقاولات الاجتماعية في مقارنتها الثقافية الدينية و في علاقتها بموضوع التدين الصوفي وضمن تحليل المقابلات نستنتج أن التصوف كظاهرة اجتماعية تأسس على مجموعة من القيم شكلت نسقا أخلاقيا وجملة من الآداب أثرت بشكل مباشر على تشكيل شخصية الأفراد ووعيم عبر التربية الروحية التي تلقاها و القائمة على المحبة والثقة والصدق في القول والالتزام والجد في العمل والإتقان وعدم الاتكال ومحبة الآخرين، وكذا الامتثال لأوامر الشيخ واجتتاب نواهيهِ والمحافظة على العهد والإيثار والعمل الجماعي والتضامن والتسامح ونبذ الأنانية والسعي إلى المعروف. وعلى ترسيخ مبدأ الإخاء الإنساني والعطاء الاجتماعي والدعوة إلى التمسك بالأخلاق المحمدية والصفات الإنسانية

التي تكون منبعاً لكل خير ومصدراً لكل بر، ولتجعل الإنسان إيجابياً متوازناً لا يسيطر عليه الأنا الذاتية. ما جعل من هذه القيم تشكل بنية أخلاقية ونمطاً سلوكياً شكل تراكماً لرأس مال ثقافي واجتماعي أسس لاتجاهات معرفية وضمير جمعي انعكس في أنسجة العلاقات الاجتماعية وشبكة التفاعلات لدى المتصوفة داخل المجتمع ضمن أطر العادات الاجتماعية القائمة على العمل التضامني والاجتماعي الذي يسعون إليه. وهو ما جعل من الصوفية يتميزون عبر تاريخهم بخصائل العطاء والكرم والجود والسعي في مصالح الناس وتفريج الكرب عليهم والتخفيف من آلامهم وإثارة الغير على النفس والعناية بالعمل وتجنب الكسل. كما تعتبر محبة الشيخ دافعاً قوياً في تفسير درجة التعلق والحماس الشديد الذي أبداه هؤلاء الشباب نحو المشروع وكيف كانوا يضحون بالجهد والوقت والمال دون انتظار أي فائدة مرجوة سوى محبة الشيخ ورضاه. تلك المحبة التي تعد هي أصل الوجود كما يقول المتصوفة والتي كانت تعتبر مركز عمليات نجاح كل المشاريع والمبادرات الاجتماعية لدى الصوفية، وكونها تمثل قوة معنوية ودافعاً قوياً نحو الانجاز والاستمرارية في العطاء. يقول أبو حامد الغزالي "إن المحبة هي الغاية القصوى من كل المقامات الصوفية والدرجة المبتغاة من العلي من الدرجات، فما بعد المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وأنها أصل المعرفة وجوهر الإيثار"<sup>1</sup>. بل نجد أن المحبة كانت غاية التربية الروحية والسلوك الصوفي فكان لها الأثر البالغ في تمثين الروابط الروحية بين جميع المكونات الاجتماعية للمجتمع الجزائري، لتصل بالمريد إلى أن يجعل منها قيمة حُفّية وسلوكاً تعبدياً تمتد تجلياته في سلوكه وعلاقاته ومشاعره نحو نفسه ونحو الآخرين، هذه المحبة التي تتمظهر لدى الصوفية عبر التزام المرید بالمجاهدة وطاعة شيخه لبلوغ الغاية المنشودة وهي محبة الله والوصول إليه.

1-العدلوني الإدريسي محمد، مدرسة ابن عربي الصوفية ومذهبه في الوحدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 1998، ص70

كما ظهرت في مستوى الثقة التي أفرزت مستوى عال من الإصرار والولاء ومستوى الحماس الذي تلتزمه عند هؤلاء وهم يحدثونك عن المشروع، هذه الثقة التي كانت تمثل عاملا محوريا وسببا أساسيا في نجاح المشاريع الاجتماعية كونها تولد قوة وعزيمة لأعضاء المجموعة. يقول Terry Mizrahi المدير التعليمي لمنظمات المجتمع ECCO "أن الثقة هي في جوهر كل العلاقات الهادفة، ومن دون ثقة لن يكون هناك عطاء أو ارتباط أو مجابهة للمخاطر" 1 إضافة إلى توظيف قداسة المكان (الزاوية) كمورد روحي وقوة رمزية في جمع الناس نحو الانضمام إلى المبادرات والمشاريع التي تشرف عليها عبر استدعاء لتراكمات ثقافية وأخلاقية وسلوكية كامنة ومعبئة في مخيال أفراد المجتمع الجزائري المحلي على سبيل العطاء والتضحية والصدقة الجارية وعمل الخير. وهنا تظهر أن القيادة الروحية تعد عاملا حاسما في إدارة ونجاح أية منظمة كون القيادة الروحية تعطي للأشياء دلالة رمزية وقيمة بمعزل عن قيمتها المادية.

كل ذلك جعل من القيادة الروحية للشيخ عاملا محوريا ملهما في نجاح المشروع والتي تجسدت خاصة في مستوى التأثير الوجداني على المريد "كون القيادة الروحية تتميز بالإلهام للغرض الإنساني، فتنمي في كل من يتعامل معها روح المحبة وروح الخدمة للآخرين وبهذا تؤثر القيادة الروحية في الآخرين لتجعلهم يحققون أهدافا طواعية، كما تجعلهم أكثر استعدادا لتطوير قدراتهم من أجل الأداء الأفضل" 2 ما يجعل من قيم المحبة والثقة المطلقة في شخصية الشيخ ومسعاها وقداسة المكان (الزاوية) والمشروع (التراث الروحي الإسلامي) وكونها مبادئ أساسية يقوم عليها الفكر الصوفي مثلت موارد أساسية شكّلت تراكم لرأس مال روحي ورمزي ساهم في تجسيد ونجاح المشروع كونه كان يفرض نسقا من التمثلات التي شجعت على الاستمرارية والتضحية وتزويد الأفراد بالشحنات الطاقوية والعاطفية والديناميكية

1- سكوت بيريكان، فن إدارة المشروع، شعاع للنشر والعلوم، ط1، المغرب، 2008، ص293

2- نجم عبود نجم، الروحية في الأعمال، دار اليازوري العلمية، ط1، مصر، 2018، ص109

السلوكية كما كان يعطي شعوراً بالارتياح، حيث أضفى على مجهود هؤلاء الأفراد مشروعية أعطته طابع الإلزام والتضحية. فكانت بمثابة آليات حققت نوع من الرضا والإشباع الروحي والرمزي والنفسي المعنوي للجماعة " وكون الجانب الروحي محفز مهم للفرد، وعند شعور الفرد بتحقيق الرضا الذاتي سيتفانى في عمله وسيبذل قصارى جهده"<sup>1</sup>

وبالخلاصة يمكن القول إن الشيخ خالد بن تونس عرف كيف يوظف ويستثمر الرساميل (الاجتماعي، الثقافي والرمزي والروحي) المرتبطة بتكوين بنية الإنسان وشخصيته الثقافية، النفسية والروحية و يستمدح الطاقات الكامنة فيها لتشكيل طاقة دافعة وقوة محفزة لبلورة المشروع و استمراريته وإنجاح مسعاه بطريقة مبدعة تُظهر روح الابتكار والريادة التي تميز بها المقاولون منذ البداية. فنجده يستثمر قيم العطاء والتضامن والتعاون والسعي لفعل الخير ومساعدة الآخرين والتعاطف معهم وتشابك العلاقات الاجتماعية وعمق التواصل الاجتماعي والتي كانت تشكل أحد الأسس المميزة للسلوك الاجتماعي للمجتمع الجزائري منذ القديم والتي تعد جزءاً لا يتجزأ من عاداته وتقاليده (رأس المال الاجتماعي). كما استطاع من جهة أخرى أن يثير الجانب الرمزي المقدس للمكان (الزاوية) وللموضوع المرتبط برمزية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمواقف الإسلامية وكذا رمزية الصحابة وأعلام الإسلام، إضافة إلى ما يتميز به الفرد الجزائري من شيم الأخلاق وسمو السلوك (رأس مال رمزي). كما نجده يستثمر في حجم الثقة والمحبة والإخلاص التي كان يبديها المريدين لشخصه، وفي قيم الرحمة والتسامح والاستعداد الدائم لخدمة الآخرين التي يتميز بها الإنسان المسلم عامة، إضافة إلى ما يتميز به من إيثار ونزاهة واستقامة خلقية وحس المسؤولية (رأس مال روحي) ليشكل من ذلك بيئة فكرية وقيمة أخلاقية ساهمت في تحقيق تماسك روحي ووجداني بين أعضاء المجموعة كانت عامل مهم في نجاح المشروع.

1- الحسيني كمال كاظم، رأس المال الروحي، منظور معاصر لاستنهاض سلوك المواطن، مجلة المثلى للعلوم الإدارية، المجلد 9، العدد 4، جامعة المثلى، العراق، 2019

## نتائج الدراسة

يعتبر مشروع "ألف" للإعلام التابع للزاوية العلوية وحدة اقتصادية، وبنية اجتماعية، وإطار إداري مهيكّل يؤسس لمشروعات ذات طابع اجتماعي تضامني، تبلور وتجسد بفعل التأثيرات الثقافية المؤطرة ضمن القيم الروحية والرمزية للزاوية العلوية وقوة تأثير الشخصية المعنوية للشيخ خالد بن تونس وفعالية وتأثير الحافز المعنوي للدين، وبما تحمله التربية الصوفية من قوة دفع فكري وسلوكي، وهي متغيرات أسست لتراكم رأسمال ثقافي شمولي تجسد في مستوى الولاء والاحترام والطاعة والمحبة للشيخ والثقة في مبتغاة الساعي إلى تجديد وإعادة بعث والتعريف بالتراث الروحي والحضاري الإسلامي المحمدي بين الأمم عن طريق وسائل تتماشى وروح العصر .

إن ما ميّز مشروع "ألف" هو المزج بين المسعى الاجتماعي و الهدف التعليمي الديني والقالب الاقتصادي كتجربة إبداعية مؤسساتية مهيكلة فريدة انبثقت من مؤسسة صوفية تقليدية أحدثت تحولاً في منهجها الفكري وفلسفتها الاجتماعية التضامنية من العمل التطوعي التضامني القائم على استقبال الصدقات والإعانات والهبات لتوزيعها على المحتاجين ضمن النشاطات الخيرية التقليدية، إلى اعتماد مقارنة منتجة تقوم على استثمار وتوظيف مواردها المختلفة (المادية والرمزية الروحية، الحبوس الوقف الصدقات) في طابع مؤسسي مهيكّل كبقية المؤسسات الاقتصادية وعبر ابتكار مشاريع اقتصادية وتجارية تحقق منها أرباح لتوجه جزءاً منها في إنجاز واستمرارية مشاريعها الاجتماعية التضامنية، جعل منها تؤسس لنشاط تنموي ضمن مفاهيم المقاولات الاجتماعية ودون انتظار ما تجود به أيدي السخاء. ما جعل من مشروع رقمنة التراث الإسلامي من المشاريع التي أشرفت عليها الزاوية العلوية ضمن العديد من المشاريع ذات الطابع الاجتماعي التضامني التي سعت من خلالها إلى تقديم إضافات للمجتمع ضمن رؤية ريادية استشرافية للشيخ خالد بن تونس أكدها الواقع المعاش في أن العصر والجيل الحالي هو جيل رقمي يستخدم التكنولوجيا الرقمية في كل مناحي الحياة.

وأن نجاح المشروع يعود بالدرجة الأولى إلى التأثير المباشر لقوة جاذبية شخصية الشيخ القيادية وبما يمتلكه من طاقة روحية وقوة رمزية أفرزت درجة عالية من المحبة والإخلاص والثقة التي كان يحملها أفراد المجتمع للشيخ ولمؤسسة الزاوية. مثلت موارد كامنة ساهمت في تعزيز الحوافز نحو تجسيد المشروع وإنجاحه، كما شكلت رساميل انتقلت تدريجيا عبر الأجيال ضمن أطر التنشئة الاجتماعية، وقيم التربية الروحية الصوفية. ما يجعل من المقابلة الاجتماعية بالتالي صيرورة مركبة معقدة وليست فعلا منعزلا بل هي نتيجة حتمية لتشابك الكثير من المتغيرات.

وعلى العموم يمكن استخلاص النتائج النهائية للدراسة في النقاط التالية:

- جسدت مؤسسة ألف كوحدة اقتصادية وبنية اجتماعية ومنظومة إدارية وبيئة فكرية وكيان ثقافي وقوة روحية مهيكلة العناصر المطلوبة في المقابلة الاجتماعية في أبعادها الاقتصادية والإدارية والاجتماعية باستثناء المؤشر المتعلق بأن للمؤسسة هدف صريح ومعلن من الخدمة للمجتمع المحلي لسبب تشريعي وآخر ثقافي، فالجانب التشريعي يتمثل في أن القانون الجزائري المنظم للجمعيات الخيرية الاجتماعية والتضامنية لا يسمح بدمجه في مؤسسة اقتصادية بل يجب أن تكون مستقلة، إضافة إلى تعقيد الإجراءات الإدارية في تشكيل مثل هذا النوع من الجمعيات لما تتطلبه من تحقيقات إدارية وأمنية. في حين يتمثل الشق الثقافي في كون الفكر الصوفي يقوم على أن خدمة الآخر ومساعدته تكون بشكل ضمني وغير مباشر وأن خدمة الخلق من خدمة الخالق ولا يمكن مرضاة الله إلا بمرضاة العبد، ما جعل من خدمة ومساعدة الآخرين تكون في سياق السلوك اليومي للمتصوف.

- أن البنية التشريعية الجزائرية لا تتوفر على مرجعية قانونية تؤطر وتنظم نشاط المقاولات الاجتماعية كونها تنضوي ضمن مفاهيم النشاط التطوعي والخيري في إطار الجمعيات الخيرية والمجتمع المدني، ما جعل منها تُمارس في إطار غير رسمي وغير مصرح به، بل في إطار غير معلن أحيانا وضمن الجمعيات المحلية في أحيانا أخرى.

- أن مشروع رقمنة معطيات التراث الإسلامي كانت تجربة رائدة فريدة من نوعها على المستوى المحلي والعربي والإسلامي في تلك الفترة من تاريخه، وبتبني وإشراف مؤسسة تقليدية صوفية ومن مواردها الخاصة وبنجاح تضامني مجاني من المريدين والمحبين.
- أن حافز الانخراط في المشروع يعود إلى عوامل ثقافية وقيم وروحية ترتبط خاصة بمحبة الشيخ والإخلاص للدين والثقة في المشروع والولاء للزاوية، وهي قيم يكتسبها الفرد ضمن التربية الصوفية تدريجياً لتشكل له موارد محفزة وطاقة دافعة له نحو الانضمام إلى هذه النشاطات الاجتماعية التطوعية وهو ما عكسته أدبيات سوسيولوجية سابقة روبرت بوتنام 1995، فرانسيس فوكوياما 1997، الكسيس دي توكفيل 1835، انجي محمد عبد الحميد 2009
- أن مشروع ألف تجاوز فكرة رقمنة التراث الإسلامي وأخذ طابعا روحيا مقدسا وفعلا رمزيا يسعى إلى تجديد بعث المشروع المحمدي.
- أن قيم قداسة المكان (الزاوية) ودرجة الولاء والمحبة والاحترام للشيخ والثقة في مشروعه أصبحت تمثل منتوجا ثقافيا يورث اجتماعيا للأجيال.
- أن التربية الصوفية تتضمن أسس ومبادئ المقاومة الاجتماعية ضمن قيم أخلاقية تحفز نحو المبادرة لخدمة الإنسان في سياق مفهوم السعي إلى البر والأمر بالمعروف، وفي إطار قيم المحبة الإلهية التي يعتبرها المتصوفة أحد المقامات الموصلة إلى الحقيقة والكمال والتي لا تتحقق للصوفي إلا عن طريق إظهار محبته للآخرين.
- أن ممارسة المقاومة الاجتماعية ارتبطت بالوجود الإنساني منذ بداياته الأولى بمفاهيم وأشكال وأهداف ووسائل عرفت تحولات انسجمت مع التحولات الفكرية والثقافية للمجتمع الإنساني.

- أن المقولة الاجتماعية ظاهرة سوسولوجية وبنية ثقافية تتبلور تدريجيا لدى الفرد تحت تأثير محفزات ودوافع ترتبط بالقيم والتعاليم الدينية والروحية إضافة إلى التقاليد المحلية، ما يجعل من المشاركة في هذه المشاريع هو إشباع لجوانب نفسية ودينية وحاجات روحية أخلاقية.
- أن قيم المقولة الاجتماعية تُكتسب عند الفرد عبر أنماط تربوية مقصودة وغير مقصودة وضمن قنوات التنشئة الاجتماعية ومصادر رأس المال الاجتماعي والثقافي.
- أن المجتمع الجزائري عرف ومارس المقاولات الاجتماعية منذ القديم بأشكال مختلفة وتحت تأطير وتوجيه من مؤسسات الزوايا ورجال التصوف.
- أهمية عنصر الثقة القائمة بين الشيخ والمريدين كقيمة خلقية وحالة نفسية ذات دلالة معنوية رمزية كانت تمثل طاقة ايجابية كامنة محفزة، وعاملا مهما في تفسير مستوى الولاء ودرجة الإيمان بالمشروع. إضافة إلى دورها في تعزيز الروابط بين الفريق العامل على المشروع وعلى زيادة انتشار الاتجاهات الإيجابية والتعاون.
- أن طبيعة وخصائص المجتمع التقليدي الجزائري القائمة على التشجيع والدعوة إلى المشاركة والتضامن والتكافل الاجتماعي كانت تعتبر من أهم الموارد الثقافية الموروثة والتي ساهمت في نجاح المشاريع وأسست لتراكم معرفي ثقافي مهد لبروز نماذج وسلوكيات للمقاولات الاجتماعية فيما بعد، كونها وجدت حاضنة رمزية وقيمية في المجتمع، إضافة إلى طبيعة المناخ الثقافي والسلوكي الجزائري ودرجة عمق التجانس بين أفرادها منذ القديم. عوامل ساهمت في تطور واستمرارية المشاريع الاجتماعية بعد تعقد المجتمع. ما يجعل لطبيعة السياق الاجتماعي والثقافي والجغرافي دورا محوريا في تشكل واستمرارية نشاط المقولة الاجتماعية، وكونها وجدت في البيئة الجزائرية خلفية حاضنة ثقافية وأرضية فكرية وبيئة سلوكية مهيأة ساهمت في نجاحها.

- أن المقابلة الاجتماعية وعلى الرغم من تقاطعها في الأهداف مع مفاهيم أخرى مثل التطوع والعمل الخيري والاجتماعي، إلا أنها أصبحت تمثل أحد أهم المصادر والبدائل التنموية في العالم. ما جعل منها قيمة دينية، ثقافة، اجتماعية وخلقية ثابتة ومنهج حياة.

## خلاصة الفصل الثالث

يعد مشروع بنك المعطيات الإسلامية والتراث الروحي لمؤسسة ألف نموذج لمشروع نهضوي تبنته وأشرفت عليه مؤسسة الزاوية العلوية بفضل مجهودات وتضحيات جماعة من الشباب المسلم الذي آمن بفكرة الشيخ خالد بن تونس وسعى إلى تجسيدها في الواقع بشكل تضامني أسست لمفهوم الخدمة التضامنية والابتكار الاجتماعي الذي اتسمت به الزاوية العلوية منذ نشأتها وبما تميزت به من فكر تجديدي. وهذا كله كان تحت توجيه الكاريزما الرمزية للشيخ وقداسة الزاوية في مخيال فئة واسعة من أفراد المجتمع الجزائري. وهو ما جعل من مشروع ألف امتداد للوظيفة التربوية والاجتماعية التي قامت بها في السابق بطريقة متجددة تتسجم وحجم المتغيرات الفكرية والثقافية. ما جعل من مؤسسة ألف بنية اجتماعية ومنظومة فكرية تؤطرها العديد من الحوافز والدافع ذات البعد الروحي والرمزي والثقافي والاجتماعي.

## الخاتمة العامة

كان التصوف منذ نشأته حالة روحية وظاهرة اجتماعية ومحطة تاريخية مفصلية في التاريخ الديني والاجتماعي للمجتمع الجزائري خاصة و المغاربي عامة ، ومن أقوى النظم الفاعلة في بلورة وضبط وتنظيم سلوك ومواقف واتجاهات الأفراد والجماعات ، وفي ضمان استقرار المجتمع وتكامله بما يحتويه من رؤية وممارسة ، وبما شكله من قيم واتجاهات ذات طابع رمزي وروحي مستتبطة من الكتاب والسنة النبوية ومن تاريخ السابقين، أسست لمبادئ وقواعد للفكر والسلوك تحولت بمرور الوقت إلى عقائد ثابتة ونماذج روحية وقيم خلقية وأنماط معرفية، أدت دور الموجه للأفراد في الإطار الاجتماعي والإنساني و كيان ثقافي يؤدي أدوارا متعددة و يساهم في تشكيل الفضاء السوسولوجي والأخلاقي والثقافي للمجتمع، وفي تفاصيل الحياة اليومية للأفراد. ظهر تأثيره في تركيبة الثقافة الاجتماعية و في أنماط التفكير، مُشكلاً بذلك تراكما معرفيا وسلوكيا أسس لبلورة وتشكيل رأسمال ثقافي شمولي. مورس عبر مؤسسات الزوايا والمساجد فجدد بطوقسه وممارساته أحد أهم عناصر الثقافة الروحية ومكونات الشخصية الشعبية السائدة في المجتمع الجزائري عامة وفي وسطه التقليدي الريفي خاصة، قدّم عبر مؤسساته الكثير من الخدمات فتشعبت شبكاته وتفاعلاته عبر مؤسساته وبفعل القبول من أفراد الشعب نظير استجابة مؤسساته لحاجات البناء الاجتماعي والروحي للمجتمع . لتصبح مؤسساته أداة لتأطير الحياة الثقافية والدينية ولتحمل على عاتقها مهمة السعي في تلبية الحاجات الاجتماعية .أسست في مجملها لشكل من أشكال الإبداع الاجتماعي في إطار تضامني إنساني غير هادف لتحقيق منافع ولتكريس قيم المحبة والتضامن والتعاون والتآزر، التي حاولت من خلالها مؤسسات الزوايا أن تجسد الروح الاجتماعية والتضامنية والقيم الأخلاقية للشيخ وأتباعه نحو المجتمع ، انطلاقا من فكرة راسخة عند المتصوفة تؤكد على أن المسؤولية الاجتماعية والسعي نحو تلبية حاجات الناس وحمايتهم وتحمل مصائبهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم والتفكير فيها والسعي الدائم إلى تحقيق التوازن والتكافل الاجتماعي وتوثيق العلاقات الإنسانية وغرس المودة

والرحمة وإشاعة الخير والإيثار بين أفراد المجتمع تُعد من مقتضيات الولاية للوصول إلى أعلى المقامات، ما جعل من الزوايا وشيوخها روادا اجتماعيين عبر توظيف القوة الرمزية والطاقة الروحية والصورة الذهنية التي يحملها لهم أفراد المجتمع. ليصبح بذلك التصوف يمثل مذهباً أخلاقياً، اجتماعياً، نفسياً تربوياً، وقوة حيوية وقوة منيرة قدمت للمجتمعات الإسلامية قيماً وسلوكات ساهمت في بناء إنسان محافظ على أصالته وقيمه الإسلامية متواصلاً مع تحولات مجتمعه، كما كان محركاً ومنشطاً لمسار الحياة في جوانبها المختلفة، ومؤسسات تحمل تصوراً تنموياً وفكراً طلائعياً مستنيراً ساهم من خلاله التصوف ومؤسساته في تشكيل معالم الحضارة الإنسانية وإثرائها. وتعد الزاوية العلوية بمستغانم من أهم المؤسسات الصوفية التي وُصفت كونها مؤسسة تقليدية في طابع عصري جسّدت عبر تاريخها فكرة الزاوية العصرية الحديثة من خلال سعي شيوخها نحو تجديد الممارسة الصوفية نظير ما اتسموا به عبر تاريخهم بروح الريادة الاجتماعية انطلاقاً من قوة الأفكار المقترحة والرؤية نحو المستقبل والمثابرة والتفكير المبدع نظير ما سعوا إليه وبادروا به وابتكروه من برامج خدمانية في كل مجالات الحياة بقصد تحقيق قيمة مضافة وتغيير إيجابي ضمن إطار تضامني اجتماعي، ركّزت منذ البداية على بناء الإنسان في جانبه الروحي والعائدي عبر موارد التربية الصوفية. لتمثل بنية اجتماعية وقوة اقتصادية مهيكلتة مستقلة بمواردها الخاصة عبر نشاطاتها التجارية والزراعية، وهي موارد استثمرتها في تنفيذ عديد المشاريع ذات الطابع الاجتماعي والتضامني. ما جعل منها مؤسسة نموذجية في التسيير المستقل عن دعم الهيئات الحكومية، وكونها مؤسسة تحمل رؤية تنموية ورسالة تربوية مفادها أن التصوف حالة روحية ورسالة أخلاقية ومجالها البعد الاجتماعي، وقوامها خدمة الخلق ومحبتة لرضا الخالق، وأساسها الحث على السعي في مصالح الناس وتأليف قلوبهم وإيثار الغير على النفس، وعمادها مجاهدة النفس وتطهير الروح والتخلي بالفضائل، وغاياتها تشجيع العمل ونبذ الاتكال والتواكل. كنماذج أخلاقية جسّدت أولى ملامح وغايات المقاولات الاجتماعية في أبسط تجلياتها، كسمة إنسانية وقيمة خلقية ارتبطت بالوجود الإنساني وتفاعله ضمن

مفاهيم وأطر ومحددات اختلفت بتطور القيم والثقافات لتمثل موقفا إنسانيا، وظاهرة تاريخية، ووحدة اجتماعية وبنية اقتصادية وكيان ثقافي تهدف إلى تحقيق غايات وإشباع حاجات. مورست بأشكال وأدوات ومفاهيم متعددة عبر كل المجتمعات ومنها المجتمع الجزائري في إطار العمل الاجتماعي التضامني الخيري غير الربحي، وبأشكال انسجمت وطبيعة المجتمع التقليدي المحلي وتحت تأطير المؤسسات الدينية كونها تحمل بعدا أخلاقيا يرتبط بعمل الخير والتضامن، الأمر الذي أعطاها بعدا قيما ثقافيا تحكمه متغيرات الثقافة والأعراف والتقاليد والمعتقدات الدينية التي تعكس تراكمات الرأس المال المحلي في جانبه الروحي والرمزي والثقافي. تقوم على المزج بين المجال الاقتصادي والهدف الاجتماعي.

حيث تعد مؤسسة ألف التابعة للزاوية العلوية من أهم النماذج لمؤسسات ذات طابع اقتصادي استثمرت تراثها الروحي والرمزي كما وظفت جزءا من مواردها ضمن رؤية ريادية وهدف اجتماعي عبر السعي لرقمنة وتجديد التراث الروحي الإسلامي من خلال ابتكار خدمات رقمية وإضافة علمية تُصنف في حقل السوسيولوجيا ضمن المقاولات الاجتماعية كونها نشاطات مبتكرة تبنتها مؤسسة بهدف تقديم خدمات وبرامج تعليمية لغاية اجتماعية تضامنية مجانية غير هادفة لتحقيق منافع خاصة، وامتدادا طبيعيا للمبادرات السابقة التي قامت بها الزاوية بأسلوب وغايات ووسائل متجددة تعكس روح التجديد التي تحملها فلسفة التصوف عند الزاوية العلوية ، كما يعد استمرارية نهج الرائد الاجتماعي المبدع لخدمات جديدة مُنطلقها ذا مغزى فقهوي وروحي وتربوي. مثلت أداة عصرية و نموذجاً حداثياً جسّد نورانية الإسلام المنفتح والمتحضر القابل للعيش مع الآخر والرافض للركود ، كما جسّد استمرارية لتلك الصحوة التي جسدها دعاة المشروع النهضوي الإسلامي للتأسيس لرؤية مغايرة كانت قد وصفت الإسلام عامة والتدين الصوفي خاصة في كونه مرادفا للدروشة والخرافة والتخلف ، ولتجعل من التصوف فكرا متفتحا ورؤية خلاقة وفاعلة وسط المجتمع الإنساني ، حيث دلل المشروع على غنى التجربة الإسلامية الصوفية بقيم يمكنها توجيه الطاقات الاجتماعية نحو تحقيق التنمية الشاملة ومبادرة نهضوية تؤطرها مؤسسة تقليدية متجانسة

ومتطلبات المدنية ، ورسالة روحية تسعى لربط الناس بخالقهم وتذكيرهم بمعنى التوحيد. وهذا كله بفضل قيادة روحية وتوجيه رمزي من الزاوية والشيخ لما يحمله من تراكم رمزي وقوة روحية عند أفراد المجتمع الجزائري ، استثمر فيها الشيخ ثقله الرمزي وقوته الروحية في إنجاح مسعاه عبر توظيف الطاقة المعنوية للزاوية وتراكمها التاريخي المقدس في المخيال الاجتماعي . هذه القوة الرمزية التي شكلت طاقة كامنة محفزة نحو نجاح مشروع جسّد معالم لمقاولة اجتماعية وجزءاً من الواجب الديني المقدس .

ما يدعو للقول إن بلورة ونجاح مشاريع المقاولات الاجتماعية بمختلف أشكالها في المجتمع الجزائري منذ البداية كانت نتيجة حتمية لاستحضار وتفاعل لتراكمات روحية ورمزية وثقافية . ما جعل من البنية التنظيمية والهيكلية للزاوية العلوية عامة ومشروع ألف خاصة تتسجم بشكل جوهري مع التنظيمات المعاصرة في فلسفة العمل ومنهجية الممارسة ووفق آليات معاصرة حتمت عليها تطوير منهجية العمل القائمة على البحث عن مصادر ذاتية للتمويل من أجل الاستمرارية والتطوير وبناء قوة اقتصادية تجمع بين الهدف التنموي والغاية الاجتماعية، ترتبط بميثاق وترابط اجتماعي ذو بعد روحي وقوة رمزية لها ركيزة صلبة وهي روح الفريق التي استمدتها من التربية الروحية الصوفية والتي ساهمت في تعزيز الثقة بين مجموعة العمل ضمن رؤية تنموية و حضارية.

## 1- المراجع باللغة العربية

- 1- ابن خلدون، المقدمة، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004
- 2- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين دار الكتاب العربي، ط7، بيروت، لبنان، 2003
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1919
- 4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998
- 5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998
- 6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الجزء3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998
- 7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، الجزء4، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1998
- 8- أبو العباس بن العريف، مفتاح السعادة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1993
- 9- أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، تحقيق أحمد التوفيق، التشوف الى رجال التصوف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط2، الرباط، 1997
- 10- أحمد عبد الوهاب الإسلام في الفكر الغربي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1993
- 11- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1932
- 12- أحمد بن عبد الرحمن الشمري، وفاء ناصر المسيرك، ريادة الأعمال، نشر وتوزيع شركة العبيكان ط1، المملكة العربية السعودية، 2019
- 13- أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ط1، الجزائر، 2007
- 14- أحمد مصطفى العلوي، المواد الغيئية الناشئة عن الحكم الغوثية، المطبعة العلوية، ط1، الجزائر، 1994،
- 16- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين، شركة دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004
- 17- أمل خيرى، تجارب ريادة الأعمال الاجتماعية، منشورات كاي، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، ط2، مصر، 2019
- 18- أناماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد، رضا حمد قطب، منشورات الجمل، ط1، العراق، 2006
- 19- أنتوني غدنز، ترجمة فايز الصياغ، علم الاجتماع الديني، المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، 2005
- 20- إسماعيل شعوف بحث تطبيقي دراسة أثار زرع فكر المقاولاتية الاجتماعية بالمؤسسات التعليمية، المركز الجهوي للتربية، مراكش، المغرب، 2001

- 21-بريجيت بيرجير ،ثقافة تنظيم العمل ،ترجمة محمد مصطفى غنيم، الدار الدولية للنشر والتوزيع  
،مصر، 1995
- 22-تيريزا شاهين، مقدمة إلى ريادة الأعمال الاجتماعية، المركز الدولي للأبحاث والدراسات ،الإمارات  
العربية المتحدة،2012
- 23- تركي رابح ، آثار ابن باديس، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،الجزائر،2002
- 24-جميل حمداوي ،الإسلام بين الحداثة وما بين الحداثة، مكتبة المثقف العربي، سلسلة المعارف  
الأدبية،المغرب،2010.
- 25-جميل حمداوي ،التصوف الإسلامي من خلال قضاياها وظواهره، مكتبة المثقف،ط1،المغرب ،2016
- 26-حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات عربية للنشر،ط1،لبنان، 2000
- 27-حسن محمود، مقدمة الخدمة الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989
- 28-خفاجي حسن علي، الخدمة الاجتماعية، شركة المدينة للطباعة والنشر،ط2،جدة ،السعودية، 1982
- 29-خزعل الماجدي ، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط 1 ،المغرب،2016
- 30-ديفيد يور نستائين ، ترجمة لميس فؤاد يحيى ، كيف تغير العالم ريادة الأعمال الاجتماعية وفعالية  
الأفكار الجديدة ،الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1،الأردن، 2014
- 31-سابينو اكوافيفا، انزو بانشي، ترجمة عزالدين عناية، علم الاجتماع الدين الإشكالات والسياقات، هيئة  
أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1،الإمارات العربية، 2011
- 32-سبنسر ترمنجهام، الطرق الصوفية في الإسلام ترجمة عبد القادر البحراوي ،دار النهضة العربية ،  
ط1،بيروت، لبنان،1997
- 33-سكوت بيريكان، فن إدارة المشروع، شعاع للنشر والعلوم،ط1، المغرب ، 2008 .
- 34-سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر،  
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993
- 35-سيد عويس ،ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي، دراسة سوسيولوجية، دار الشايح  
للنشر،ط2 ،القاهرة ،مصر،1978
- 36-شوقي أحمد دنيا، الاسلام والتنمية الاقتصادية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 1979
- 37-صالح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا تاريخها ونشاطها، مكتبة الشروق، بيروت ،لبنان،  
2002
- 38-عاطف العقلة غضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي ،دراسة  
سوسيولوجيا ،الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط2، بيروت ، لبنان، 2002
- 39-عاصم إبراهيم الكيالي ، رسائل الشيخ المستغانمي أحمد بن مصطفى العلوي، دار الكتب العلمية  
،بيروت ، لبنان، 1971

- 40- عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ط1، 1975
- 41- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، جواهر الحساب في تفسير القرآن، الجزء الأول، مؤسسة الأعملي للمطبوعات، لبنان، 1906
- 42- عبد الرحمن الجامي، نفحات الأنس من حضرات القدس، مكتبة الأزهر الشريف، مصر، 1989
- 43- عبد الجبار سالمة عبد الجبار، الدين وقضايا العصر، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2010.
- 44- عبد الغني مندوب، الدين والمجتمع، دار إفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2006
- 45- عبد الجليل العلمي، أصول التصوف بالمغرب في القرن السادس الهجري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، المغرب، 2014
- 46- عبد الحفيظ فرغلي، علي القرني، التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 1984
- 47- عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والقراية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007
- 48- عبد العزيز بن عثمان التويجري، المقاولات الثقافية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية، الرباط، المغرب، 2012
- 49- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة لطبع والنشر، الجزائر، 2010،
- 50- عبد المحسن عبدالله الجار الله الخرافي، مفهوم وتاريخ العمل الإنساني، الاتحاد العالمي للمؤسسات الإنسانية، الكويت، 2017
- 51- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المغرب، 2001
- 52- عبد المؤمن علي معمر، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار الكتب الوطنية، 1، ليبيا، 2008
- 53- عبد الباقي الهرماسي، المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2001
- 54- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2006
- 55- عبد الله الخطيب، العمل الجماعي التطوعي الشركة العربية للتوثيق، القاهرة، مصر، 2010
- 56- عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، المطبعة العلوية، ط1، الجزائر، 1936
- 57- عزيز الكبيطي إدريسي، التصوف الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013

- 58-علي فهمي، دراسة في سوسولوجيا الفهم الشعبي للدين، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2002
- 59-عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، السعودية، 1992
- 60-فرنسيس فوكوياما، ترجمة رضوان زيادة، الإسلام والحداثة والربيع العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2015
- 61-فرانسيس فوكوياما، الثقة، ترجمة معين الإمام، مجاب الإمام، منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، قطر، 2015
- 62-قنديل أماني، المجتمع المدني في العالم العربي، مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية، مصر، 1994
- 63-لوران فلوري، ترجمة محمد علي مقلد، ماكس فيبر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2008
- 64-لورانس هاريزون، صمول هنتغتون، ترجمة شوقي جلال، الثقافات وقيم التقدم، المركز القومي للترجمة، ط2، القاهرة، مصر، 2009
- 65-ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية، ترجمة محمد علي عقلة، مركز الإنهاء القومي، لبنان، بيروت، 1905
- 66-مارسيل كاري، ذكريات الشيخ احمد بن مصطفى العلوي، المطبعة العلوية، ط2، مستغانم، الجزائر، 1987
- 67-ماكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، بيروت، لبنان، 1982
- 68-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر العربي، لبنان، 1974
- 69-محمد العدلوني الإدريسي، مدرسة ابن عربي الصوفية ومذهبه في الوحدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1998
- 70-محمد العبد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاح، دار القلم للنشر، ط1، سوريا، 2006 .
- 71-محمد عبد الله دراز، الدين، مطبعة الحرية، بيروت، لبنان، 1952
- 72-محمد يونس، عالم بلا فقر المشروعات الاجتماعية ومستقبل الرأسمالية، ترجمة ريم عبد الحليم، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2009
- 73-محمد أحمد محمد بيومي، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002
- 74-مديحة محمد سيد إبراهيم، علم الاجتماع الديني، دار العالمية، القاهرة، مصر، 2001 .
- 75-مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، دار نيوز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، العراق، 2014.

- 76- محمد بن بريكة، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون للنشر والإشهار والتوزيع، ط1، الجزائر، 2006،
- 77- مصطفى الحسن، الدين والنص والحقيقة، الشبكة العربية للإشهار والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2012
- 78- مصطفى محمود، السر الأعظم، دار المعارف، مصر، الطبعة10، 2002.
- 79- محي الدين بن عربي، رسائل ابن العربي، منشورات المجمع الثقافي، ط1، الإمارات العربية، 1998
- 80- منجية هادفي، الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، سلسلة الاقتصاد البديل، روافد للنشر والتوزيع، 2012، .
- 81- محمد بن عبد الله السلومي، القطاع الثالث والفرص السانحة رؤية مستقبلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، السعودية، 2010.
- 82- منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997
- 83- ناصر الدين موهوب الحسني، الشيخ مصطفى العلوي المستغانمي حياته ومآثره، منشورات العالمين، ط1، الجزائر، 2015، .
- 84- نجم عبود نجم، الروحية في الأعمال، دار اليازوري العلمية، الطبعة1، مصر، 2018،
- 85- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، دار الحضارة، الجزائر، 2006،
- 86- هادي العلوي، مدارات صوفية، دار المدى، ط1، دمشق، سوريا، 1997.
- 87- هيلين روز ايبو، حركة فتح الله كولن، تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية، ترجمة عبد الرحمن ابو ذكري، تنوير للنشر والإعلام، ط1، القاهرة، مصر، 2015،
- 88- وجيه كوثراني، المجتمع المدني والدولة في التاريخ العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية حول المجتمع المدني ودوره في تحقيق الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان، 2001
- 89- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ العرب، دار الهدى للنشر والطباعة والإشهار، الجزائر، 2004،
- 90- يونس إيريك جوفروا، المستقبل الروحاني للإسلام، ترجمة هاشم صالح، شركة نبض للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2016،
- 2- الرسائل الجامعية**
- 91- اليمين بن منصور، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة باتنة، 2010،
- 92- محمد إبراهيم أبو عليان، العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011،

- 93- محمد عبدالرحمن إبراهيم ، الطبيعة القانونية لاشتراكات الضمان الاجتماعي (دراسة مقارنة) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، العراق ، 2012
- 94- معلوي بن عبد الله الشهراني، العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة نايف العربية،السعودية،2006
- 95-منذر رزوقي ويس ، النظام القانوني لحق الضمان الاجتماعي من منظور دستوري ومالي، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الحقوق ،جامعة تكريت، العراق ، 2014
- 96- نسرین غيتي ، مرافقة الشباب في إنشاء مؤسسة إنتاجية صغيرة، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع ،قسنطينة،2009
- 97- نادر هنوس ،التدين في أوساط الشباب الحضري، مذكرة ماجستير علم الاجتماع الحضري، جامعة وهران2، 2016
- 98-مصطفى راجعي، التدين وثقافة النمو، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة وهران،2010
- 99-غزالة بوغانم، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسنطينة ،2008
- 3-المجلات و الملتقيات
- 100-العربي حران ،رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا،العدد07 ديسمبر 2018،ص166
- 101-المصطفى مسالي، فلسفة الدين عند السادة الصوفية مقاربات دالة، مجلة أفاق فكرية، المجلد4 ، 2018
- 102-أمل حسني حلمي مهران ،الشيخ العلوي باعث النهضة الروحية في الغرب ،مجلة البحث العلمي في الآداب ،العدد16 ،الجزء الرابع ،مصر ،2015
- 103-انجي محمد عبد الحميد، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي ، دراسة حالة للجمعيات الأهلية في مصر ، المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة أبحاث ودراسات ،العدد الأول ، القاهرة،2009
- 104-إيثان ميللر ، اقتصاديات أخرى ، محور إدارة واقتصاد ،مجلة الحوار المتمدن ،العدد 1752 ،بتاريخ 2-12-2006
- 105-الزهرة بن عمر ، منصور بن زاهي ، تصورات الشباب للمساهمة في التحديث الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مباح ورقة ، الجزائر، العدد14 ، مارس 2014،
- 106-بن الدين بروس ،لحسن هدار ،دور الثقافة التنظيمية في إدارة التغيير في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، أبحاث اقتصادية وإدارية،العدد01، جامعة بسكرة ،جوان2007

- 107- بلال بوجمعة ،دور القطاع الثالث في تجسيد الأنشطة التنموية ،مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية و الاقتصادية ،المجلد7،العدد2 ، 2018.
- 108- رشيد بكاي ،تأثير الطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الباحث، العدد الثامن، ديسمبر 2011
- 109-جمال معتوق ،أو سرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الإنحرافي التربوية الصوفية نموذجاً، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2018
- 110- سهام ساري ،دور القطاع الثالث في تحقيق التنمية المستدامة، مجلة الباحث الاقتصادي، العدد الأول،،جامعة برج بوعريريج،الجزائر،2014.
- 111- طارق العلمي ، الدور الاجتماعي لرجال التصوف، مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة،2016،
- 112- طيبي غماري ،التصوف والحداثة في دول المغرب العربي، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، الكتاب الرابع و الستون، ط1 ، الإمارات العربية المتحدة، افريل 2012.
- 113-عبد العزيز بن عثمان التويجري، المقاولات الثقافية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافية، الرباط ،المغرب،2012.
- 114-عبد القادر بن عزوز، معالم الاقتصاد التضامني الاجتماعي، أسسه ونتائجه ،دراسة عن الزاوية العلوية، مركز البحث في الاقتصاد المطبق من أجل التنمية، 2010
- 115-عبد الرزاق سعيد بلعباس، مفهوم القطاع الثالث و الإشكالات المعرفية ،اقتصاديات العمل الخيري، معهد الاقتصاد الإسلامي ،جدة، السعودية،2017
- 116-علاء فرحان طالب، فيصل علوان الطائي، دور القيادة الروحية في تحقيق الريادة الاجتماعية، مجلة الإدارة والاقتصاد، العراق ،المجلد6،العدد2017،23
- 117-علي عليوة، الدين والطقوس الدينية عند دركايم ، مجلة فكر ومجتمع ،العدد 38 ،جويلية 2017
- 118-علي فلاح الزغبى، العوامل المؤثرة على الإبداع كمدخل ريادي في ظل اقتصاد المعرفة، مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية ،العدد العاشر ، ديسمبر،2011،
- 119-فلة زردومي ،معالم الاقتصاد التضامني ،مجلة الشهاب ،المجلد04 ،العدد02،جوان ،2018
- 120-كمال كاظم الحسيني، رأس المال الروحي، منظور معاصر لاستنهاض سلوك المواطنة، مجلة المثني للعلوم الإدارية، المجلد9، العدد4، جامعة المثني، العراق، 2019
- 121-كمال منصورى، المنظمات غير الحكومية و دورها في عولمة النشاط الخيري و التطوعي، مجلة العلوم الإنسانية، مجلة الكترونية شهرية تعني بالعلوم الإنسانية، العدد 30 ،سبتمبر 2006.

- 122-ليلي قراوازان ،محمد رمزي، التصوف في مرآة معاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين،  
مجلد27، 2013
- 123-محمد ابن الطيب ،مسؤولية النخب الدينية والثقافية في الحفاظ على سلم المجتمعات وتضامنها،  
مجلة التفاهم،العدد42 عام 2013.
- 124-محمد بن الطيب، الرحمة والمحبة والرضا لدى الصوفية، مجلة التفاهم، العدد 62، السنة 2018
- 125-محمد الطاف، دور التصوف في الأمن والسلام الاجتماعي ، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب  
،لاهور، باكستان، العدد24،سنة 2017،
- 126-منجي مقدم ،الاقتصاد الاجتماعي والتضامني ،مركز الدراسات المتوسطة والدولية، ورقات سياسية  
، 2018 .
- 127-نادية أبو زاهر، رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني، الحوار المتمدن،  
المحور المجتمع المدني ، العدد2242، بتاريخ افريل 2008.
- 128-نجوى سمك والسيد صدفى عابدين ،دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة ،الخبرتان  
المصرية واليابانية، مركز الدراسات الآسيوية، القاهرة، 2002 .
- 129-نوراد عبد الرحمن الهيتي، الدور التنموي للمنظمات غير الحكومية ،مركز الإمارات للدراسات  
والبحوث الاستراتيجية، الطبعة1، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2011 .
- 130-هشام البقالي، جوانب من الحياة الاجتماعية لمتصوفة العصر المرابطي، مجلة روافد ، المجلد  
03، العدد1، جوان2019
- 131-يحي بوعزيز ،مجلة الثقافة، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر،العدد63 ،ماي 1981
- 4-الملتقيات**
- 132-النعيم عبد الله العلي، العمل الاجتماعي التطوعي، مؤتمر العمل التطوعي والأمن ، الرياض ،  
السعودية،24-25-04-2004
- 133-ريهام أحمد خفاجي، المؤسسات المانحة العالمية بين التجربة الأمريكية و الإدماج الألمانية ،ملتقى  
الجهات المانحة تحت عنوان آفاق جديدة لمستقبل أفضل، المركز الدولي للأبحاث،4-02-2013  
،القاهرة، مصر
- 134-زهير حطب، العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية، مؤتمر دولي حول العمل الأمني التطوعي  
،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ،السعودية، سبتمبر 2000
- 135-عبد السلام بشير الدويبي ،ثقافة المبادرة توجهات اجتماعية سلوكية المؤتمر السعودي الدولي  
لجمعيات ومراكز ريادة الأعمال، الرياض،السعودية،سبتمبر،2014

- 136- عبد الحميد عبد المنعم مدكور، أثر العقيدة في بناء الحضارة لدى مالك بن نبي، الملتقى الدولي حول فلسفة البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله غولن، تنظيم جامعة الجزائر 20، 1-21 نوفمبر 2012
- 137- عمر رجب محمد احمد، مفهوم العمل التطوعي وعلاقته بالأمن، مؤتمر العمل التطوعي والأمن، أكاديمية نايف العربية للعلوم، مركز الدراسات والبحوث، الرياض 25-28-09-2000
- 138- فاتحة فاضل العبدلاوي، العمل الخيري الإسلامي، بين التأصيل وإمكانات العمل، مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 20-22-2008
- 139- مدحت محمد أبو النصر، ممارسة تنظيم المجتمع في إحدى الجمعيات الأهلية، المؤتمر العلمي الثالث عشر للخدمة الاجتماعية في مواجهة المشكلات والظواهر الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر، 2000
- 140- هايل عبد المولى إبراهيم طشطوش، الدور الاجتماعي للمؤسسة من منظور اقتصاد إسلامي، المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، 2012.
- 141- ياسر الحوراني، الغرب والتجربة التنموية، البحوث العلمية للمؤتمر الثاني للأوقاف، جامعة ام القرى، السعودية، 2006
- 142- جبريل جحشان، حسين يحي، العمل التطوعي الفلسطيني، هيئة العمل التطوعي الفلسطيني، رام الله فلسطين، تقرير حالة التطوع في العالم، الأمم المتحدة 2011
- 143- محمد قوجيل، محاضرات في المقاولاتية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2016-2017
- 144- هيام المفتاح، العمل التطوعي استثمار امني واقتصادي، جريدة الرياض، السعودية، العدد 14166 بتاريخ 7 أبريل 2007
- 145- القانون رقم 90-31 المؤرخ بتاريخ 04 سبتمبر 1990.
- 141- الجمعية الاقتصادية الاجتماعية الأوروبية، الاقتصاد الاجتماعي داخل الاتحاد الأوروبي 2007، مقال صادر نهاية 2007
- 146- دليل المؤسسات غير الربحية في نظام الحسابات القومية، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، السلسلة واو، العدد 91، نيويورك 2011

- 147-مجلة المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة التضامني، الاقتصاد الاجتماعي التضامني أداة لتحقيق العدالة الاجتماعية، العدد4، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، سلسلة السياسات العامة، هيئة الأمم المتحدة، 2014
- 148-مؤتمر العمل العربي، دور الاقتصاد الاجتماعي التضامني في زيادة فرص التشغيل الدورة43 القاهرة 2016 .
- 149-مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، الأمانة العربية، بيئة الأعمال للمشروعات الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية، التحديات الراهنة والفرص، القاهرة 2014  
المواقع الالكترونية
- 150-باكينام الشراقوي، إشكالية الثقافة والتنمية في الاتجاهات الفكرية الغربية، مقال متاح على شبكة الانترنت، اطلع عليه يوم 12-10-2017 على الساعة 16.00
- 151-زايد بن محمد الرماني، حقائق الاقتصاد في الإسلام من منظور محايد، موقع شبكة الألوكة على شبكة الانترنت، اطلع عليه يوم 12-02-2018 على الساعة 19.00
- 152-علي ليلة، دور رأس المال الديني في تحديث المجتمع العربي، متاح على شبكة الانترنت، اطلع عليه بتاريخ 14-06-2018 على الساعة 20.00
- 153-كمال المنوفي، الإسلام والتنمية، دراسة اطلع عليها عبر موقع شبكة الألوكة، يوم 25-06-2017 على الساعة 19.00
- 154-العتاء الاجتماعي الأهلي ، مركز جازهارت للعتاء الاجتماعي والمشاركة المدنية. متوفرة على الموقع الالكتروني global fund community foundations.Org، اطلع عليه بتاريخ 15-02-2019 على الساعة 21.00
- المراجع باللغة الفرنسية

155-Alain Fayolle, *Entrepreneuriat*, Dunod, Paris, 2004.

156-Bernard Mottez :*la sociologie industrielle*, presse universitaire de France,1975

157-jacques defourny .marthenyssens .*Approches européennes et américaines de l'entreprise sociale :une perspective comparative .Recma-revue internationale de l'économie sociale* .n319. Paris. farce. 2010.

158- Fukuyama, Francis: *The End of Order, The Social Market* Francis, 199

159 - Pendelieu.guy ,*le profil du créateur d'entreprise* ,édition l'harmattan ,paris,1997,

160-Spencer sue , *religion and social work, social work*, vol .n3,1956

161 -Martin marty ,*social service goldly and goldless , social service review*,1980

162-, *A New Introduction to Islam, Third Edition*,2017,DanielW. Brown

الملاحق

**الملحق رقم 01: دليل المقابلة**

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم  
كلية العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

دليل مقابلة لموضوع بحث تحت عنوان

الإسلام و المقاولاتية في الجزائر "دراسة حالة مؤسسة الف للإعلام للزاوية العلوية بمستغانم"

بعد تقديم وشرح طبيعة المقابلة وموضوعها

مقابلة رقم :

التاريخ

1-بيانات شخصية:

-العمر

-المستوى التعليمي

-المهنة

2-تاريخ المؤسسة

- متى فُكّر الشيخ في إنشاء المشروع

-كيف جاءت فكرة إنشاء المشروع

-ما هي فترة استمرار المؤسسة في النشاط

-ماذا كان يهدف من وراء المشروع

-متى التحقت بالمشروع

-لماذا التحقت بالمشروع

-كم عدد الأفراد الذين شاركوا في إنجاز المشروع

-لماذا تكنولوجيا الإعلام الآلي بالذات

-لماذا سمي "ألف"

-كيف كان يتم الانضمام للمشروع

-كيف كان يتم العمل في المشروع

-ما هي مصادر تمويل المشروع

-هل كان للمنتسبين في المشروع مساهمة مالية ام لا

-ما هي أهم البرامج التي عملت على إنجازها

-ما ذا كان يهدف من وراء إنجاز مثل هكذا برنامج

-هل كل أبناء الشعب كان لهم حظ في الانضمام إلى المؤسسة، أم موردي الطريقة العلوية فقط  
أسئلة لقياس أبعاد المقولة الاجتماعية

### 1-البعد الاقتصادي

- ما هي نوع السلع والخدمات التي كانت تنتجها المؤسسة
- هل للمؤسسة سجل تجاري لممارسة نشاط اقتصادي
- هل كانت المؤسسة تحوي عمال أجراء ام  
العمل بالمجان.
- هل كانت المؤسسة اقتصادية ، بمعنى تقوم على تحقيق أرباح

### 2-البعد الاجتماعي

- هل الخدمات الاجتماعية المقدمة كان مصرح بها
- ما هو شكل الخدمات الاجتماعية والتضامنية التي تقدمها المؤسسة
- لمن تقدم الخدمات التضامنية للمؤسسة
- هل خدمات المؤسسة ركزت على أبناء المجتمع المحلي فقط ام انتشرت عبر كل الأرجاء
- هل كانت المؤسسة تتلقى دعم مالي من المواطنين والمحسنين ومن السلطات الرسمية
- ما هي مصادر التمويل والدعم المالي للمؤسسة
- هل التمويل في المؤسسة كان ذاتي ام له مصادر أخرى

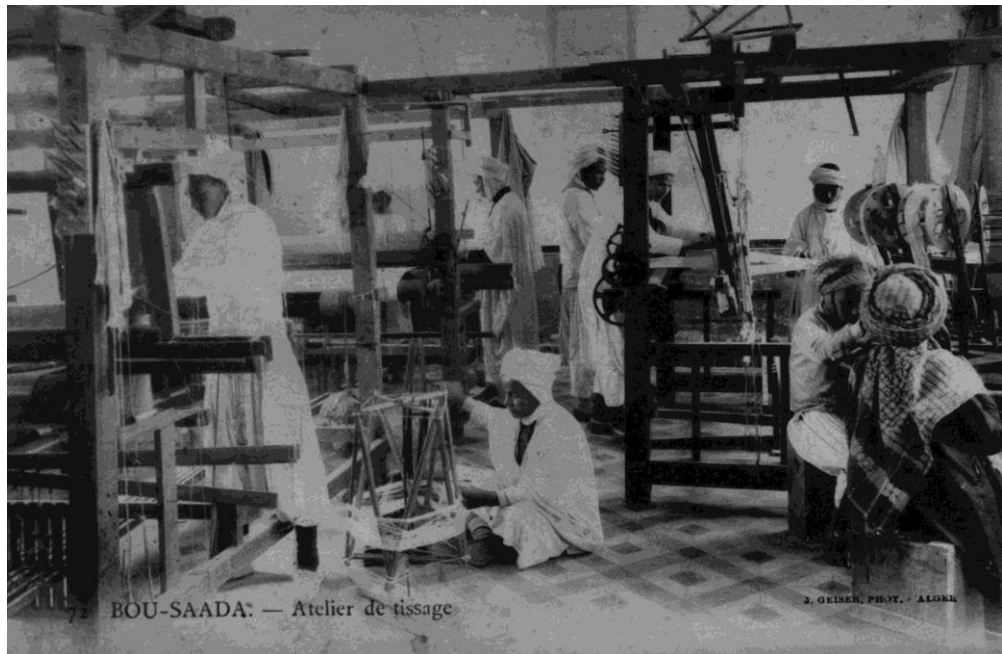
### 3-البعد الإداري

- هل للمؤسسة مجلس إدارة
- ما هو الهيكل التنظيمي للمؤسسة
- كيف كانت تتم عملية اتخاذ القرارات
- كيف يمكن فهم العلاقة او الارتباط بين زاوية تقليدية تفكر في إنشاء مشروع عصري يهتم بتكنولوجيا  
الإعلام الآلي

الملحق رقم 02: صور لنماذج من المقاولات الاجتماعية للطرق الصوفية



صورة لمقولة تعليمية قرآنية بالزوايا



مقولة اجتماعية لتدريب الشباب للحرف بإحدى الزوايا



صورة لمقاولة اجتماعية تختص في تكوين الشباب على الميكانيك والنسيج بالزاوية العلوية

صور لورشة لتكوين الشباب على البناء بالزاوية العلوية





صور لمقاولة اجتماعية لتدريب الشباب على الفلاحة بالزاوية العلوية





صور حول برنامج رقمنة التراث الاسلامي بالزاوية العلوية "ألف"





## جدول معطيات المقابلات

رقم المقابلة	السن	المستوى التعليمي	الجنس	الاقامة	المهنة
01	63	ثانوي	ذكر	مستغانم	تجارة
02	80	ابتدائي/تكوين عصامي	ذكر	غليزان	متقاعد مقاول
03	67	ثانوي	ذكر	غليزان	متقاعد
04	62	ثانوي	ذكر	غليزان	متقاعد تعليم
05	56	بكالوريا	ذكر	غليزان	تعليم
06	62	ثانوي	ذكر	غليزان	متقاعد
07	57	ثانوي	ذكر	غليزان	تعليم
08	58	ثانوي	ذكر	غليزان	تعليم
09	59	جامعي	ذكر	غليزان	إدارة
10	62	ثانوي	ذكر	غليزان	متقاعد
11	63	ثانوي	ذكر	غليزان	أعمال حرة
12	69	ثانوي	ذكر	غليزان	أعمال حرة

تهدف الدراسة للبحث في موضوع المقاولاتية الاجتماعية عبر مؤسسة "ألف" وفق عناصرها الأساسية المميزة لها عن المفاهيم المشابهة، وكأحد البدائل التتموية الجديدة والمصطلحات الحديثة في الحقل السوسيولوجي. تمزج بين النشاط الاقتصادي والهدف الاجتماعي والبعد الثقافي والحافز الروحي. حيث اعتمدنا المقابلة مع عناصر عايشوا التجربة وأشرفوا عليها وشاركوا في تأسيسها وإنجاز نشاطاتها لكتابة تاريخ غير موثق والبحث في حدود اعتماد المشروع على أبعاد العناصر المطلوبة في المقولة الاجتماعية استنادا على منهج دراسة الحالة والمنهج التاريخي. ليتوصل الباحث إلى أن مؤسسة ألف للإعلام الآلي التابعة للزاوية العلوية تمثل وحدة اقتصادية وبنية اجتماعية ومنظومة فكرية وكيان ثقافي، استثمرت مواردها المادية والمعنوية في استمرارية نشاطها وتحقيق استقلالها. كانت تجسد عناصر المقولة الاجتماعية في كل أبعادها إذ ما استثنينا التصريح المعلن للخدمات المقدمة كونها ترتبط بالإطار القانوني للنظام التشريعي الجزائري الذي لا يتوفر على نصوص منظمة لمثل هذه الابتكارات والمبادرات. بالمقابل وجهت وأطرت هذه المبادرات ودافع وحوافز مرتبطة بالعامل الثقافي في مفهومه الشمولي ومنها القيم الدينية والطاقة الروحية والقوة الرمزية للمقدس في جانبه المادي (الزاوية) والمعنوي (شخصية الشيخ ومستوى الثقة ودرجة المحبة وقوة تأثيره). ما جعل من المشروع يمزج بين ما هو اجتماعي وثقافي وروحي ورمزي في إطار المزج بين قيم لرساميل مختلفة كانت تشكل البنية الثقافية والشخصية المعنوية للمجتمع الجزائري، انتقلت هذه القيم (قيم المقولة الاجتماعية) تدريجيا عبر قنوات التنشئة الاجتماعية ومقاصد التربية الصوفية.

**الكلمات المفتاحية:** المقولة الاجتماعية، الزاوية العلوية، التدين الصوفي، مؤسسة ألف للإعلام

### Résumé de l'étude

L'étude vise à rechercher la question de l'entreprenariat social selon ses éléments de base qui la distinguent de concepts similaires, et comme l'une des nouvelles alternatives de développement et de la terminologie moderne dans le domaine sociologique. Elle mêle activité économique, objectif social, dimension culturelle et motivation spirituelle. Nous avons adopté l'entrevue avec les éléments qui ont vécu l'expérience, l'ont supervisée et ont participé à sa mise en place, et à l'achèvement de ses activités pour écrire une Histoire non documentée et des recherches dans les limites de l'approbation du projet sur les dimensions des éléments requis dans l'entreprise sociale en se basant de la méthode d'étude de cas et de l'approche historique. Le chercheur constata que la société d'informatique Alif affilié à la Zaouïa Allouai en tant qu'unité économique, organisation administrative, structure sociale et système intellectuel, a investi ses ressources matérielles et morales dans la continuité de son activité et dans la concrétisation son indépendance dans le cadre d'une vision de développement basée sur l'approche des entreprises sociales, dans ce sens qu'il cherche à créer des services dans un cadre de solidarité sociale et selon des mécanismes indirects en conséquence L'absence du cadre juridique du système législatif algérien, qui ne prévoit pas de telles innovations et initiatives. A l'opposé, ces initiatives ont orienté et encadré des motivations et des incitations liées au facteur culturel dans son concept holistique, y compris les valeurs religieuses, l'énergie spirituelle et la force symbolique du sacré dans ses aspects matériels (zaouïa) et moraux (la personnalité du cheikh et la puissance de son influence). Ce qui a fait que le projet mélange ce qui est social, culturel, spirituel et symbolique dans le contexte d'un capital culturel et symbolique, qui s'est formé et s'est progressivement déplacé à travers les canaux de socialisation et les objectifs de l'éducation soufie.

**Mots clés:** l'entreprenariat social , la Zaouïa Allouai, soufisme, la société Alif

### Abstract :

This study aims to search the topic of social entrepreneurship through the "Alif institute" according to its basic elements that distinguish it from similar concepts. As one of the new development alternatives and modern terminology in the new sociological field, it mixes economic activity, social goal, cultural dimension and spiritual motivation. In our study, we adopted the interview with elements who witnessed the experience, supervised it and participated in the establishment and implementation of its activities for a mass of undocumented history and research within the limits of the project's reliance on the dimensions of the required elements in the social entrepreneurship based on the case study method and the experimental approach. To find out that "Alef institute of computing" which is affiliated with Al- Zaouia Alalouia is an economic unit, administrative organization, social structure and an intellectual system. It invested its material and moral resources in continuing its activities and achieving its independence within a developmental vision which is based on the approach of social entrepreneurship in order to seek to create services within a social and solidarity framework and according to indirect mechanisms, as a result of the absence of the legal framework for the Algerian legislative system which is not available on organized texts for such innovations and initiatives. Conversely, these initiatives were framed by motives and incentives that are related to the cultural factor in its holistic concept namely religious values, the spiritual energy and the symbolic strength of the sacred in its two sides: the material (Al-Zaouia) and the moral (the personality of the sheikh and his degree of influence). This has made this project mixes between what is social, cultural, spiritual and symbolic in the frame of cultural and symbolic capital that is formed and moved progressively through socializing channels and Sufi education.

**Mots clés :** social entrepreneurs hip, Al- Zaouïa Allouai, Sufi Alif Institute,